الكتاب : الأنوار في مولد النبي (ص)

احمد بن عبدالله بكرى، الأنوار في مولد النبي)ص(، يك جلد، انتشارات شريف رضى قم، 1411 هجرى قمرى

الأنوار ص : 2الجزء الأول من كتاب الأنوار في مولد النبي محمد ص

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق نور محمد ص قبل خلق الأرواح و جعل جسمه الشريف أحسن الصور و الأشباح و أخرج درة نوره الأنور من صدف جواهر التكوين و استخرج جوهره الأقدس و جعله معدن الصدق و اليقين و ليس لها من شاهر ستره لباس الصيانة و الهداية و قدس صائب فكره عن الزيغ و الشك و الغواية و توجه بتاج النبوة و الإمامة و شرفه بشرف الرسالة و الكرامة و شرح صدره بأنوار المحبة و اللطف و الكرامة و أوضح قلبه دقائق الفهم و احتياط العلم لقوله تعالى و علمه ما لم يعلم و جعل نفسه الكريمة الشريفة وسط عقد الوجود لكل حسن موجود و طلع شمس الشموس قبل طلوع أقمار النبيين من فوق أسماء العز و التمكين

لقول النبي كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين

أجلس الأنوار ص : 3روحه المقدسة و نوره الأقدس على القرب و السعادة و المجد و السيادة ثم بعثه بعد حين في الشهر المبارك الشريف المنيف إلى عالم الغيب و الشهادة و نور بظهوره و ظهور نوره أقطار السماوات و الأرضين و أكنافهما ثم ظهورهما بقدرته عن دنس الكفر و زين ربوع العالم بظهور نوره في شهر ربيع و عرف بمحبته و نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله العالمين و باعث الرسل أجمعين و أشهد أن محمدا عبده و رسوله كاشف الغمة و شفيع الأمة و شمس الخلق ص فاعلم أيها الراغب لسماع الأخبار الواردة بفضائل النبي الأمي القرشي المكي الأبطحي الهاشمي فإن مناقب ذاته أكثر من أن تعد و تحصى و مناقب جوده أوفر من أن تعد و تستقصى لأن بحر جوده لا يدرك نهاية صفاته المنيفة العالم الغاية لأنه بكل مدح مدحه به المادحون درة من علم كمالات نفسه الأنفس و كل وصف وصفه به الواصفون قطرة من بحار صفات ذاته المقدسة لكن ما جرت به عادة العلماء بأنهم يعقدون بهذا الشهر الرفيع المسمى بربيع المجالس الشريفة المباركة المنيفة إظهار الفرح و السرور

الأنوار ص : 4بذكر بعض الأخبار التي وردت بظهور النبي المكرم و نشر طرف من الآثار التي ثبتت في شمائله تحرك الخاطر العاطر أن يتشرف بذكر شي ء من شمائله و نبذة من فضائله لتق أ في بعض المجالس التي تعد في الليالي و الأيام ليطيب قلب من حضر في الاستماع من الخاص و العام لنتصل ببركة هذه الأخبار إلى سائر المؤمنين و المؤمنات و تدوم صحة العافية بين المسلمين و المسلمات و

إن الله تعالى ولي الخيرات و منه التوفيق و الإجابات و هو الهادي إلى سواء السبيل و هو حسبنا و نعم الوكيل. قال أبو الحسن بن عبد الله هذا الكتاب أنوار محمد ص و انتقاله من الأصلاب الكريمة إلى البطون الطاهرة الرحيمة و قد رتبته سبعة أجزاء.

روى أبو الحسن عن كعب الأحبار و وهب بن منبه عن عبد الله بن العباس قال لما أراد الله تعالى أن يخلق سيد المرسلين و أشرف الأولين و الآخرين و خاتم النبيين قال الله تعالى للملائكة إني أريد أن أخلق خلقا أفضله على الخلق أجمعين و أجعله أشرف الأنوار ص : 5الأولين و الآخرين و المشفع فيهم يوم الدين فلولاه ما زخرفت الجنان و لا أسعرت النيران فاعرفوا منزلته و محله و أكرموه لكرامتي و عظموه لعظمتي فقالت الملائكة ما اعتراض العبد على مولاه نعوذ بالله و بجلالك أن نعصيك
و قيل إن المسئول عن ذلك زوج البتول و ابن عم الرسول علي بن أبي طالب ع و هو مشهور بين أهل العلم المقطوع بخبرهم

بحذف الأسانيد قال علي ع كان الله تعالى و لا شي ء معه فأول ما خلق نور حبيبه قبل أن يخلق الماء و العرش و الكرسي و اللوح و القلم و الجنة و النار و الحجاب و السحاب و آدم و حواء بأربعة آلاف عام فأمر الله تعالى طاوس الملائكة و هو جبرئيل لما خلق نور محمد ص بقي ألف عام واقفا بين يدي الله عز و جل يسبحه و يحمده فقال الله يا عبدي أنت المراد و أنا المريد و أنت خيرتي من خلقي فو عزتي و جلالي لولاك ما خلقت الأفلاك و لا الدنيا و لا الأرض فمن أحبك أحببته و من أبغضك أبغضته فتلألأ نور رسول الله ص و ارتفع شأنه و شعاعه فخلق الله تعالى من نوره اثني عشر حجابا الأنوار ص : 6أولها حجاب القدرة ثم حجاب العظمة ثم حجاب العزة ثم حجاب الهيبة ثم حجاب الجبروت ثم حجاب الرحمة ثم حجاب النبوة ثم حجاب الكبرياء ثم حجاب المنزلة ثم حجاب الرفعة ثم حجاب السعادة ثم حجاب الشفاعة ثم أمر الله تعالى نور محمد ص أن يدخل في حجاب القدرة فدخل و هو يقول سبحان عالم السر و الخفي عشرة آلاف عام و ثم أمره أن يدخل في حجاب العزة فدخل و هو يقول سبحان الملك المنان تسعة آلاف عام ثم دخل في حجاب الجبروت و هو يقول سبحان الكريم الأكرم ثمانية آلاف عام ثم دخل في حجاب الرحمة و هو يقول سبحان رب العرش سبعة آلاف عام ثم دخل في حجاب المنزلة و هو يقول سبحان ربي العظيم الأعظم ستة آلاف عام ثم دخل في حجاب الكرامة و هو يقول سبحان ربي الحميد المجيد خمسة آلاف عام ثم دخل في حجاب الرفعة و هو يقول سبحان ذي الملك و الملكوت أربعة آلاف عام ثم دخل في حجاب السعادة و هو يقول سبحان من نزل الأشياء و لم يزل ثلاثة آلاف عام ثم دخل في حجاب الأنوار ص : 7الشفاعة و هو يقول سبحان الله

ربي العظيم و بحمده ألفي عام ثم دخل في حجاب الكبرياء و هو يقول سبحان ذي العزة و السلطان ألف عام

و قال علي ع إن الله تعالى خلق من نور محمد ص عشرين بحرا و بكل بحر علوم لا يعلمها إلا الله تعالى ثم قال لنور محمد ص انزل في بحر العزة ثم في بحر الصبر ثم في بحر الخشوع ثم في بحر التواضع ثم في بحر الرضا ثم في بحر الوقار ثم في بحر الحكم ثم في بحر التقى ثم في بحر الخشية ثم في بحر الإنابة ثم في بحر العلم ثم في بحر العمل ثم في بحر الزهد ثم في بحر الهناء ثم بحر الصيانة ثم بحر الحياء ثم في بحر التقوى إلى أن تقلب في ثمانية و عشرين بحرا فلما خرج من آخرها ناداه الله تعالى يا حبيبي و سيد رسلي و يا أول مخلوقاتي و آخر رسلي أنت الشفيع يوم المحشر قال فخر النور ساجدا ثم قام و هو عرقان فقطرت منه قطرات كان عددها مائة و أربعة و عشرين ألف فخلق الله من كل قطرة نبيا من أنبيائه قال فلما كملت صارت تطوف حول نوره كما يطوف الحاج ببيت الله الحرام و هم يسبحون الله و يقدسونه و يقولون سبحان من هو غني الأنوار ص : 8لا يفتقر قال فناداهم الله تعالى أ تعرفون من أنا فسبقهم نور محمد ص قبل تلك الأنوار و قال أنت الله الذي لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك رب الأرباب و مالك الملوك و إذا بالنداء من قبل الله تعالى أنت صفوتي و أنت حبيبي و خيرة خلقي و أمتك خير أمة أخرجت للناس قال علي بن أبي طالب ع ثم خلق من نور محمد ص جوهرة و قسمها نصفين فنظر إلى القسم الأول بعين الهيبة فصار ماء عذبا و نظر إلى القسم الثاني بعين الشفقة فخلق منه العرش و خلق من نوره الكرسي و اللوح ثم خلق من نور اللوح القلم ثم قال له اكتب قال و ما أكتب قال اكتب توحيدي و عظمتي قال فبقي القلم سكران ألف عام من كلام الله تعالى فلما أفاق قال اكتب لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله قال فلما سمع القلم حلاوة ذكر محمد ص خر ساجدا و هو يقول سبحان الواحد القهار سبحان العظيم الأعظم الجبار ثم رفع رأسه فكتب ثم قال يا رب و من محمد الذي قرنت اسمه باسمك و ذكره بذكرك

فقال الله تعالى ما خلقت الخلق إلا لأجله فهو البشير
الأنوار ص : 9 النذير و السراج المنير و حبيب و شفيع فعند ذلك نطق القلم من حلاوة ذكر محمد ص و قال السلام عليك يا رسول الله فقال الله تعالى و عليك مني السلام و لأجل ذلك صار السلام سنة و الرد فريضة فقال الله تعالى تأدب يا قلم و اكتب قضائي و قد روي و ما أنا خالقه إلى يوم القيامة ثم خلق الله تعالى من نور محمد ص الجنة و زينها بأربعة أشياء منها التعظيم و الإجلال و السخاء و الأمانة و قد أعدها لأوليائه و أهل طاعته ثم نظر إلى باقي الجوهرة بعين الهيبة فذابت فخلق من دخانها السماوات و من زبدها الأرض فصارت تموج بأهلها كالسفينة فخلق الجبال و أرساها ثم خلق ملكا

من عظمته أعظم ما يكون في القوة فدخل تحت الأرض و أخرج يدا له بالمشرق و يدا له بالمغرب ثم أمسك أطراف الأرضين ثم لم يكن لقدمي الملك قرار فخلق صخرة عظيمة و جعلها تحت قدمي ذلك الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق ثورا عظيما لم يقدر أحد يعاين إليه من أجل خلقته و بريق عينيه حتى لو وضعت البحار كلها في أحد منخريه ما كانت إلا خردلة ملقاة في فلاة فدخل تحت الأنوار ص : 10الصخرة و حملها على ظهره و اسم الثور لهوتا ثم لم يكن لقدمي الثور قرار فخلق الله تعالى حوتا عظيما و اسم الحوت بهموت فدخل تحت قدمي الثور فاستقر عليها فالحوت على الماء و الماء على الهواء و الهواء على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق عن الذي تحت الظلمة ثم خلق الله تعالى العرش من ضياءين أحدهما العدل و الثاني الفضل ثم أمر الله تعالى تلك الضياءين فانقسموا قسمين فخلق الله منهما أربعة أشياء العقل و العلم و الحلم و السخاء ثم خلق الله تعالى من العقل الخوف و من العلم الرضا و من الحلم المودة و من السخاء المحبة ثم عجنها كلها بطينة محمد ص و أهل بيته و المؤمنون ثم خلق الشمس و القمر و النجوم و الليل و النهار و الضياء و الظلام و الملائكة كل ذلك من نور محمد

ص قال فلما تكاملت الأنوار سكن نور محمد سبعين ألف عام ثم انتقل إلى الجنة و بقي فيها سبعين ألف عام ثم انتقل إلى السماء السابعة ثم انتقل إلى السماء السادسة ثم انتقل إلى الخامسة ثم إلى الرابعة ثم إلى الثالثة ثم إلى الثانية ثم إلى السماء الدنيا قال و بقي نوره إلى أن أراد الله تعالى أن يخلق آدم فأمر جبرئيل أن يهبط إلى الأرض الأنوار ص : 11و يقبض منها قبضة فنزل فسبقه إبليس لعنه الله إلى الأرض و قال إن الله تعالى يريد أن يخلق منك خلقا و يعذبه بالنار فإذا أتاك الملك فقولي أعوذ بالله منك إن أخذت مني شيئا يكون للنار فيه نصيب قال فلما أتاها الملك جبرئيل قالت إني أعوذ بالله الذي أرسلك بأن لا تأخذ مني شيئا يكون فيه نصيب للنار قال فرجع و لم يقبض منها شيئا و قال يا رب استعاذت بك فرحمتها فبعث ميكائيل فأقسمت عليه فرجع و لم يأخذ شيئا و قال كذلك ثم بعث إسرافيل فرجع و لم يأخذ شيئا ثم بعث عزرائيل فقالت أعوذ بالله منك أن تأخذ مني شيئا فلم يلتفت إليها فقبض منها قبضة و رجع بها إلى الله فقال الله جل اسمه خذ من أعلاها و أدناها و أبيضها و أسودها و أحمرها و أصفرها و أخشنها و أنعمها فلذلك اختلفت ألوانهم و أخلاقهم فمنهم الأبيض و الأسود و الأصفر و الأحمر ثم قال الله تعالى لعزرائيل أ لم تتعوذ الأرض منك بي قال بلى و لكني لم ألتفت إليها لأن طاعتك أولى من رحمتي لها فقال الله تعالى اعلم أني سأخلق منها أنبياء و صالحين و غيرهم و أجعلك تقبض

الأنوار ص : 12أرواحهم قال فبكى عزرائيل لما سمع ذلك و قال إذا كنت كذلك كرهوني الخلائق فقال الله تعالى لا تخف فإني أخلق لهم عللا ينسبون الموت إليها قال ثم إن الله أمر جبرئيل بأن يأتيه بالقبضة البيضاء التي كانت أصلا فأقبل جبرئيل ع و معه الكروبيون من الملائكة و الصافون و المسبحون ثم قبضها من موضع ضريح النبي ص من البقعة المضيئة المختارة من بقاع الأرض فعرج بماء التسنيم و ماء التعظيم و ماء التكريم و ماء الكوثر و ماء الرحمة و ماء الرضا و ماء العفو ثم خلق الله سبحانه و تعالى من الهيبة رأسه و من الشفقة قلبه و من السخاء كفيه و من الصبر فؤاده و من العفة فرجه و من الشرف قدميه و من اليقين قلبه و من الطيب نفسه ثم خلط ذلك كله بطينة آدم قال فلما أراد الله تعالى أن يخلق آدم و حواء أوحى إلى الملائكة إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ قال ثم إن الملائكة حملوا جسد آدم ع و وضعوه على باب الجنة و هو جسد بلا روح و الملائكة ينتظرون متى يؤمرون بالسجود قال فلما كان يوم الجمعة بعد الظهر أمر الله الأنوار ص : 13تعالى الملائكة بالسجود فسجدوا إلا إبليس ثم خلق بعد ذلك الروح و قال ادخلي في هذا الجسد فرأت الروح مدخلا ضيقا فوقفت فقال لها ادخلي كرها و اخرجي كرها

و قد نظم في ذلك الشيخ الرئيس العالم الحكيم أبو علي بن سينا يصف الروح حيث دخلت كرها و خرجت كرها ينشد و يقول أفلح من يصلي على الرسول و آله

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز و تمنع محجوبة عن كل مقلة عارف و هي التي سفرت و لم تتبرقع وصلت على كره إليك و ربما كرهت فراقك و هي ذات تفجع أنفت و ما أنست فلما واصلت ألفت مفارقة الخراب البلقع و أظنها نسيت عهودا بالحمى و منازلا بفراقها لم تقنع

الأنوار ص : 14حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها في ميم مركزها بذات الأجرع علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت بين المعالم و الطلول الخضع تبكي إذا ذكرت ديارا بالحمى بمدامع تهمي و لما تقطع و تضل ساجمة على الدمن التي درست بتكرار الرياح الأربعي إذ عاقها الشرك الكثيف و صدها قفص عن الأوج الفسيح المربع حتى إذا قرب المسير إلى الحمى و دنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع و غدت مفارقة لكل مخلف عنها حليف الترب غير مشيع هجعت و قد كشف الغطاء فأبصرت ما ليس يدرك بالعيون الهجع و بدت تغرد فوق ذروة شاهق و العلم يرفع كل من لم يرفع فلأي شي ء أهبطت من شامخ سام بالقعر الحضيض الأوضع

الأنوار ص : 15إن كان أرسلها الإله لحكمة طويت عن الفطن اللبيب الأروع فهبوطها إن كان ضربة لازب لتكون سامعة لمن لم تسمع فتعود عالمة بكل خفية في العالمين و خرقها لم يرقع و هي التي قطع الزمان طريقها حتى لقد غربت بغير المطلع فكأنها برق تألق بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمع أنعم برد جواب ما أنا فاحص عنها فنار العلم غير تشعشع

قال ثم دخلت الروح في الخيشوم و العين فجعل آدم ينظر إلى نفسه و يسمع تسبيح الملائكة قال فلما وصلت إلى الخياشيم عطس آدم ع قال فأنطقه الله تعالى بالحمد و قال الحمد لله فقال الأنوار ص : 16له يرحمك الله يا آدم فلهذا خلقتك و هذا لولدك من بعدك إن قالوا مثلما قلت و لم يكن على إبليس أشد من تسميت العاطس قال فلما فتح آدم ع عينيه رأى مكتوبا على العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله ص علي ولي الله قال فلما وصلت الروح إلى ساقيه أراد أن يقوم قبل أن تصل إلى قدميه فلم يطق النهوض فلذلك قال الله تعالى خلق الإنسان عجولا

و روي عن الصادق ع قال كانت الروح في رأس آدم مائة عام و في صدره مائة عام و في ظهره مائة عام و في قدميه مائة عام فلما استوى أمر الله الملائكة بالسجود و كان بعده صلاة الظهر من الجمعة فلا زالوا ساجدين قال و سمع آدم في ظهره نشيشا كنشيش الطير و تسبيحا و تقديسا فقال آدم ع يا رب ما هذا قال هذا تسبيح محمد خاتم الأنبياء و المرسلين و سيد الأولين و الآخرين فخذ بعهد و لا تودعه إلا في الأصلاب الطاهرة و الأرحام الزكية من الرجال و النساء فقال يا رب زدتني في هذا المولود شرفا و وقارا قال و كان وقار محمد ص كالشمس المضيئة في غرة آدم و قد أنارت الأنوار ص : 17السماوات و الأرضين و العرش و الكرسي و كان إذا أراد أن يأتي حواء يأمرها أن تتطهر و تتطيب و هو يقول عسى أن يرزقك الله تعالى هذا النور فهو وديعته قال و لم يزل النور في غرة آدم ع إلى أن حملت حواء بشيث و كانت الملائكة يأتونها و يهنئونها قال فلما وضعته كان بين عينيه نور محمد ص يشتعل فعندها فرحت به و ضرب جبرئيل بينها و بين إبليس حجابا من نور عمقه خمسمائة عام و لم يزل محجوبا إلى أن بلغ شيث مبالغ الرجال فلما بلغ قال له يا بني إني مفارقك عن قريب فادن مني لآخذ عليك العهد و الميثاق كما أخذه الله علي من قبل ثم رفع رأسه إلى السماء و كان قد علم الله ما يريد آدم فأمر الله الملائكة بالإمساك عن التسبيح و لفت أجنحتها و أشرفت سكان الجنان من غرفاتها و سكن صرير القلم و صرير أنهارها و جريانها و تصفيق أوراقها قال و تطاولت لاستماع ما يقول آدم ع ثم نودي قل يا آدم ما أنت قائل فقال اللهم رب القدرة و منير الشمس خلقتني كيف شئت و قد أودعتني منه التشريف و الكرامة و قد صار لولدي شيث فأريد أن آخذ عليه العهد و الميثاق كما أخذته علي فكن شاهدا عليه قال و إذا بالنداء من قبل الأنوار ص : 18الله تعالى خذ عليه العهد و الميثاق فأشهد عليه جبرئيل و ميكائيل و الملائكة أجمعين فأقبل

جبرئيل على آدم و قال يا آدم ربك يقرئك السلام و يقول لك اكتب على ولدك شيث كتابا بالعهد و الميثاق و أشهد عليه الله و جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و الملائكة أجمعين قال فكتب الكتاب و ختمه جبرئيل بخاتمه و دفعه إلى شيث و كساه قبل انصرافه حلتين حمراءتين أضوأ من الشمس و أرق من

الماء لم تقطع و لم توصل بل قال لها الجليل كوني فكانت ثم تفرقا بعد ذلك قال فقبل شيث العهد و ألزمه نفسه و لم يزل ذلك النور بين عينيه حتى تزوج المجلولة البيضاء و كانت بطول حواء و انتقل إليها ذلك النور بخطبة جبرئيل فلما وطئت حملت بأنوش فلما حملت به سمعت مناديا ينادي هنيئا لك يا بيضاء فقد استودعك الله سيد الأولين و الآخرين قال فلما ولدت بأنوش أخذ شيث عليه العهد و الميثاق كما أخذه عليه آدم قال و انتقل ذلك النور إلى ولده قينان و من قينان إلى مهلائيل و منه إلى أدد و من أدد إلى أخنوخ و هو إدريس و أودعه إدريس إلى ولده متوشلخ و أخذ عليه العهد ثم انتقل إلى لمك و من لمك إلى نوح و من نوح إلى ولده سام و منه إلى

الأنوار ص : 19ولده ارفخشذ ثم إلى ولده عابر و من عابر إلى ناخور و منه إلى تارح و من تارح إلى إبراهيم و من إبراهيم إلى إسماعيل ثم انتقل إلى قيدار ثم إلى نبت ثم إلى الهيمع ثم انتقل إلى يعهد ثم يشخب و منه إلى أدد و من أدد إلى عدنان ثم إلى معد و منه إلى نزار و من نزار إلى مضر و منه إلى إلياس و من إلياس إلى مدركة و منه إلى خزيمة و منه إلى كنانة و منه إلى قصي و من قصي إلى لؤي و من لؤي إلى غالب و منه إلى فهر و منه إلى عبد مناف و منه إلى هاشم و سمي هاشم لأنه هشم الثريد لقومه و كان اسمه عمرو العلا و كان نور محمد في وجهه و كان إذا أقبل تضي ء منه الكعبة و تكتسي من نوره نورا شعشعانيا و يرتفع من نور وجهه نور إلى السماء و خرج من بطن أمه عاتكة بنت مرة بن فلح بن دوكان و له ضفيرتان كضفيرتي إسماعيل تتقد نورا فتعجب الناس من ذلك و سارت إليه الركبان من قبائل العرب من كل جانب و مكان فأخبروا بذلك الكهان فأنطقت الأصنام بفضل النبي المختار و كان هاشم لا يمر بحجر و لا مدر إلا و ينادونه أبشر يا هاشم فإنه سيظهر من ذريتك أكرم الخلق على الله و أشرف الأنوار ص : 20العالمين قال كان هاشم إذا مشى في الظلام أنارت منه الحنادس و يرى ما حوله كما يرى من ضوء المصباح فلما حضرت عبد مناف الوفاة أخذ عليه العهد و الميثاق على أنه لا يودع نور رسول الله ص إلا في الأرحام الزكية من أكرم الناس فقبل هاشم هذا العهد و الميثاق و ألزمه على نفسه و قال و جعل ملوك الأرض تتطاول إلى هاشم يريدونه أن يتزوج منهم و يبذلون له الجزيل من المال و هو يأبى عليهم و كان كل يوم يمضي إلى الكعبة و يطوف بها سبعا و يتعلق بأستارها و كان هاشم إذا قصده قاصد أكرمه و كان يكسي الكعبة و يكسي العريان و يطعم الجوعان و يفرج عن المعسر و يوفي عن المديون و من أصيب بدمه يرفعه عنه و كان بابه لا ينغلق عن صادر و لا وارد و إذا أولم وليمة أو أطعم طعاما و فضل منه شيئا أمر

أن يرمى إلى الوحش و الطير حتى تحدثوا بجوده في الآفاق و سيدوه أهل مكة بأجمعهم و شرفوه و عظموه و سلموا إليه مفاتيح الكعبة و السقاية و الحجابة و الرفادة و أمور الناس و لواء نزار و قوس

إسماعيل و قميص إبراهيم و نعل شيث و خاتم نوح فلما احتوى على
الأنوار ص : 21 ذلك كله ظهر فخره و مجده و كان يقوم بالحاج و يدعوهم و يتولى أمورهم و يكرمهم و لا ينصرفون إلا شاكرين و كان إذا استهل هلال ذي القعدة الحرام و ذي الحجة يأمر الناس بالاجتماع إلى مكة فإذا تكاملوا قام فيهم خطيبا و قال يا معشر الناس إنكم جيران الله و أهل بيته و إنه سيأتيكم في هذا الزمان زوار بيت الله الحرام و هم ضيفان الله و ضيفانكم و الأضياف أولى بالكرامة و قد خصكم الله تعالى بهم و أكرمكم و اعلموا أنهم سيأتونكم شعثا غبرا من كل فج عميق و واد سحيق فأكرموهم يكرمكم الله تعالى قال و كانت قريش تخرج المال الكثير من أموالهم قال و كان هاشم ينظف أحواض الأديم و يجعل فيها ماء زمزم و باقي الحيضان من سائر المياه حتى يشربون الحاج و كان عادته يطعمهم قبل التروية بيوم و كان يحمل الطعام إلى منى و عرفة و كان هاشم يقود لهم اللحم و السمن و التمر و يسقيهم اللبن إلى أن تصدر الناس من مكة ثم يقطع هاشم الضيافة
قال صاحب الحديث و قد بلغ أنه قد وقع بمكة ضيق و جدب و غلاء و لم يكن عندهم شي ء يزودون به الحاج قال فبعث هاشم أباعرا فباعها الأنوار ص : 22و اشترى بثمنها عسلا و زبيبا و لم يترك عنده قوت يوم واحد بل بذل ذلك للحاج فكفى ذلك الطعام جميعا و صدر الناس يشكرونه في الآفاق و في جميع الأمصار و فيه يقول الشاعر صل على خير الورى
يا أيها الرجل المجد رحيله هلا مررت بدار عبد مناف ثكلتك أمك لو مررت بداره لعجبت من كرم و من أوصاف عمرو العلا هشم الثريد لقومه و القوم فيها مسنتون عجاف بسطوا إليك الراحتين كلاهما عند الشتاء و رحلة الإيلاف

قال فبلغ خبره إلى النجاشي ملك الحبشة و إلى قيصر ملك الروم فكاتبوه و أرسلوا إليه أن يهدوا له بناتهم رغبة في النور الذي في وجهه و هو نور رسول الله ص لأن كهانهم و رهبانهم أعلموهم بأن ذلك النور الذي في وجهه نور رسول الله فأبى هاشم عن ذلك و تزوج من نساء قومه و رزق منهم أولادا و كان أولاده أسد و نضر و عروة و أما البنات فصفية و رقية و خالدة و الشعثاء فهذه جملة الإناث و الذكور و نور رسول الله لم يزل في وجهه فعظم ذلك عليه و كبر لديه فلما كان في بعض الليالي و قد طاف بالبيت الأنوار ص : 23و سأل الله تعالى أن يرزقه ولدا فيه نور رسول الله ص فأخذه النعاس فانضجع فأتاه هاتف يقول له عليك بسلمى بنت عمرو النجار فإنها طاهرة مطهرة الأذيال فخذها و ادفع لها المال الجزيل فلم تجد لها شبه في الناس فإنك ترزق سيدا يكون منه النبي ص قال فانتبه هاشم فأحضر بني عمه و أخيه المطلب و أخبرهم بما رأى في منامه و بما قال الهاتف فقال أخوه المطلب يا ابن أمي إن هذه المرأة المعروفة في قومها كبيرة في نفسها طاهرة مطهرة و قد كملت قدا و اعتدالا و هي سلمى بنت عمرو النجار و هم أهل الإنصاف و العفاف و إنك أشرف منهم حسبا و نسبا و قد تطاولت إليك الملوك

و الأكاسرة و الجبابرة فإن شئت نحن لك فقال هاشم الحاجة ما تقضى إلا بصاحبها و قد جمعت فضلات و تجارات و أريد أن أخرج بنفسي إلى غرة الشام لأخرج هذه التجارة بوصل هذه الامرأة فقالوا له أصحابه و بنو عمه نحن معك و نعينك و نفرح لفرحك و نسر لسرورك و ننظر ما يكون من أمرك قال ثم إن هاشم أمرهم أن يتأهبوا للسفر قال فخرج و خرجوا معه في سلاحهم و تيجانهم الأنوار ص : 24و ملبوسهم و خرج معه العبيد يقودون خيولهم و الأحمال الأديم و معهم الدروع البيض و الجواشن و أخذوا معهم لواء نزار و هم يومئذ أربعين سيدا من بني عبد مناف و عامر و مخزوم و سار القوم حولهم و كان خروجهم على مكة كرها قال فخرج و خرجوا معهم

السادات و الأكابر و فتيان الصفا و خرجوا العبيد و النساء لتوديع هاشم بن عبد مناف و ودعوه و رجعوا عنه و سار هو و بنو عمه طالبين يثرب قال صاحب الحديث ثم ساروا و سهل الله عليهم سفرهم حتى أشرفوا على يثرب فلما أشرفوا عليها تهلل نور رسول الله ص في غرة هاشم حتى دخل المراقد و البيوت قال فلما رأوهم أهل يثرب بادروا إليهم مسرعين و قالوا لهم من أنتم أيها الناس فما رأينا أحسن منكم جمالا و لا سيما صاحب هذا النور الساطع و الضياء اللامع فقال لهم المطلب نحن وفد بيت الله الحرام و سكان حرم الله و نحن بني كعب بن لؤي بن غالب و هذا هاشم و قد خطبت الملوك و الأكابر فما رغبنا فيهم و رغبنا فيكم و في نسائكم و نريد أن ترشدونا على بيت عمرو بن أسد فأرشدوهم عليه فقال لهم مرحبا بكم يا أرباب العلا الأنوار ص : 25و المآثر و الشرف و المفاخر سادات الكرام و مطعمين الطعام و نهاية الجود و الإكرام فلكم عندنا ما تحبون و أفضل ما تطلبون و اعلموا أن المرأة التي خرجتم لأجلها و جئتم طالبين لها هي ابنتي و قرة عيني غير أنها مالكة نفسها و مع ذلك خرجت بالأمس إلى سوق من أسواقنا مع نساء من قومنا إلى سوق يقال له سوق بني قينقاع فإن أقمتم عندنا فأنتم في الغاية و الكفاية فمن الخاطب منكم و الراغب فيها فقالوا جميعا هو صاحب هذا النور الساطع و الضياء اللامع سراج بيت الله الحرام و مصباح الظلام هو الموصوف بالجود و الإكرام هاشم بن عبد مناف صاحب رحلة الإيلاف و الراقي ذروة الأحقاف ثم إن عمرو بن أسد قال بخ بخ لقد علونا و علا فخرنا بخطبتكم لنا ثم قال اعلموا يا من حضر أني رغبت في هذا الرجل أكثر من رغبتكم غير أن أمري غير أمرها و ها أنا أسير معكم فانزلوا يا خير زوار و أكرم بني نزار و قد سبق عمرو إلى قومه و نحر لهم الإبل و صنع لهم الطعام و خرجت لهم العبيد الطعام بالأجفان فأكل القوم بحسب الكفاية و لم يبق أحد منهم من أهل يثرب إلا و خرج ينظر

الأنوار ص : 26 إلى هاشم و إلى نور وجهه و خرجوا الأوس و الخزرج و الناس متعجبين من ذلك النور و خرج اليهود فلما نظروه و عرفوه بالصفات التي في التوراة و العلامات قال فعظم ذلك عليهم و

كبر لديهم و بكوا بكاء شديدا فقال بعض اليهود و كان من أحبارهم ما بكاؤكم قالوا من هذا الرجل فإنه سيظهر من صلبه غلام يكون فيه سفك دمائكم و قد جاءكم السفاك الهتاك الذي تقاتل معه الأملاك المعروف في كتبكم أنواره قد ابتدرت و علاماته قد ظهرت قال فبكوا اليهود من هذا القول ثم التفتوا إلى القائل لهذا الكلام فقالوا له يا أبانا إن هذا الذي ذكرته فهل نصل إلى قتله و نكفى شره فقال لهم هيهات حيل بينكم و بين ما تشتهون و عجزتم عما تأملون و اعلموا أن هذا المولود الذي ذكرته لكم تقاتل معه الأملاك من الهواء و يخاطب من السماء و يقول قال لي جبرئيل عن رب العالمين و أمره و نهيه فقالوا هذا يكون بمنزلة الولد فقال إنه أعز من الولد و أكرم أهل السماوات و الأرض عند الله تعالى و أشرف خلق الله فقالوا له أيها السيد الكريم نحن نسعو في إطفاء هذا المصباح من قبل أن الأنوار ص :
27يتمكن من كل مكروه قال و أظهر القوم العداوة و البغضاء و كان سبب عداوة اليهود لرسول الله من ذلك اليوم قال فلما أصبح هاشم أمر أصحابه أن يلبسوا أفخر أثوابهم و أن يظهروا زينتهم فلبسوا ما كان عندهم من الزينة و أظهروا التيجان و الجواشن و الدروع و البيض و أقبلوا يريدون سوق قينقاع و قد شدوا لواء نزار و أحاطوا بهاشم عن يمينه و شماله فتقدمت العبيد و أبو سلمى معهم و معهم رجال من كبار قومه و هم جماعة من اليهود قال فلما أشرفوا على سوق بني قينقاع و كان يجتمع إليه الناس من أقصى البلاد و أقطارها و سكانها فلما أشرف هاشم على السوق هو و أصحابه و هو بينهم كالبدر المنير بين الكواكب و عليه السكينة و الوقار قال فاندهش أهل السوق و جعلوا ينظرون إلى النور الذي بين عينيه قال و كانت سلمى

واقفة بين الناس تنظر إلى هاشم و إلى حسنه و جماله و ما عليه من الهيبة و الوقار إذ أقبل إليها أبوها و قال لها يا سلمى أبشرك بما يسرك و كانت سلمى متعجبة من نفسها ثم قالت فيم تبشرني قال أبشرك أن هذا الرجل لك خاطب و فيك راغب هذا يا سلمى من أهل العفاف و المعروف الأنوار ص :
28بالجود و الإنصاف هاشم بن عبد مناف و إنه لم يخرج من الحرم لغيرك قال فلما سمعت كلام أبيها أعرضت بوجهها عنه و أدركها الحياء من أبيها و قد أمسكت عن الكلام ثم التفتت إليه و قالت يا أبي إن النساء يفتخرن بالحسن و الجمال و القد و الاعتدال و إذا كان زوج المرأة سيد من سادات العرب و كان مليح المنظر و المخبر فما تقول المرأة و قد علمت ما جرى بيني و بين أحيحة بن الجلاح الأوسي و حيلتي عليه و إنه قد خلعت منه نفسي ثم إنه لم يتمكن من الكلام و إن هذا الرجل قد كبرت عظمته و نور وجهه و علت مروءته و إن إحسانه يدل على فخره إلا أنه لا بد لي أن أطلب عليه المهر و ما أستحقه و لا أصغر حالي و سيكون لنا و لهم خطابا و جوابا و كان ذلك القول تجللا و تجملا لأبيها لأنها لم تصدق بذلك حتى سمعت من أبيها ذلك الكلام ثم نزل هاشم قريب من السوق و اعتزل ناحية و

أقبل أهل السوق مسرعين ينظرون إليه. قال صاحب الحديث قد بلغنا أنه قد ضاع من معاشهم شي ء كثير حتى اشتغلوا بالنظر إلى وجهه قال فضرب له خيمة بالخز

الأنوار ص : 29 الأحمر و نصب له سرادقان فلما دخل هاشم و أصحابه الخيمة تفرق أهل السوق عنه و جعل أهل السوق يسألون عن هاشم و أمره و ما قدومه عليهم من مكة فقيل لهم خطابا لسلمى بنت عمرو قال فحسدوها عليه و كانت أجمل أهل زمانها و أحسنهم و أكملهم و كانت سلمى جارية تامة معتدلة و كان لها منظر و مخبر كاملة الأوصاف ناعمة الأطراف سريعة الجواب حسنة الأواب عاقلة عفيفة تقية طاهرة مطهرة من الدنس قال فحسدوها على هاشم حتى إبليس اللعين قد تصور لها في صورة شيخ كبير فقال لها يا سلمى أنا من أصحاب هاشم و قد جئتك أخبرك و هي نصيحة مني إليك اعلمي أن لصاحبنا من الحسن و الجمال كما رأيت غير أنه مملول للنساء و لا تقيم المرأة عنده أكثر من شهرين إذا كثر و إلا عشرة أيام و قد تزوج بنساء كثيرة و بعد ذلك جبان في الحروب فقالت سلمى إليك عني فو الله لو ملأ لي حوضا من المال ما قبلته و قد كنت أحببته و رغبت فيه و لقد زالت رغبتي فيه لما ذكرت من هذه الخصال فاذهب عني و انصرف قال فانصرف عنها و تركها الأنوار ص : 30في همها و غمها ثم إن إبليس اللعين تصور في صورة رجل آخر و زعم أنه من أصحاب هاشم و قال لها مثلما قال أولا فقالت أ و ليس أرسلت إليه أنه لا يرسل لي بعد ذلك و الله إن بعث أبي رسولا أمرت بضرب عنقه قال فخرج إبليس لعنه الله من عندها فرحا مسرورا و قد صح عنده البغضاء لهاشم و ظن أن هاشم يرجع خائبا قال فدخل عليها أبوها فوجدها في حيرتها و سكرتها فقال لها يا سلمى ما الذي حل بك و اليوم يوم سرورك و فرحك قالت يا أبت لا تزيدني هما فقد فضحتني و شهرت أمري و أردت تزويجي برجل ملول للنساء كثير الطلاق جبان في الحروب قال فضحك أبوها و قال يا سلمى و الله ما لهذا الرجل من هذه الخصال شي ء و إنه إلى كرمه الغاية و إلى جوده النهاية و إنما سمي هاشم لأنه هشم الثريد لقومه و أما قولك مطلاق فإنه ما طلق امرأة بعينها و أما قولك جبان في الحروب فإنه

أجود أهل زمانه في الشجاعة و إنه معروف عند الناس بالجواب و الخطاب و الصواب فقالت يا أبت فلو كان هذه خصاله فلم جاءني منه رسولان و أخبراني كل واحد منهما بهذا
الأنوار ص : 31 الكلام فقال أبوها ما جاءنا رسول و لا خبر فاصرفي عنك الوسواس ثم خرج من عندها و تركها في همها و قد صح عندها قول الشيطان و أخذ بعقلها و كان الشيطان بذلك الزمان يحضر و يأخذ عقول الناس و يأمرهم و ينهاهم و كانوا يطيعونه و هاشم لا يعلم بذلك و كان قد عول على خطبتها غداة غد في جمع من قومه و أنها سارت في حوائجها و هي تريد أن تنظر إلى هاشم قال فجمع الله بينها و بينه في طريق واحد و كان في ذلك الزمان النساء لا يستحين من الرجال و لا كان

يضرب حجابا إلى أن بعث رسول الله قال و كانت طائفة من اليهود بناحية من الخيمة خيمة هاشم فلما اجتمعت سلمى بهاشم عرفته بالنور الساطع و الضياء اللامع و عرفها كذلك ثم قالت يا هاشم قد أحببتك و أردتك فإذا كان في غداة غد فاخطبني من أبي و لا يعز عليك المال فإن طلبوا منك مالا ساعدتك عليه فلما أصبح الصباح تأهب هاشم للقاء القوم فتزينوا بزينتهم و أومى إلى أخيه المطلب أن اخطبها فإذا تكاملوا أهل سلمى أنبأ عليهم بالكلام قال فعند ذلك تكاملوا أهل سلمى و دخل هاشم

الأنوار ص : 32 و أصحابه فعند ذلك قام من في المجلس و جلس هاشم و أصحابه في صدر المجلس و تطاولت القوم إلى هاشم بالأعناق فابتدأ هاشم بالكلام و ساعده أخوه المطلب و قال يا أهل الشرف و الإكرام و الإنعام نحن أهل البيت الحرام و المشاعر العظام و زمزم و المقام و إلينا سعت الأقدام و إلينا يورد الواردون و أنتم تعلمون شرفنا و ما خصنا الله به من النور الساطع و الضياء اللامع و نحن من لؤي بن غالب بن كعب و قد انتقل النور من عبد مناف إلى أخينا هاشم يجري من ظهور طاهرات إلى بطون مطهرات و قد ساقه الله إليكم و أقدمه عليكم فنحن لكريمتكم خاطبون و فيكم راغبون فقال عمرو أبو سلمى لكم التحية و الإكرام و الإجابة و الإنعام و قد أعطيتم و أجبنا دعوتكم و أطعنا وسيلتكم و أنتم تعلمون علمنا و لا تخفى عليكم أحوالنا و لا بد من تقديم المهر كما سلف آباؤنا الماضون و أجدادنا الأقدمون و كذلك آباؤكم و لو لا ذلك ما واجهناكم بشي ء و لا قابلناكم به أبدا قال فعند ذلك تقدم و تكلم المطلب و قال لكم عندي مائتي ناقة حمر الوبر سود الحدق لم يعلها فحل و لا جمل الأنوار ص : 33قال فبكى إبليس لأنه من جملة من حضر و جلس مقابل أبي سلمى فأشار إليه أن اطلب الزيادة فقال عمرو النجار يا معاشر السادات ما هذا قدر ابنتنا عندكم فقال المطلب و لكم ألف مثقال من الذهب الأحمر قال فغمز إبليس بحاجبيه لعمرو أبي سلمى و أشار إليه أن اطلب الزيادة فقال يا فتى قصرت في حقنا و أقللت فيما بذلت فقال و لكم عندي حمل بعير و عشرة أثواب من قباطي مصر و عشرة من العراق فقد أنصفتكم قال فغمز إبليس لعمرو أبي سلمى و أشار عليه أن اطلب الزيادة فقال أبوها يا فتى أقربت و أجملت فقال المطلب نعمة و كرامة قال المطلب و لكم خمس وصائف برسم الخدمة فهل تريد أكثر من ذلك قال فأشار عليه إبليس أن اطلب الزيادة فقال عمرو إن الذي بذلتموه هو إليكم راجع فقال المطلب و لكم عشرة أوراق من المسك

الأذفر و خمس أوراق من الكافور فهلر ضيتم أم لا فهم إبليس أن يغمز لأبي سلمى فصاح عليه صيحة عظيمة و قال قم و اخرج يا قبيح المنظر و شيخ السوء فعند ذلك قام إبليس خارجا و اليهود معه فقال إبليس يا عمرو إن المهر الذي الأنوار ص : 34اشترطته في مهر ابنتك قليل و إنما أردت أن أطلب لابنتك من القوم ما تفتخر به على أهل زمانها و لقد هممت أن أشترط عليهم أن يبني لها قصر طوله

خمسة فراسخ و عرضه مثل ذلك و يكون شاهقا في الهواء باسقا في السماء و يكون أعلاه مجلس تنظر منه إلى إيوان كسرى و تنظر إلى المراكب منحدرات في البحر ثم يجلب إليه نهر من دجلة و من الفرات عرضه مائة ذراع تجري فيه المراكب منحدرات و مصعدات ثم يغرس على باب القصر نخلات معتدلات مسطرات لا ينقطع ثمرها قيض و لا شتاء فقال المطلب حين سمع كلامه لقد أسرفت يا شيخ في مقالك فمن يقدر يصل إلى ذلك ثم صاح عليه عمرو و المطلب و أخذته الصيحة من كل جانب و مكان و كان مراد إبليس اللعين انفساخ المجلس ثم قال ارمون بن يقطون إن هذا الشيخ أحكم الحكماء و واحد البلغاء و هو معروف عندنا في بلاد العراق و الشام و بعد ذلك ما نزوج ابنتنا بغريب في غير بلادنا ثم قامت اليهود بأجمعهم و كانوا أربعمائة يهودي و كان أهل الحرم سبعون سيدا فجردوا سيوفهم ثم قال

الأنوار ص : 35 لأصحابه دونكم القوم فهذا تأويل رؤياي قال فوقعت فيهم الصيحة فوثب المطلب على ارمون بن يقطون و وثب هاشم على إبليس فعطف يريد الهرب فأدركه هاشم و قبض على جميع أطرافه و جلد به الأرض جلدة فصاح صيحة عظيمة لما غشيه نور رسول الله ص فصارر يحا قال فالتفت هاشم إلى أخيه المطلب و إذا هو قد قتل ارمون بن يقطون و قد قسمه نصفين و هاشم و أصحابه قد قتلوا من اليهود خلقا كثيرا و وقعت الرجفة في المدينة و خرجت الرجال و النساء فانهزمت اليهود على وجوههم و رجع أبو سلمى و قال مزجتم الفرح بالترح و ما كان سبب الفتنة إلا إبليس اللعين قال فرفعوا السيف عن اليهود و ذلك بعد أن قتلوا منهم اثنين و سبعين رجلا و كان عداوة اليهود لرسول الله من ذلك اليوم ثم إن هاشم قال لأصحابه هذا تأويل رؤياي ثم إن اليهود افتقدوا حبرهم فلم يجدوه فقال لهم هاشم يا معشر اليهود إنما أغواكم الشيطان الرجيم فانظروا إلى صاحبكم فإن وجدتموه فهو كما زعمتم أنه من حكمائكم و أن لم تجدوه فهو ليس كما زعمتم الأنوار ص : 36فقد بينكم و بينه و قد ظننتم أنه من أحباركم فقد أغواكم قال ثم إن أبا سلمى مضى لابنته لإصلاح شأنها فلم يبق أحد من أصحابه إلا و قد حضروا ور جعوا إلى أماكنهم و حطوا أسلحتهم و قد امتلئوا غيضا على اليهود قال فجلس هاشم و من حوله أصحابه و مضى عمرو إلى منزله و أصلح الوليمة و الكرامة و أمر العبيد يحملون الأجفان المترعة باللبن و لحم الضأن و الإبل و السمن ثم إن عمرو مضى إلى ابنته سلمى و قال لها إن الرجل الذي بلغك أن هاشم جبانا فقد نطق بالحال و ايم الله لما أمسكني و أعطفني عليه و على أصحابه ما ترك من القوم أحد قالت سلمى يا أبت افصل المهر على كل حال يكون و لا تطل الملامة قال فلما أكل هاشم الطعام و معه أصحابه و فرغوا من الأكل أقبل عليهم عمرو أبو سلمى و قال يا معاشر السادات الكرام اصرفوا عن قلوبكم الهم و الغم و الحزن و نحن لكم و

ابنتنا هدية منا إليكم فقال له المطلب أيها السيد الكريم لك بها ما ذكرناه و زيادة ثم قال لأخيه هاشم رضيت بما تكلمت به عليك فقال هاشم رضيت بذلك و هو عندي يسير قال الأنوار ص : 37فعند ذلك تصافحوا و مضى أبو سلمى إلى منزله و أقبل و في يده دراهم و دنانير فنثر الدراهم و الدنانير على رأس هاشم و نثر الدراهم على رأس أصحابه ثم نثر عليهم سحيق المسك الأذفر و الكافور و العنبر فعمم أطمارهم ثم قال أبو سلمى يا هاشم أ تحب الدخول على زوجتك هذه الليلة أو تصبر عنها هذه الليلة حتى يصلح شأنها فقال هاشم بل أصبر لا بأس بالصبر فعند ذلك هيئوا مطاياهم و أمر بتقديمهن فركبوهن و تهيئوا للخروج. ثم إن هاشم دفع إلى أخيه المطلب ما حضره من الدراهم و أمره أن يدفعها إلى سلمى فلما أوصلها إليه المطلب فرحت بذلك الأمر قال فدفع إليها المال فقبلته منه و قالت يا سيد الحرم و خير من سعى على قدم أقرئ أخاك السلام و قل له ما الرغبة إلا فيك فاحفظ منا ما حفظناه منك و قل له مثلما أقول لك فقال لها قولي ما بدا لك فقالت إني امرأة كان لي زوج اسمه أحيحة بن الجلاح الأوسي و كان كثير المال فلما تز ج بي شرطت عليه أنه متى أساء فارقته كان من قصتي أني رزقت منه ولدا فأردت أن أفارقه فأخذت الأنوار ص : 38خيطا و ربطت فيه رجل الطفل فجعل يبكي تلك الليلة و جعلنا نساهره حتى مضى من الليل ثلثه أو نصفه فقطعت الخيط من رجل الطفل فنام عند ذلك هو و أبوه فخرجت إلى أهلي فلما انتبه الرجل لم يجدني فعلم أنها مني حيلة و أنا قد عرفتك بهذا الحديث لتوصي بذلك أخاك لكي لا يخفى عليه شي ء من أمري و لا يشتغل عني ببعض نسائه. فعند ذلك قال المطلب اعلمي أن أخي تطاولت إليه الملوك في خطبته و رغبوا في تزويجه فأبى حتى أتاه هاتف في منامه فأخبره بخبرك فرغب فيك و أراد أن يستودعك الذي استودعه من الأنبياء فأسأل الله أن يتم لك السرور و يقيك شر كل محذور. ثم إنه خرج من عندها و هي

تشتغل بشأنها و معها نساء من قومها. فمضى المطلب إلى أخيه و أخبره بما قالت سلمى فضحك هاشم من ذلك الكلام ثم قال له قد بلغت الرسالة.

الأنوار ص : 39 ثم إن هاشم أقام أياما و دخل على زوجته سلمى في مدينة يثرب و حضر عرسها الحاضر و البادي من جميع الجهات و دخل هاشم فرأى ما يسره من الحسن و الجمال و الهيبة و الوقار ثم إن سلمى دفعت إليه جميع مالها الذي عندها و زادته أضعاف ما دفع إليها فلما واقعها حملت منه في ليلتها بعبد المطلب جد رسول الله ص. فهذا حديث تزويج سلمى بنت عمرو النجار و ما جرى في تزويجها من الأحاديث و العجائب و الغرائب. قال الراوي و تم معها أيام عرسها في خير وافر و عز شامل و أهل يثرب كل يوم يعملون الولائم و يطعمون الناس إكراما لهاشم و أصحابه و سلمى قد زادها حسنا و جمالا على حسنها و هم يهنئونها على ذلك الشرف العالي الذي خصها الله به و خص قومها و افتخارها. فيها تحدثت الكهان و الأحبار عن صفة رسول الله ص و أن يكون الخير الكامل و العز

الشامل فهو بفضل رسول الله الأنوار ص : 40و ما يكون من ولد هاشم و ما يتم له من القتال مع اليهود و سلمى و قومها يقتلون اليهود و يرجعون اليهود بالذلة و الانكسار و قال و لم يقم عندها هاشم إلا أياما قلائل و سافر إلى غرة الشام و مات بها رحمة الله عليه و الحمد لله رب العالمين و قد كمل الجزء الأول من كتاب الأنوار أنوار رسول الله ص
الأنوار ص : 41الجزء الثاني من كتاب الأنوار في مولد النبي محمد ص

قال حدثنا أشياخنا و أسلافنا الرواة لهذا الحديث لما تزوج هاشم بن عبد مناف بسلمى بنت عمرو النجار و انتقل النور الذي كان معه في وجه سلمى و زادها حسنا و جمالا و بهاء و كمالا و قدا و اعتدالا حتى كان الناس يتعجبون من حسنها و جمالها و شاع في جميع الآفاق و كانت إذا مشت يهنئها الشجر و المدر و الحجر بالتحية و الإكرام و تسمع قائلا يقول السلام عليك يا سلمى السلام عليك يا خيرة النسوان و لم تزل تحدث الناس حتى حضر هاشم و كانت تكتم أمرها عن قومها حتى إذا كان ليلة من الليالي سمعت قائلا يقول الأنوار ص : 42
لك البشر إذ أوتيت أكرم من مشى و خير الناس من حضر و بادي

قال فلما سمعت بذلك قالت لم أدع هاشم يلامسني و لا يقاربني بعد هذا اليوم ثم إن هاشم أقام في المدينة أياما حتى اشتد حمل سلمى و خرج إلى غرة الشام و قام يوصي أزواجه و قال يا سلمى إني أودعك الوديعة التي أودعها الله تعالى آدم ثم أودعها آدم شيث ثم أودعها شيث ولده من بعده و لم يزالوا يتوارثونها من واحد بعد واحد إلى أن وصلت إلينا و قد شرفنا الله بهذا النور و قد أودعه إياك و أنا آخذ عليك العهد و الميثاق بأن توقيه و تحفظيه و إن أنت أتيت به و أنا غائب فليكن عندك بمنزلة الحدقة من العين و الروح بين الجنبين و إن قدرت على أن لا تراه العيون فافعلي فإن له حسادا و أضدادا و أشد الناس عليه عداوة اليهود و قد رأيت ما جرى بيننا و بينهم بالأمس يوم خطبتك و إن لم أرجع من سفري هذا فليكن عندك مكرما محفوظا إلى أن يترعرع و احمليه إلى الحرم دار عزه و نصره ثم قال سمعت و حفظت ما قلت لك قالت نعم سمعت الأنوار ص : 43و حفظت غير أنك أوجعت قلبي بكلامك و أسأل الله العظيم أن يردك سالما ثم خرج إلى أصحابه و أخيه المطلب و أقبل إليه و قال يا ابن أبي و عشيرتي من بني لؤي اعلموا أن الموت سبيل لا بد منه و أنا راحل عنكم و لا أدري أرجع أم لا و أنا أوصيكم بالاجتماع و إياكم و التفرق و الشتات فتذهب حميتكم و تهان مقدرتكم عند الملوك و يطمع فيكم الطامع و هذا أخي المطلب أعز إخوتي من أمي و أبي و أعز الخلق علي فإن سمعتم نصيحتي فقدموه و سلموا إليه مفاتيح الكعبة و سقاية الحاج و لواء نزار و نعل شيث و قميص إبراهيم و قوس إسماعيل و خاتم نوح و الوفادة و الرفادة و كل ما كان من مكارم الأنبياء و كل ما كان لعبد مناف

فإذا فعلتم ذلك سعدتم و إني موصيكم بولدي الذي اشتملت عليه سلمى بنت عمرو إنه يكون له شأن عظيم فلا تخالفوا قولي قالوا سمعنا و أطعنا غير أنك كسرت قلوبنا بوصيتك و أزعجت فؤادنا بقولك هذا ثم إن هاشم سافر إلى غرة الشام بالتجارة و حضر موسمها

فباعها جميعا و لم يبق من بضاعته شي ء و اشترى ما يصلح له و اشترى لسلمى طرفا و تحفا ثم إنه تجهز للسفر الأنوار ص : 44فلما كان في الليلة التي عزم فيها على السفر و الرجوع إلى وطنه طرقته العلة و الفجعة و جاءته السرعة و حوادث الزمان فأصبح مثقلا فارتحلت القافلة و بقي هاشم وحده مع عبيده و غلمانه و أصحابه فقال لهم الحقوا برفقتكم فإني هالك لا محالة ارجعوا إلى مكة و إن مررتم بيثرب فأقرءوا زوجتي مني السلام و أخبروها بخبري و عزوها بشخصي و وصوها بولدي فهو أكبر همي و لولاه ما نلت أمري قال فبكوا القوم بكاء شديدا و قالوا ما نبرح من عندك حتى ننظر ما يكون من أمرك ثم أقاموا تلك الليلة فلما أصبح الصباح على هاشم ترادف عليه الأمر و اشتد عليه القلق فقالوا له كيف تجد نفسك فقال لا مقام لكم عندي أكثر من يومي هذا و غدا توسدوني التراب قال فبكوا القوم و علموا أنه مفارق الدنيا و لم يزالوا يساهرونه إلى الفجر ثم قال لهم أقعدوني و ائتوني بدواة و قرطاس ثم إنهم أتوه بما طلب و جعل يكتب و أصابعه ترتعد و هو يقول باسمك اللهم هذا كتاب كتبه عبد ذليل و قد جاءه أمر مولاه بالرحيل أما بعد فإني قد كتبت لكم هذا الكتاب و روحي من

الأنوار ص : 45 الموت تجذب و ما لي لا أجد من الموت مهرب و إني نفذت إليكم جميع أموالي و ضيعتي يا إخواني تقاسموها بينكم بالسوية و لا تنسوا البعيدة الغائبة التي أخذت جمالكم و احتوت على عزكم و جمالكم سلمى بنت عمرو فلا تنسوها و أوصيكم بولدي الذي منها و قولوا لخالدة و صفية و رقية و باقي النساء يبكون بالفجيعة و يندبوني ندب الثكلى و بلغوا سلمى عني أفضل السلام و قولوا لها آه ثم آه إني لم أشبع من قربها و لا من النظر إليها و لا إلى ولدي و السلام عليكم إلى يوم النشور ثم طوى الكتاب و ختمه بخاتمه و دفعه إلى بعض أصحابه ثم قال أضجعوني فأضجعوه فشخص ببصره نحو السماء ثم قال رفقا بي أيها الرسول بما حملت من نور المصطفى فكأنما كان مصباحا فانطفى ثم مات رحمه الله فعند ذلك جهزوه و دفنوه و قبره معروف قال ثم عطفوا عبيده و غلمانه على رحله و متاعه و أمواله.

اليوم هاشم قد مضى لسبيله يا عين فابكي الجود بالعبرات إن ابن كعب قد مضى لسبيله يا عين فابكي الجود بالعبرات و ابكي على البدر المنير بحرقة و ابكي على الضرغام طول حياتي

الأنوار ص : 46صعب الكريهة لا به ألم و لا فشل غداة الروع و الكربات يا عين ابكي غيث جود هاطل أعني به ابن عبد مناف و الخيرات و ابكي لأكرم من مشى فوق الثرى فلأجله قد أذرفت زفرات

قال و سار القوم حتى قاموا إلى يثرب فلما قربوا منها بكوا و نادوا وا هاشماه وا عزاه فخرجن النساء إليهم مع سلمى و أبيها و قومها و نظروا إلى مطايا هاشم و قد جزوا نواصيها و كل مطية من مطايا هاشم عليها شي ء من ثياب هاشم قال فلما سمعت سلمى بموت هاشم شقت جيبها و لطمت خدها و نادت وا هاشماه مات و الله من بعدك الكرم و العز من لولدك الذي لم تره عيناك قال فضجوا النساء بالبكاء و النحيب ثم إن سلمى أخذت سيفا من سيوف هاشم و عطفت على ركاب هاشم فعقرتها و حسبت ثمنها على نفسها و قالت أقرءوا المطلب مني السلام و قولوا له إني على عهد أخيه و إن الرجال حرام علي بعده قال ثم ساروا عبيده و غلمانه إلى مكة و كان قد سبقهم الناعي إلى عبد المطلب و أولاده فأقبلوا أهل مكة بالبكاء و النحيب و الضجيج و النوح و العويل و خرجت سادات بني عبد المطلب الأنوار ص : 47لابسين السواد و نساؤهم كذلك فأقبلت خالدة تلومهم حيث لم يحملوه إلى الحرم و جعلت تقول

يا أيها الناعون أكرم من نشا الفاضل ابن الفاضل ابن الفاضل أسد الشرى لا زال يحمي أهله من ظالم
أو معتد بالباطل ماضي العزيمة أروع ذو همة عليا و جود كالسحاب الهاطل زين العشيرة كلها و
عمادها عند الهزاهز طاعنا بالذابل إن السميدع قد ثوى في بلدة بالشام بين صحاصح و جنادل

فلما فرغت من شعرها أقبلت إليهم ابنته الشعثاء و قالت بئس العشيرة ضيعوا سيدهم و سلموا عمادهم أ ما كان هاشم عليكم شفيقا إذا نزل به الموت فلم لا تحملوه إلى بلده و عشيرته لنشاهده و بكت و قالت

يا عين جودي و سحي دمعك الهطلا على الكريم ثوى بالشام ثم خلازين الوى ابن من ألقى به كرما و
لم يرى في يديه مذ نشا بخلا

فلما فرغت من شعرها تقدمت ابنته طليقة و جعلت تقول

يا أيها الركب الذي تركتموا كريمكم بالشام رهن مقام أ لم تعلموا ما قدره و مقامه ألا إنكم أولى الورى
بملام

الأنوار ص : 48فيا عبرتي لا تملي فقد مضى أخا الجود و الإنصاف تحت رخام

فلما فرغت من شعرها تقدمت ابنته رقية و كانت آخر من بكى قالت

يا عين جودي بالبكا و العويل لأخا الفضل و السخاء الجليل طيب الأصل في العزيمة ماض سمهري
في النائبات أصيل

قال فبكى القوم لذلك و فكوا كتابه و قرءوه فلما رأوا ما فيه جددوا أحزانهم و بكاءهم ثم قدموا أخاه المطلب و سيدوه و قال إن أخي عبد شمس أكبر مني سنا و أحق مني بهذا المكان فقال عبد شمس و ايم الله إنك لخليفة أخي هاشم قال فرضوا أهل مكة بذلك و سلموا إليه مفاتيح الكعبة و السقاية و الوفادة و لواء نزار و قوس إسماعيل و قميص إبراهيم و خاتم نوح و نعل شيث و كان في أيديهم من مكارم الأنبياء قال صاحب الحديث ثم إن سلمى اشتد بها أيام حملها و جاءها المخاض و هي لا تجد وجعا و

لا ألما إذ سمعت هاتفا و هو يقول
يا زينة النسا من بني النجار بالله اسدلي عليه بالأستارو احجبيه عن أعين النظار لتسعدي من جملة الأقطار

الأنوار ص : 49قال فلما سمعت بذلك أغلقت الباب عليها و كتمت أمرها فبينما هي تعالج ما هي فيه إذ نظرت حجاب من نور قد ضرب من حولها من الأرض إلى عنان السماء و حبس الله عنها الشيطان الرجيم فولدت يومئذ بشيبة فقامت من وقتها و ساعتها و تولت نفسها فلما ولد سطع من غرته نور شعشعاني و كان ذلك النور نور رسول الله و الطفل قد ضحك و تبسم قال فتعجبت منه أمه ثم نظرت إليه و إذ في رأسه شعرة بيضاء فقالت نعم أنت شيبة كما سميت صغيرا ثم إن سلمى أدرجته في ثوب من صوف و لم يعلم به أحد من قومها حتى مضت له أيام و صارت تلاعبه و يضحك لها قال فلما كمل له شهرا علموا الناس فأقبلوا إليها القوابل فوجدوه يلاعب إبهامه قال فلما صار له شهران مشى و لم يكن على اليهود أشد منه عداوة و كانوا إذا نظروا إليه امتلئوا غيظا و حنقا و كمدا لما يعلمون ما يظهر من خراب ديارهم و قلع آثارهم و كانت سلمى إذا ركبت ركب معها أبطال الأوس و الخزرج و كانت مطاعة فيهم و كان إذا طلع يلعب مع الأولاد تحبه الناس دون أولادهم و كانت أمه لا تأمن الأنوار ص : 50عليه أحد فلما تم له سبع سنين اشتد حيله و قوي بأسه و تبين للناس فضله و كان يحمل الشي ء الثقيل و يصرع به الصبي فشكوا الناس إلى أمه ما يفعل بأولادهم قال الراوي و بلغنا أن رجلا من بني الحرث دخل إلى يثرب و هو في حاجة فإذا بابن هاشم يلعب مع الصبيان و قد عم نوره البلاد فوقف الرجل و هو ينتدب بين الأولاد و يقول أنا ابن زمزم و الصفا و المقام أنا ابن هاشم و كفى قال فناداه الرجل و قال يا فتى فقال ما تريد يا عم فقال ما اسمك فقال شيبة بن هاشم بن عبد مناف و قد مات أبي و جفوني عمومتي و نسوني أهلي و بقيت عند أمي و أخوالي فمن أين أقبلت يا عم قال من مكة فقال و هل أنت ستحمل لي برسالة و متقلد إلي أمانة فقال الحرث و حق أبيك و أبي أفعل ما أمرتني به ثم قال يا عم إذا رجعت إلى بلدك سالما و رأيت بني عبد مناف فأقرئهم

عني السلام و قل لهم إن معي رسالة من يتيم قد مات أبوه و جفوه أعمامه ثم قل يا بني عبد مناف ما أسرع ما نسيتم وصية هاشم و ضيعتم نسله و إذا هبت الريح تحمل ريحكم إليه قال فبكى الرجل و استوى على ظهر راحلته و أرسل الأنوار ص : 51زمامها حتى قدم مكة فلم يكن له همة إلا رسالة الغلام ثم أتى إلى مجلس بني عبد مناف فوجدهم جلوسا فأنعمهم صباحا و قال يا بني عبد مناف أراكم قد غفلتم عن عزكم و تركتم مصباحكم يستضي ء به غيركم فقالوا ما سبب ذلك فأخبرهم بوصية الغلام ابن أخيهم فقالوا ما شاهدناه أنه صار إلى هذا الأمر فقال لهم الحرث و الله إنه ليعجز منه الفصحاء

لفصاحته و يعجز عنه اللبيب لكلامه و عن خطابه و إنه لفصيح قوي الجنان فائق على الغلمان أديب إلى عقله الكفاية و إلى جوده النهاية قال فلما سمع المطلب ذلك جعل يقول شعرا صلوا على النبي و آله أقسمت بالسلف الماضين من مضر و هاشم المعروف في الأمم لأمضين إليه الآن مجتهدا و أقطن إليه البيد في الظلم السيد الماجد المشهور من مضر نور الأنام و أهل البيت و الحرم

قال و كان المطلب أشد أهل زمانه بأسا و أعظم مراسا فقالوا له إخوته نخشى عليك أن تعلم به أمه سلمى و لا تدعه يخرج معك لأنها شرطت على أخيك بذلك فقال يا قوم إن لي في ذلك الأنوار ص : 52أمرا دبره العزيز الحكيم ثم إنه تأهب للخروج و أفرغ عليه لأمه حربه و ركب مطيته و أرخى زمامها إلى أن وصل يثرب و أخفى نفسه أن لا يشعر به أحد فتخبر سلمى عنه قال و لم يزل يترصد فوجد شيبة يلعب مع الصبيان فعرفه بالنور الساطع و الضياء اللامع الذي أودعه الله فيه و قد رفع صخرة عظيمة و قال أنا ابن هاشم المعروف بالعطايا قال فلما سمع كلامه أناخ مطيته و نادى ادن مني يا ابن أخي فأسرع إليه شيبة و قال له من أنت يا هذا فقد مال قلبي إليك و أظنك من بعض عمومتي فقال له أنا عمك المطلب فأسبل عبرته و جعل يقبله و قال يا ابن أخي أ تحب أن تمضي معي إلى بلاد أبيك و أعمامك و تكون في دار عزك فقال نعم و لكن أسرع بنا بالمسير فإنا نخشى أن يعلموا بنا أمي و عشيرتها فيلحقوا بنا و يأخذوني منك أ لم تعلم أنه يركب لركوبها أبطال الأوس و الخزرج فقال يا ابن أخي في الله الكفاية من كل رزية ثم ساروا و ركبوا الجادة الكبرى فأدركهم المساء بذي الحليفة فنزلوا و أوردوا مطاياهم ثم إن المطلب استوى على ظهر ناقته و أردف ابن الأنوار ص : 53أخيه قدامه و جرد سيفه قال فبينما هم كذلك إذ سمعوا صهيل الخيل و زعقات الرجال و قعقعة اللجم و همهمة الأبطال في جوف الليل فقال المطلب يا ابن أخي دهمنا و رب الكعبة فما نصنع فقال شيبة فما قلت لك يا عم إن القوم يلحقون بنا فاخرج بنا غير الجادة إلى الطريق السفلى فقال المطلب فكيف يخفى أمرنا و نو ك يدل علينا فقال يا عم استر وجهي قال فأخذ المطلب ثوبا فطواه ثلاث طويات و ستر به وجهه و إذا بالنور يسطع كما كان أول فقال المطلب يا ابن أخي إن لك شأنا عظيما و إن الذي أعطاك هذا النور يقدر أن يصرف عنا كل محذور قال فبينما هم يتخاطبون في الكلام

إذ أدركتهما الخيل و إذا هم خيل اليهود فلما رأوا شيبة علموا أنه سيخرج من صلبه من يسومهم سوء العذاب و يكون هلاكهم على يده و كان قد بلغهم أن شيبة خرج مع عمه فأدركهم الطمع في قتله قال فخرجوا في طلبه يقدمهم سيد من ساداتهم يقال له دحية اليهودي و سبب ذلك أنه كان له ولد يلعب مع الصبيان فأخذ شيبة عظم بعير و ضربه به فوق رأسه و شجه شجة عظيمة و قال يا ابن اليهود قد الأنوار ص : 54 قرب آجالكم و دنا قلع آثاركم يا ابن دحية قال فامتلأ غيظا و حنقا فلما علم بأن شيبة

خرج مع عمه و لا لهما ثالث صاح على اليهود و نادى يا معاشر اليهود هذا الذي تخشونه قد خرج مع عمه فأسرعوا إليه نقتله و نصرف عنا شره قال فخرجوا إليه مسرعين و كانوا سبعين فارسا فقوموا له الأسنة و أطلقوا الأعنة و لحقوا بشيبة و عمه ثم إن شيبة قال لعمه يا عم إن اليهود لحقوا بنا و هم أشد عداوة لنا و ما جاءوا إلا في طلبي فقال له يا ابن أخي لا تخف فو حق الكعبة الكبرى لا يصلون إليك بمكروه أبدا فقال يا عم أنزلني حتى أريك قدرة الله تعالى قال فنزله عمه و وصل إلى الأرض قصدوه القوم فجثا على الأرض و جعل يمرغ خده في الأرض و يقول اللهم رب الظلام العابر و الفلك الدائر و البحر الزاخر يا رب السبع الطباق و يا مسخر الرياح و يا مقسم الأرزاق بحق الشفيع المشفع و النور المستودع أن ترد عنا كيد أعدائنا يا رب الأرض و السماء قال فما استتم كلامه حتى هجمت عليه الخيل فما وصلت إليه و بقيت الخيل في وجل لا تقدر على المسير إليهما فاستجاب الله دعاءه قال فناداه لاطية بن دحية الأنوار ص : 55اليهودي و قال يا ابن هاشم اصرف الخطاب لقد أكثرت العتاب فنحن ما نشك فيك يا ابن عبد مناف و أنتم سادات كرام أهل الشرف و الأشراف من ولد عبد مناف و نحن ما خرجنا نريد به كيدكم و إنما نريد نردك إلى أمك فلقد كنت مصباح بلدنا فقال لهم شيبة يا ابن دحية اليهودي و وجوه القردة إني أراكم بعين البغضاء و

لكن ما رأيتم قدرة الله تعالى بأنكم لم تقدروا الوصول إلينا فإن الله حال بيننا و بينكم و قد نطقتم بالمكر و الوسواس ثم تركهم و مضى إلى عمه فقال المطلب يا خير من مشى إن لك عند الله شرفا عظيما فلما رجعوا اليهود خائبين قال لهم لاطية بن دحية اليهودي يا قوم أ لم تعلموا أنهم معدن السحر يتوارثونه جيلا بعد جيل قالوا بلى ثم قال يا بني إسرائيل إن المصيبة الكبرى أن يرجع هذا الجمع خائبا و هم اثنان و نحن سبعون فارسا فلما علموا أن الخيل لا تصل إليهم نزلوا عن خيولهم و جردوا سيوفهم و مشوا إليهم على الأقدام فلما قربوا من شيبة و عمه و حقت الحقائق و زالت العوائق أخذ المطلب قوسه و كان قوس إسماعيل و أخذ نبلة و جعلها الأنوار ص : 56في كبد قوسه و رمى بها اليهود فقتل بها رجلا و كان عبد لابن دحية فأتى إليه سيده و أخذ النبلة منه فمات لا رحمه الله تعالى قال فبينما هم متحيرين لأمرهم و إذا هم بنبلة أخرى فأصابت رجلا آخر فقتلته فصاحوا بأجمعهم و هموا بالرجوع فقال لهم دحية هيهات فإن رجعتم و قد قتلوا منكم رجلين فعار عليكم الرجوع فقالوا أيها السيد الكريم فما ترى من الحيلة فقال يا قوم و كم عندهم من النبال عسى أن يكون عشر فيصيبوا بها عشرة فإذا ظفرتم به قتلناه هو و عمه قال فحرضهم على القتال و لم يكن في القوم أشجع منه و كان يهزم الجمع وحده و كان من يهود خيبر فعند ذلك حملوا بأجمعهم يريدون شيبة و عمه المطلب و تقدمهم لاطية بن دحية و نادى يا ابن هاشم اسمع ما أقول لك و ما فيه من الصلاح لنا و لكم فلم يتكلم المطلب دون أن حمل على القوم و قال لهم إذا لم تقنعوا بما أتاكم مني دونكم مني النبال و كان راميا بالنبال فقال لاطية يا ابن عبد مناف إنما جئناكم

شفقة منا على شيبة نرده إلى أمه و هو في بلدنا مع أولادنا فقال لهم يا قوم ليس فيكم شفقة عليه و المقام

الأنوار ص : 57 عند أعمامه أحب إليه فانصرفوا راجعين قال كيف يرجع هذا الجمع خائبين فقال المطلب يا ابن أخي إن ظننت أن في كلامهم صدقا فارجع إلى أمك حتى تبلغ مبالغ الرجال و تعود إلى بلدك و بلد أبيك و جدك فقال شيبة يا عم لا يغرنك كلامهم فإن القوم أعداؤنا و أعداء آبائنا فإن الله يحول بيننا و بينهم فقال المطلب صدقت يا ابن أخي قال ثم إن المطلب اهتز في موضعه و كان من الأسود المعدودين بين الأبطال المعروفين فجاء نحو القوم و قال لهم يا حزب الشيطان بنا تمكرون و تخدعون فما ساقكم إلينا هذه الليلة إلا لقطع أعناقكم و اعلموا أن الأسد لا يقبض بالخدع و البحر لا يقاس بالدرع فمن شاء منكم فليبادر إلى القتال قال فلما سمع اليهود مقال المطلب قال لهم لاطية بن دحية اليهودي أ ما تعلمون أنه من فرسان بني عبد مناف الذي تعرفه الأبطال فمن يبرز إليه فله عندي مائة نخلة حاملة ليس فيها ذكر و لا حشف فقال له رجل من بني قريظة يقال له جمع بن براك و كان للاطية اليهودي عليه دين فقال له ابرز إليه و أترك المال الذي لي عليك و لك مثله قال فبرز اليهودي إلى الأنوار ص : 58المطلب و هو لا يلتفت إليه حتى قرب منه فالتفت إليه المطلب و قال له لا شك أن الله تعالى ساقك إلي قال فعاجله بضربة فلق بها هامته و أقبلت اليهود و أحاطوا به فرأوه قد قتل فلما رأى لاطية ما حل بصاحبه غضب غضبا شديدا ثم قال من يبرز إليه و له عندي ما يريد فقال رجل من اليهود ما لهذا البطل إلا بطل مثله فابرز إليه أنت يا ابن العم فقال لاطية حبا و كرامة و قد أخذته الحمية و غضب ثم تجرد من أطماره و ركب جواده و أخذ سيفه و جحفته و عزم على القتال قال فلما رآه المطلب أقبل مسرعا إلى سيفه و أخذه بيده و رجع إلى عدو الله قاصدا فتقابل الكبشان و تناطحا بالرمحين حتى مضى أكثر الليل و اليهود فرحين لما برز لاطية إلى المطلب و شيبة واقفا يدعو لعمه بالنصر و عيناه تذرفان دموعا على عمه حين

عاين ذلك فلما طال ذلك عليهما و قد مل كل واحد من صاحبه و إذا هم بغبرة قد ثارت كأنها قطع ليل مظلم و قد سد الآفاق و امتلأت منه الفلوات و قد ارتفع صهيل الخيل و زعقات الرجال و هم قاصدون نحوهم و قد لاح بريق الأسنة و لمعان السيوف فتأملوا تلك الغبرة الأنوار ص : 59فانكشفت عن أربعمائة فارس قال فخرجوا اليهود ينظرون إلى الخيل و إذا هم بفرسان الأوس و الخزرج و أبطال يثرب قد أقبلوا مع سلمى و أبيها عمرو و جماعة من قومها فلما رأوا اليهود ذلك اجتمعوا على شيبة و عمه فلما رأت سلمى ذلك صاحت على اليهود ثم قال المطلب يا عدو الله إلى أين الفرار من الموت ثم لحقه و ضربه بالسيف على عاتقه فقسمه نصفين و عجل الله بروحه إلى النار و جالوا بعضهم بعضا فما كان

إلا ساعة إلا و اليهود قد قتلوا عن آخرهم فعند ذلك عطفوا على المطلب و سيفه مشهور بكفه و دفع القوس إلى ابن أخيه فلما مالت عليهم الكتائب خشيت سلمى أن يصيبوا ولدها بحوافر الخيل فأومأت إلى الخيل و كانت مطاعة فيهم أن أمسكوا فأمسكوا و وقفوا و تقدمت سلمى إلى المطلب و نادته من الهاجم علينا و على مرابط الأسد و الخاطف من اللبوة شبلها و الخارج به من البلد فقال المطلب هو يزيده شرفا إلى شرفه و عزا إلى عزه و الشفيق عليه أكثر منكم و يرجو أن يكون صاحب الحرم و المتولي الأصم ما أنا بعدو و لا معاند و أنا عمه و جماله فلما سمعت كلامه قالت من أنت من

الأنوار ص : 60 أعمامه قال أنا المطلب الذي زوجتك من أبيه فقالت له عند ذلك مرحبا بك و أهلا و سهلا و لكن كان الواجب عليك أن تستأذني في ولدي قبل إخراجك به من البلد أ ما علمت بأني قد شرطت على أبيه إن رزقني الله ولدا لا يفارقني فقال المطلب إني أعلم بذلك ثم أقبلت سلمى على ولدها و قالت يا ولدي عصيتني و خرجت مع عمك هاربا و ايم الله ما حملني على الخروج إلا هؤلاء المجوس و الأرجاس و طلبهم لكم و الآن يا ولدي و قطعة كبدي إن أحببت أن ترجع معي و إن أحببت أن تمضي مع عمك فأنت في حل فلما سمع شيبة كلام أمه طأطأ رأسه و أمسك عن الكلام فقالت يا ولدي و ما الذي أسكتك عن الكلام و أنا أعلم أنك طلق اللسان قوي الجنان جسورا في الخطاب فبحق أبيك أنني لا أمنعك عن شهوتك فرفع رأسه و خنقته العبرة و جعل ينظر عمه تارة و أمه أخرى فلما علمت أمه يريد عمه قالت ما لك لا تكلمني قال أخشى مخالفتك لأن الله سبحانه و تعالى فرض علي طاعتك و أنت أحق بي من البعيد و القريب بحملك بي و تربيتك و رأفتك علي و لكن أريد النظر إلى الأنوار ص : 61أعمامي و أهلي فإن أمرتيني بالرجوع رجعت قال فلما سمعت كلامه و علمت إرادته قالت له يا بني لا أردك عما أردت و قد سمعت لك بالرضا مني و أنه ليعز على مفارقتك و وحشتك على عظيمة و قد كنت مستأنسة بك عما مضى فلا تنساني و لا تقطعني أخبارك ثم ودعته و قبلت ما بين عينيه و قالت يا ابن عبد مناف لقد سمعت ما قال أخوك و لقد سلمت إليك الوديعة التي استودعني إياها أخوك منه العهد و الميثاق فإذا بلغ مبالغ الرجال و لم أكن حاضرة عنده فانظر بمن تزوجه فقال المطلب تكرمت بما فعلت و أجملت بما صنعت ثم أقبل عليها يودعها و يثني عليها و على أبيها و قومها فقالت سلمى خذوا من الخيل و الجمال ما تحملون به فقال لها المطلب الشكر لله و لك و لقومك ثم إنه أردف ابن أخيه و سار حتى دخل مكة فأنارت شعابها و أضاءت أنوارها و أقبل الناس ينظرون

إليه فإذا هم بالمطلب يحمل ابن أخيه فقالوا أين ابن عبد مناف و ما هذا الذي أضاءت من نوره المشاع فقال

الأنوار ص : 62 هو عبدي فقالوا ما أجمل هذا العبد فسمي من ذلك اليوم عبد المطلب فأقبل إلى منزله

و تركه و كتم أمره عن الناس ثم إن عبد المطلب ظهرت له آيات و معجزات و مناقب و دلائل على النبوة و الحمد لله رب العالمين قد كمل الجزء الثاني و يتلوه الجزء الثالث
الأنوار ص : 63الجزء الثالث من كتاب الأنوار في مولد النبي محمد ص

قال صاحب الحديث فلما قدم المطلب بابن أخيه شيبة و نور رسول الله ص لائح بين عينيه أتت قريش به يتبركون حتى إذا أصابتهم مصيبة أو نزل بهم قحط أو دهمهم عدو يأتون إليه و يتوسلون بنور رسول الله ص فيفرج الله عنهم ما نزل بهم و كان أعجب عجيبة و أعظم آية ظهرت لهم فيما جرى لأصحاب الفيل و أبرهة بن الصباح و كان ملك اليمن و قيل ملك الحبشة و هو صاحب الفيل الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز و كان قد أشرفوا أهل مكة على الهلاك و كان منه أنه أراد أن يهدم الكعبة شرفها الله تعالى فكشف الله عن الأنوار ص : 64البيت و أهله ببركة عبد المطلب قال صاحب الحديث ساروا جماعة من قريش إلى بلد الحبش بتجارة فنزلوا في البلد و دخلوا في كنيسة من كنائس النصارى و أوقدوا فيها نارا يصطلون عليها و يصلحون لهم طعاما ثم إنهم خرجوا و لم يطفئوها فهبت عليها ريح فأحرقت كنيستهم و ما فيها فسألوا النصارى عن حرق الكنيسة فقالوا حرقوها تجار مكة قال فلما علم الملك النجاشي أن العرب أحرقوا معبده غضب و أقسم إني لأحرق معبدهم جهارا بما فعلوا بمعبدنا هذا الفعل فأرسل وزيره أبرهة بن الصباح و أرسل معه أربعمائة فيلا و مائة ألف مقاتل و قال امضوا إلى كعبتهم و أخربوها و ارموا أحجارها في البحر و اقتلوا رجالهم و انهبوا أموالهم ثم أمر المنادي ينادي بالجيش و المسير إلى مكة ثم هيأ ما يحتاجون إليه من السلاح و العدة و الدواب و الأفيال و سار القوم و جعلوا في مقدمة الجيش رجل من أرباب دولته يقال له الشمردل و كان قدمه في عشرين فارس و أمره أن ينزل على مكة و قال له اقتل رجالها و انهب أموالها حتى آتيك بالعسكر الأنوار ص : 65قال السمع و الطاعة و سار الشمردل يحث السير حتى نزل على مكة فلما سمعوا أهل مكة العسكر نزل بهم جمعوا دوابهم و أموالهم و هموا بالخروج من مكة هاربين من أصحاب الفيل فلما رآهم عبد المطلب قال لهم يا قوم هل يجمل لكم هذا الأمر لأنه عار عليكم

خروجكم من كعبتكم قالوا إن الملك أقسم أنه لا بد له من هدم الكعبة و يرمي أحجارها في البحر و يقتل رجالها و يذبح أطفالها فاتركنا نخرج قبل أن يحل بنا الويل فقال لهم إن للكعبة مانع يمنع عنها و لا يصل إليها أحد بمكروه فإن التجأتم و اعتصمتم بها فهو خير لكم قال فلم يطمئنوا إلى كلامه و قد غلب عليهم الخوف و خرجوا منها هاربين يطلبون الجبال و الشعاب و منهم من ركب البحر قال فعند ذلك أقبلوا و قالوا لعبد المطلب ما الذي يمنعك من الخروج معنا قال أستحي أن أهرب عن بيت الله و حرمه فو الله ما أبرح من مكاني هذا و لا أهرب عنه و لا أفارق بيت الله حتى يحكم الله بيني و بينهم قال و

لم يبق في مكة إلا عبد المطلب و أقاربه و أولاده و هم غير آمنين فلما نظر عبد المطلب إلى الكعبة و هي خالية قال الأنوار ص : 66اللهم أنت أنيس المستوحشين و لا وحشة معك فالبيت بيتك و الحرم حرمك و الدار دارك و نحن عبيدك و جيرانك تمنع عنا ما تشاء و إنك على كل شي ء قدير قال و أقام الشمردل في جيشه حتى أقبل أبرهة بن الصباح و معه بقية الجيش و هم أربعمائة فيل قد كدروا المياه و حطموا المراعي و سدوا المسالك و الفجاج قال فضربهم الجوع و العطش من كثرتهم قال فشكوا ذلك إلى أبرهة بن الصباح فقال لهم سيروا إلى الكعبة مسرعين قال فساروا إلى الكعبة مسرعين و قربوا منها و نهبوا دوابها و مواشيها و أموالها و ساقوا جميع ما في الأبطح من المواشي و كان لعبد المطلب ثمانون ناقة حمر الوبر سود الحدق فأخذوها جميعا و تقاسموها فمضت الرعاة و أخبو ا عبد المطلب بذلك فلما سمع عبد المطلب بذلك قال الحمد لله هي مال الله و ضيافة لأهل بيته و نحن ضيفانه و أهل بيته و زواره و حجابه فإن سلمها فهي له و إن ردها فهي من إحسانه و هي عارية و أمانة عندنا ثم إن عبد المطلب لبس قميصه و تردى بردائه و احتزم بمنطقة الخيل و تنكب بقوس إسماعيل و استوى على مطيته و عزم على الخروج فقالوا له

إخوته

الأنوار ص : 67 إلى أين تريد فقال أريد هذا الظالم الذي أخذ مال الله و تعرض لحرم الله فقالوا له أقاربه ما كنا بالذي نطلق سبيلك حتى تمضي إليه فإن هذا مثل البحر فمن دخله غرق و أنت قد اعتصمت برب هذه الكعبة و اعتصمنا معك و رضينا لأنفسنا ما رضيت لنفسك و أنت تريد تخرج من الحرم إلى شر الأمم فلا نسمح لك فقال عبد المطلب إني أعلم من فضل ربي ما لا تعلمون فخلوا سبيلي فإني سأرجع إليكم عن قريب قال فخلوا سبيله فسارت به مطيته كالريح الهبوب فلما أشرف على القوم نظروا إليه من بعيد و هو كأنه البدر إذا بدر و الصبح إذا أسفر فلما عاينوا من قريب بهتوا و بادروا و قد كف الله تعالى أيديهم عنه و قالوا من أنت أيها الرجل الجميل بهيج الغرة فقال أنا صاحب النور الزاهر و الضياء اللامع الباهر فقالوا إن كنت من أهل هذا البيت فنحن نسألك أن ترد من هاهنا شفقة منا عليك فقال إني أريد الملك بنفسه فقالوا إن الملك أقسم بمعبوده أن لا يترك من قومك أحدا فقال لهم عبد المطلب إني لآتيه قاصدا فعند ذلك تصارخت القوم و قال بعضهم لبعض ما رأينا مثل الأنوار ص : 68هذا الرجل بالحسن و الجمال و البهاء و الكمال غير أنه ناقص العقل نحن نقول له إن الملك أقسم بمعبوده ألا يترك أحدا من هذه البلدة و هو يقول لا بد من لقاء ملككم هذا قال فخلوا سبيله فمضى حتى دخل على الملك فقالوا أرباب الملك لقد قدم علينا هذه الساعة من مكة رجل لم يفزع و لم يجزع فقال الملك علي به و ائتوني به مسرعا فو حق ما أعتقده من ديني لو سألوني أهل الأرض كلها ما قبلت منهم فيه وسيلة و ما تركته من القتل قال فعند ذلك أقبل الغلام إلى عبد المطلب ليأتون به إلى الملك

فقال عبد المطلب إني قادم بنفسي إلى الملك قال فأمر الملك قومه أن يشهروا الأسلحة و يأخذوا أسلحتهم لقتل عبد المطلب و جعل الملك على رأسه تاجا و شد عمامته على جبهته و أمر سياس الفيل أن يحضروا الفيل الأعظم يقال له المذموم

و قد ركبوا على رأسه قرنين من حديد فلو نطح جبلا راسيا لألقاه و قد علقوا على خرطومه سيفين من سيوف الهند و علموه الحرب و وقفوا الساسة قريبا منه و قال لهم الملك إن أمرت لكم عند دخول هذا المكي فأطلقوه عليه حتى الأنوار ص : 69يدوسه بكلاكله قال فدخل عبد المطلب و العسكر وقوفا صفوفا بين يديه ينظرون ما يأمرهم به في حال عبد المطلب و هم بهوت شاخصين بأبصارهم و عبد المطلب لا يلتفت إليهم حتى جاوز أصحاب الفيل فأشار إليهم الملك بإطلاق الفيل فأطلقوه فلما قرب الفيل من عبد المطلب برك الفيل على الأرض و جثا على ركبتيه و كان قبل ذلك إذا أطلق تحمر عيناه و يضرب بخرطومه و فيه سيفان فلما قرب من عبد المطلب سكن و لم يفعل شيئا قال فتعجب الملك و أصحابه من ذلك ثم ألقى الله تعالى في قلبه الهلع و الفزع و الجزع و ارتعدت فرائصه و تمزق بغيظه فأقبل الملك أبرهة بن الصباح على عبد المطلب فتنحى عنه حتى جلس على سريره إلى جانبه و رحب به و حياه فالتفت إلى الشمردل بن مقصود و قال له كلما طلب منك هذا الرجل فاقض حاجته ثم التفت إليه الملك و قال من أنت و ما اسمك فما رأيت رجلا أجمل وجها و لا أحسن بهجة منك و إن لك عندي ما سألت و لو سألتني الرجوع عن بلدك لرجعت فقال عبد المطلب لا أسألك شيئا من ذلك إلا أن قومك غاروا علينا

الأنوار ص : 70 و أخذوا مني ثمانين ناقة و كان قد أعددتها للحجاج لبيت الله الحرام فإن أردت أن تردها علي فافعل قال فأمر الملك بردها فأحضرت الجميع ثم التفت إلى عبد المطلب فقال هل من حاجة غيرها فاسألني عنها فقال عبد المطلب ما أريد غيرها فقال له أبرهة فلم لا تسألني الرجوع عن بلدك فإني أقسمت أن أهدم كعبتكم و أقتل رجالكم و لكن لعظم قدركم عندنا لو سألتني الرجوع عنها لرجعت فقال عبد المطلب إني لا أسألك عن شي ء من ذلك فقال الملك يا عبد المطلب إني لأخرج في أثرك بخيلي و أفيالي و رجالي و جنودي فأخرب الكعبة و نواحيها و أقتل سكانها فقال له عبد المطلب إن قدرت على ذلك فافعل و انصرف عبد المطلب فمر على الفيل الأعظم فلما قرب منه سجد له الفيل و تمرغ له بين يديه فمضى عبد المطلب و أقبل الوزراء يلومونه كيف خلى سبيله قال ويحكم لا تلوموني أ لم تروا كيف سجد له الفيل و لقد أوقع الله في قلبي منه هيبة عظيمة ثم قال ما تشيرون علي به و ما عندكم من الرأي فقالوا الرأي عندنا لا بد من المسير إلى مكة و نخربها و نرمي بأحجارها الأنوار ص : 71في البحر فعند ذلك أمر الملك أبرهة بالجموع و الجيوش أن تسير إلى مكة شرفها الله تعالى فقدموا الفيل

الأعظم و سارت الفيلة و الخيل خلفه و سار العسكر إلى مكة. و أما ما كان من عبد المطلب فإنه لما وصل إلى أهله و بني عمه فرحوا و استبشروا به و أقبلوا يقبلون يديه و رجليه و هم يقولون الحمد لله الذي حفظك و حماك بفضل هذا النور الذي في وجهك ثم سألوه عن الجيش فأخبرهم بخبره و بقصتهم و خبر الفيل فقالوا له ما ذا تأمرنا فقال لهم يا قوم اخرجوا بنا إلى جبل أبي قبيس حتى ينفذ الله حكمته و مشيئته فخرجوا القوم و أولادهم و دوابهم و خرج عبد المطلب و إخوانه و أهله و أقاربه و أخذ مفاتيح الكعبة و سار إلى جبل أبي قبيس و أقبل عبد المطلب يسير بين الصفا و المروة يدعو و يبكي و يتوسل بنور محمد المصطفى و يقول يا رب

إليك المهرب أسألك بالكعبة العظمى العليا ذات الحجيج و الموقف العظيم يا رب ارم الأعداء بسهم الغضب حتى يكونوا كالحصيد المنقلب و إذا هو بهاتف يسمع صوته و لا يرى شخصه و هو يقول قد أجبت الأنوار ص : 72دعوتك و بلغت طلبتك كرما للنور الذي في وجهك قال فنظر يمينا و شمالا فلم ير أحدا ثم قال لمن معه و هو على جبل أبي قبيس و قد نشروا شعورهم و هم يبتهلون بالدعاء و يستبشرون بإجابة الدعاء ثم قال لهم إني رأيت النور الذي في وجهي قد علا قال فعند ذلك زحفوا القوم إليه فلما قربوا منهم رجفوا القوم و تضرعوا إلى الله تعالى قال فبينما هم كذلك إذ أشرفت عليهم غبرة الفيل و ظهر القوم و تقاربت الصفوف و لاح لهم بريق الأسنة ثم انكشف الغبار عن الفيل فنظروا إليه فإذا هو كالجبل العظيم و قد ألبسوه الحديد و زينوه بزينته قال فاشتد في مكة قلقهم و انهملت عبراتهم و تضرع عبد المطلب فما فرغ من دعائه حتى وقف الفيل مكانه فصرخت به السياس و زجرته فلم يلتفت إليهم فوقف مكانه و قد دهش من ذلك فقال الأسود بن مقصود و هو مقدم على السياس ما خبركم قالوا الفيل قد وقف قال اضربوه فضربوه فما حال من مكانه قال فتعجب من ذلك فقال الأسود إن أهل مكة سحروا فيلكم ثم بعث إلى الملك و أعلموه بذلك فبعث أبرهة لابن

الأنوار ص : 73 مقصود ليس من جرب كمن لا يجرب فابعث إلى القوم من عندك رسولا و اطلب الصلح و لا تخبرهم بخبر الفيل فيطمعوا فيكم و اطلبوا منهم رجالا بعدد ما قتلوا منا و يقيموا ما أفسدوا علينا من كنيستنا فإذا فعلوا ذلك رجعنا عنهم قال فلما دخل رسول أبرهة و كان اسمه حناطة الحميري و كان يهزم الجيش وحده و كان له خلقة هائلة فقال الأسود هل تكون رسولا إلى القوم فعسى أن يكون الصلح على يدك فقال إن صالحونا و إلا رجعت إليك برءوسهم ثم سار و هو متعجب بنفسه فسأل عن سيد قريش فقالوا له شيبة الحمد و الفخار و إن عبد المطلب قد رآه من قبل و علم أنه رسول القوم فلما وصل حناطة إلى عبد المطلب دهش و حار فقال له عبد المطلب ما الذي أتى بك إلينا فقال حناطة يا مولاي إن أبرهة بن الصباح قد عرف فضلكم و وهب لكم البيت الحرام و قد أرسلني إليكم أن تقيموا إليه

بدية من قتل و تنفذوا إليه رجالا بعدد من هلك و تقدموا له بثمن ما عدم من الكنيسة فإذا فعلتم ذلك رجع عنكم و أنتم له شاكرون فقال له عبد المطلب ما يؤخذ البري ء بالسقيم الأنوار ص : 74نحن شيمتنا الصيانة و الأمانة و نقبض أيدينا عن المظالم و نصرف جوارحنا عن المآثم فبلغ صاحبك عنا ذلك و أما هذا البيت فقد سبق القول مني إن له ربا يمنع عنه فو الله ما كثر علي ما جمعه من الرجال و إن أراد صاحبك المسير فليسر و إن أراد المقام فليقم فلما سمع حناطة ذلك الكلام أراد أن يقتل عبد المطلب و ظهر لعبد المطلب ذلك من وجهه فلم يمهله دون أن قبض على محزمه و مراق بطنه و شاله و ضرب به الأرض و قال و عزة ربي و جلاله لو لا أنك رسول لأهلكتك قبل أن تأتي صاحبك قال فخرج حناطة إلى الأسود و أخبره بما كان من أمره فقال يا هؤلاء حيلة دبرتها و الرأي عندي إن مكة خالية من أهلها فأسرعوا إلى الغنيمة. قال الراوي فأمر الجيوش أن تزحف إلى الحرم فسارعوا نحوها فلما قربوا من مكة جاءهم أمر الله من حيث لا يشعرون و إذا هم

بأفواج من الطيور كأنهم السحاب المترادف و هي تتبع بعضها بعضا و هي كأمثال الخطاطيف يحمل كل طير ثلاث حصيات واحدة بمنقاره و اثنتين برجليه أصغرها كالعدس و أكبرها كالحمص الأنوار ص : 75و قد صفت و ارتفعت فوق العسكر و تصارخت و انفرشت بطول العسكر و عرضهم. قال فلما نظروا القوم إلى ذلك خافوا خوفا عظيما و قالوا ما هذه الطيور التي لم نرها قبل هذا اليوم فقال الأسود ما عليكم منها شي ء و إنما هي طيور تحمل أرزاقها إلى أفراخها ثم قال علي بقوسي حتى أردها عنكم فأخذ القوس و أراد الرمي فتصارخت الطيور لربها مستأذنة حتى جاءها النداء من العلي الأعلى افعلوا ما أمرتم به فقد اشتد غضب الرحمن على من يبغض النبي المختار ففتحت الطيور أفواهها و كان أول حصاة وقعت على رأس حناطة فنزلت من البيضة إلى الرأس و إلى الحلقوم و نزلت إلى القلب ثم خرجت من دبره إلى الأرض فخر صريعا فتناثر القوم يمينا و شمالا و الطيور تتبعهم و لم تزل على رأس الرجل حتى ترميه بالحصاة على أم رأسه فتخرج من دبره و لا يردها ترس و لا حديدة بل تقع على رأس الرجل و تخرج من دبره قال ثم إن الملك لما نظر إلى الطيور و فعلها علم أنه قد أحاق بهم العذاب الأليم فولى

الأنوار ص : 76 هاربا على وجهه و أما الأسود لما نظر ما حل بهم و الحصى يتساقط عليهم و هم يقعون على وجوههم فتعجب من ذلك فبينما هم كذلك إذ ألقي عليه حجر في فمه فخرج من دبره فأتاه آخر في هامته فخر صريعا و أعجب من ذلك أن رجلا كان له أخ فسأله المسير فأبى فقال ما أنا ممن يتعرض لبيت الله الحرام فلما حل به البلاء خرج هاربا على وجهه و الطير يتبعه فلما وصل إلى أخيه و وصف له العذاب الذي حل بالقوم رفع رأسه فإذا هو بالطير رماه بحصاة على هامته خرجت من دبره و

أما أبرهة سار مجدا على فرسه إذ سقطت يده اليمنى ثم رجله اليسرى فتحير في أمره ثم سقطت أسنانه فأتى منزله فحكى لهم جميع ما جرى على العسكر فما تم حديثه إلا و رأسه قد سقط على جثته. قال صاحب الحديث هذا ما جرى لأصحاب الفيل و أما ما كان من عبد المطلب و من معه فإنهم بقوا في ابتهال و دعاء و تضرع و قد استجاب الله دعاءهم ببركة رسول الله ص و قال عبد المطلب اللهم ببركة هذا النور الذي وهبتنا إياه اجعل لنا فرجا الأنوار ص : 77و مخرجا و انصرنا على عدونا إنك على كل شي ء قدير قال فنظرهم على الأرض مطرحين فولى الفيل قريبا إلى مكة هذا ما جرى على أصحاب الفيل و أما أهل مكة فإنهم رجعوا فرحين مسرورين و بقوا ينقلون الأسلحة و الأموال و كان ذلك سعادتهم و بركتهم من نور رسول الله ص و الحمد لله رب العالمين

الأنوار ص : 78الجزء الرابع من كتاب الأنوار في مولد النبي محمد ص

قال صاحب الحديث و إن عبد المطلب نام ليلة في الحجر إذ أتاه آت في منامه يقول له احفر طيبة قال و ما طيبة فغاب عني فأتاني في اليوم الثاني و قال احفر المصونة قال و ما المصونة ثم غاب عني و أتاني في اليوم الثالث و قال لي احفر برة قلت في أي مكان ثم غاب عني و أتاني في الليلة الرابعة فقال لي احفر زمزم فإنها لا تنزف و لا تزم تسقي الحجيج الأعظم عن قرية النمل فلما دله على الموضع أخذ ولده الحارث و لم يكن له ولد غيره قال فلما ظهر لبنها و قد علمت قريش بذلك أقبلوا عليه و قالوا هذا بئر زمزم الأنوار ص : 79و هو بئر أبينا إسماعيل و نحن فيه شركاء فقال عبد المطلب إني لا أفعل و لا أسمع لقولكم إن هذا أمر خصصت به دونكم فتشاوروا و اتفقوا أن يجعلوا من بينهم حكما و هو سعيد بن خيثمة و كان بأطراف الشام فخرجوا حتى إذا كانوا بمفازة بين الحجاز و الشام و قد بلغ منهم الجهد و العطش مبلغا عظيما و لم يجدوا ماء فقالوا لعبد المطلب ما الذي نفعل قال كل واحد منكم يحفر حفيرة لنفسه ففعلوا ذلك فركب عبد المطلب ناقته فنبع الماء من تحت خفافها فكبر و كبروا أصحابه و شربوا جميعهم و ملئوا قربهم و حلفوا أن لا يخالفوه في بئر زمزم فقالوا إن الذي أسقاه الماء في هذه الفلاة هو الذي أعطاه زمزم قال فرجعوا و مكنوه في الحفر فلما عاد إلى الحفر وجد غزالين من الذهب الأحمر و هما اللذان دفنهما جدهما و لقي أسيافا كثيرة و دروعا فطلبوه النصف منهما فقال هلموا إلى من ينصف بيننا فنضرب القداح فنجعل للكعبة قدحين و لي قدحين و لكم قدحين فمن خرج قدحه هذا له قالوا أنصفت بيننا فجعل قدحين أصفرين للكعبة و قدحين أسودين له و قدحين أبيضين الأنوار ص : 80لقريش ثم أعطى صاحب القداح أجرته و هو عبد هبل و هو صنم في الكعبة فضربها فخرج الأصفران على الغزالين و خرج الأسودان على الأسياف و الدروع لعبد المطلب فضرب ما بين الكعبة و ضرب في الباب الغزالين الذهب و أقام عبد

المطلب سقاية زمزم و الحاج و ما كان في مكة من يحسده و يضاده إلا رجل واحد و هو عدي بن نوفل و كان صاحب منطق و بسطة يد و طول و كان يرد المشارة إليه قبل قدوم عبد المطلب إلى مكة ثم سيدوه أهل مكة عليهم فكبر ذلك عليه حيث مالوا الناس إلى عبد المطلب فلما كان في بعض الأيام تنافسا و تقاولا و وقع بينهما خطابا فقال عدي بن نوفل لعبد المطلب أمسك عليك ما أعطيناك و لا يغرنك ما خولناك فإنما أنت غلام من غلمان قومك و ليس لك ولد و لا مساعد فبم تستطيل علينا و لقد كنت في يثرب وحيدا حتى جاء بك عمك إلينا و أقدمك علينا فصار لك الكلام علينا فغضب عبد المطلب لذلك و قال يا ويلك تعيرني بقلة الأولاد و الله إن رزقني الله عشرة أولاد ذكورا و زاد عليهم واحدا لأقربن أحدهم

الأنوار ص : 81 إجلالا و إكراما لحقه و طلب الثار بالوفاء اللهم كثر لي العيال و لا تشمت بي أحدا إنك الفرد الصمد و لا أعاين بمثل قولك أحد يا أرحم الراحمين ثم انصرف عبد المطلب في خطبة النساء و التزويج حرصا على الأولاد ثم تزوج بست نساء و رزق منهن عشرة أولاد و كل امرأة تزوجها كانت ذات حسن و جمال و عز في قومها منهن منعة بنت حباب الكلابية و الطائفية و الطليقية بنت غيدق اسمها سمراء و هاجرة الخزاعية و سعدى بنت حبيب الكلابية و هالة بنت وهب و فاطمة بنت عمرو المخزومية و أما منعة بنت الحباب فإنها ولدت له الغيداق و اسمه الحجل و إنما سمي الغيداق لمروءته و بذل ماله و أما الفرعى فولدت له أبا لهب و اسمه عبد العزى و أما سعدى فولدت له ولدين أحدهما ضرار و الآخر العباس و أما فاطمة فولدت له ولدين أحدهما عبد مناف و يقال له أبو طالب و الآخر عبد الله أبو رسول الله ص و كان عبد الله أصغر أولاده و كان في وجهه نور رسول الله ص فأولاد عبد المطلب الحارث و أبو لهب و العباس و ضرار و حمزة و المقوم و الحجل و الزبير و أبو طالب و عبد الله قال صاحب الحديث و كان عبد المطلب قائما مجتهدا في خدمة الكعبة و كان عبد المطلب نائما في بعض الليالي قريبا من حائط الكعبة فرأى رؤيا فانتبه فزعا مرعوبا فقام يجر أذياله و يجر رداءه إلى أن وقف على جماعته و هو يرتعد فزعا فقالوا له ما وراءك يا أبا الحارث إنا نراك مرعوبا طائشا فقال إني رأيت كأن قد خرج من ظهري سلسلة بيضاء مضيئة يكاد ضوؤها يخطف الأبصار لها أربعة أطراف طرف منها قد بلغ المغرب الأنوار ص : 82و طرف منها قد بلغ المشرق و طرف منها قد غاص تحت الأرض و طرف منها قد بلغ إلى عنان السماء فنظرت تحتها شخصين عظيمين بهيين فقلت لأحدهما من أنت فقال أنا نوح نبي رب العالمين فقلت للآخر من أنت فقال أنا إبراهيم الخليل جئنا نستظل تحت هذه الشجرة فطوبى لمن استظل بها و الويل لمن حاد عنها فانتبهت لذلك

فزعا مرعوبا فقال له الكاهن يا أبا الحارث هذه بشارة و خير يصل إليك ليس لأحد فيه شي ء فإن صدقت رؤياك يخرج من ظهرك من يدعو أهل المشرق و المغرب و تعرفه أهل السماوات و الأرض و الجن تحت الثرى و يكون رحمة لقوم و عذابا لقوم آخرين قال فانصرف عبد المطلب فرحا مسرورا و قال في نفسه ليت شعري من يقبض النور من أولادي و كان يخرج كل يوم إلى الصيد و القنص فأخذه ذات يوم العطش فنظر إلى ماء طفا في حجر معين فشرب منه فوجده أبرد من الثلج و أحلى من العسل فأقبل في ساعته فغشي زوجته فاطمة بنت عمرو فحملت بعبد الله أبي رسول الله ص فانتقل النور الذي كان في وجهه الأنوار ص : 83إلى زوجته فاطمة بنت عمرو فلما مرت به الأيام و الليالي و كملت أشهرها و تم الحمل بعبد الله فانتقل النور الذي في وجهها إليه فلما ولدته سطع النور من غرته حتى بلغ عنان السماء فلما نظر عبد المطلب فرح فرحا شديدا و قال الحمد لله رب العالمين قال و لم يخف مولده على الكهان و الأحبار فأما الكهان فعظم الأمر عليهم لإبطال كهانتهم و أما أحبار اليهود كانت عندهم جبة بيضاء و كانت جبة يحيى بن زكريا و كانت قد غمست بالدم و كان في كتبهم إذا قطر من الجبة قطرة واحدة فيكون قد خرج عليهم السيف المسلول قال فولد عبد الله و قطرت الجبة دما فعلموا أنه قد دنا خروجه فاغتموا لذلك غما شديدا فبعثوا إلى مكة رسلا منهم يكشفون لهم الخبر فأتوهم بخبر مولده و كان عبد الله يشب في الشهر مثلما يشب غيره في السنة و كان الناس يرونه و يتعجبون من حسنه و جماله و أنواره فقيل إن عبد الله لقي في زمانه مثلما لقي يوسف الصديق في زمانه و ذلك من عداوة اليهود و إضراره عليهم لأمور عظيمة و أحوال جسيمة.

الأنوار ص : 84 قال الراوي فلما كمل لعبد المطلب عشرة أولاد غير ولده الحارث فصاروا أحد عشر ولدا ذكورا و ذكر النذر الذي نذره و العهد الذي عهده و قال إني قد رزقت عشرة أولاد و زادوا عليهم واحدا لأنحرن أحدهم لوجه الله تعالى فجمع أولاده بين يديه و كلهم حوله فاغتم لذلك غما شديدا فقال يا أولادي إنكم تعلمون أنكم عندي بمنزلة واحدة و أنكم الحدقة من العينين و الروح بين الجنبين و لو أصابكم عارض لآذاني إلا أن حق الله أوجب من حقكم و مكان الله أعظم من مكانكم و قد عاهدت و نذرت له إن رزقني أحد عشر ولدا ذكورا لأنحرن أحدهم قربانا و قد أعطاني ما سألت و بقي علي الآن ما عاهدته و قد جمعتكم لأشاوركم فما أنتم قائلون فجعلوا ينظرون بعضهم بعضا و هم سكوت و لم يتكلموا إلا أصغرهم في السن عبد الله أبو رسول الله ص فقال يا أبت أنت الحاكم فينا و علينا و نحن أولادك و في طوع يدك و حق الله أوجب من حقنا و أمره أوجب من أمرنا و نحن لك طائعين و لأمرك متبعين و قد رضينا لأمر الله و أمرك و صبرنا على حكم الله و حكمك و نعوذ بالله من الأنوار ص : 85مخالفتك فشكره أبوه على كلامه و بكى بكاء شديدا ثم قال لهم يا أولادي ما تقولون قالوا سمعنا و أطعنا فافعل ما بدا لك و لو نحرتنا عن آخرنا كيف و هو واحد منا فشكرهم على مقالهم ثم قال يا

أولادي امضوا إلى أمهاتكم و اغتسلوا و تطيبوا و البسوا أفخر أثوابكم و ودعوا أمهاتكم وداع من لا يرجع فتفرقوا عنه و أقبلوا إلى أمهاتهم و أخبروهن بما قال لهم أبوهم ففاضت لأجل ذلك أعينهن و تزايدت عليهن الأحزان و أقمن لفقد أولادهن مأتما قال ثم إن عبد المطلب بات تلك الليلة و هو مهموم مغموم و لم يذق طعاما و لا شرابا و لم تغمض له عين حتى طلع الفجر و هو مع ذلك قلقا مرعوبا و لم يعلم أولاده ما يريد يفعل قال فاغتسل و لبس أفخر أثوابه و تردى برداء آدم و انتعل بنعل شيث و تختم بخاتم نوح و أخذ بيده خنجرا ماضيا ليذبح بعض

أولاده فأقبل عليهم يناديهم بأسمائهم من عند أمهاتهم واحدا بعد واحد فأقبلوا إليه مسرعين و قد تعطروا و تطيبوا و تزينوا كما أمرهم أبوهم و لم يتأخر منهم غير عبد الله لأنه كان أصغرهم فسألهم عنه فقالوا ما لنا علم به فأقبل عبد المطلب إلى زوجته فاطمة فإذا الأنوار ص : 86هي متعلقة بولدها عبد الله فجعل أبوه يأخذه منها و هي تجذبه و عبد الله يريد أباه و هي تمنعه فمضى و هو يقول لها إني أعود إليك إن شاء الله تعالى فتركته و قالت يا أبا الحارث إن فعلك هذا ما سبقك عليه أحد من الناس و كيف تطيب نفسك أن تذبح أولادك و إن كان لا بد من ذلك فخل عبد الله لأنه طفل صغير و ارحمه لأجل النور الذي في وجهه فو رب الكعبة لئن فعلت ببعض أولادك ما أنت عازم عليه تشمت بك الأعداء و الحساد و لا يطيب أولاد لك بعده أبدا فقال لها عبد المطلب فو حق رب الكعبة إن عبد الله أجمل أولادي عندي و أحبهم إلي و أنا أرجو من الله تعالى أن ينجيه و يرحمه لصغر سنه ثم إنه عزم على السير به فقامت أمه و ضمته إلى صدرها و هي تقول و رب الكعبة إن قضي علي بفراقك و أنا لا أقدر على وحشتك و حاشا نور الله أن يطفى و يذهب نور الأبطح و الصفا و لقد قلت حيلتي فيك يا ولدي قال و كثر العزاء ثم قالت ليتني غيبت قبل ذبحك و مغيبك تحت الثرى حتى لا أرى فيك ما لا أريد بالرغم مني لا بالرضا فلما سمع عبد الله ذلك من أمه

الأنوار ص : 87 بكى بكاء شديدا حتى غشي عليه و تغير لونه ثم قال يا أماه دعيني أمضي مع أبي يفعل بي ما يشاء و يحكم ربنا ما يريد فإن اختارني كنت راضيا بإجابته سامحا ببذل روحي و إن كان غيري فإني أرجع إليك قال فأطلقته أمه و سار مع أبيه و أقبل عبد الله مع إخوته و ساروا جميعا إلى الكعبة و ارتفعت الأصوات و خرجت الصبيان و الرجال من كل جانب و مكان و جعلوا ينظرون إلى عبد المطلب و ما يريد أن يصنع بأولاده و أقبلت السحرة و الكهنة و اليهود و هم يقولون هذا الذي يخرج من صلبه ما تحذرون و قد قرب ذلك منه و لا بد أن يقارع بين أولاده و كل من وقعت عليه القرعة ذبحه و أقبلوا ينظرون إلى فعله بهم قال فأقبل عبد المطلب و أولاده قاصدا بهم المنحر و بيده خنجرا ماضيا فتطاولت إليه الأعناق و شخصت إليه الأبصار ثم نادى بأعلى صوته بحيث يسمع كل قريب و

بعيد و قال اللهم يا رب هذا البيت الحرام و المشاعر العظام و زمزم و الملائكة اكشف عنا بنورك الظلام بحق ما جرت به الأقلام إنك خلقت الخلق بقدرتك و أمرتهم بعبادتك اللهم لا مانع منك و إنما يحتاج الأنوار ص : 88الضعيف إلى القوي و الفقير إلى الغني يا رب و أنت تعلم أني نذرت لك و عاهدت لنفسي لئن وهبت لي عشرة أولاد ذكورا و زاد عليهم واحد لأقربنه لوجهك الكريم و ها أنا قد سقت إليك أولادي فاحكم بحكمك و اختر منهم ما اخترت اللهم كما قضيت فاجعله في الكبار و لا تجعله في الصغار لأن الكبار على البلاء أصبر و أن الصغير أولى بالرحمة اللهم رب البيت و الأستار و الركن و الأحجار و ساطح الأرض و مجري البحار و الأمطار يا رب اصرف البلاء عن الصغار فلما تم الدعاء أمر بجرائد من النخل فجردت و قدرت و فصلت و كتب اسم كل واحد من أولاده على الجريد ثم أتى بصاحب القداح التي كان يضربون بها و هي التي ذكرها الله تعالى تسمى الأزلام و كانوا يقتسمون بها في الجاهلية و يضربون بها فمن خرج عليه السهم منها قتلوه قال

فأخذها صاحب القداح و دخل بها الكعبة و عبد الله عند إخوته فلما دخل صاحب القداح أخذت أمهاتهم في البكاء و النحيب و الصراخ و العويل و كل واحدة منهن تبكي على ولدها و الناس يبكون على الأنوار ص : 89بكائهن و قلق عبد المطلب قلقا عظيما و جعل يقوم مرة و يقعد أخرى قال فلما أبطأ على عبد المطلب الخبر جعل يقول يا رب أسرع بقضائك فإني راغب قال فعند ذلك تطاولت إليه الأعناق و شخصت إليه الأحداق و فاضت العبرات و اشتدت الحسرات قال فبينما هم كذلك إذ خرج صاحب القداح من الكعبة و هو قابض على يد ولده عبد الله أبي رسول الله ص و قد جعل رداءه في عنقه و هو يسوقه و قد زالت النضارة من وجهه و اصفر لونه و ارتعدت فرائصه ثم قال هذا ولدك الذي خرج عليه السهم فإن شئت أن تذبحه و إن شئت تتركه قال فلما سمع عبد المطلب كلامه خر مغشيا عليه و وقع على الأرض و خرجوا أولاده من الكعبة و هم يبكون على أخيهم لصغر سنه و كان أشدهم حزنا عليه أخوه أبو طالب لأنه كان من أمه و أبيه و كان لا يصبر عنه ساعة واحدة من عظم شفقته عليه و كان يقبل غرته و موضع النور الذي في وجهه و يقول يا أخي لا تموت حتى أرى ولدك الوارث لهذا النور الذي في وجهك الذي فضله رب العالمين الذي تقاتل معه الملائكة

الأنوار ص : 90 المقربون الذي يغسل الأرض من الدنس و يزيل دولة الأوثان و يبطل كهنة الكهان قال فلما ولد النبي ص كان يحمله عمه و يحبه حبا شديدا و كان يفتخر به و يقول أنا أفديك يا ابن أخي يا ابن الذبيحين إسماعيل و عبد الله ثم نرجع الحديث إلى عبد المطلب فلما أفاق من غشوته سمع البكاء و العويل و قد أحاطت به من كل جانب و مكان و نظر إلى فاطمة أم عبد الله و هي تحثو التراب على رأسها و وجهها و تضرب صدرها قال فلما نظر عبد المطلب إلى فاطمة و حزنها و قلقها و

قلة صبرها قبض على عبد الله و أراد أن يذبحه فتعلقت به سادات قريش و بنو عبد مناف ثم صاح بهم صيحة منكرة و قال يا ويلكم ما أنتم أشفق مني على ولدي و لكن ما أصنع بمحبتكم إلا بحكم ربي و ما عاهدته على نفسي هذا و أبو طالب متعلق بأذيال أخيه عبد الله و هو يبكي و يقول يا أبتي اترك أخي و اذبحني مكانه فإني راض أن أكون محله قربانا لربك فقال عبد المطلب ما كنت بالذي أتعرض لحكم ربي و أخالفه فهو الآمر و أنا المأمور قال فاجتمعت رؤساء قريش و قومه و عشيرته و قالوا
الأنوار ص : 91 يا عبد المطلب عاود صاحب القداح مرة أخرى فعسى أن يقع السهم على غيره و يقضى فيه الفرج قال فعاد عبد المطلب مرة أخرى فوقع السهم على عبد الله فقال عبد المطلب قضى الله و رب الكعبة ثم سار هو و ولده إلى المنحر و الناس من خلفه صفوفا فلما وصل المنحر عقل رجله بحبل فعندها ضربت أمه وجهها و نشرت شعرها ثم أضجعه و هو داهش لا يدري ما يصنع و ما يفعل من الحزن قال فلما رأت أمه أنه قد عزم على ذبح ولدها مضت مسرعة إلى قومها و بني عمها و إخوتها و صرخت بهم فأقبلوا مسرعين و حالوا بينه و بين عبد الله و أخذوا الخنجر من يده و هو لا يسمع عذل عاذل و لا قول قائل و قد ضجت الملائكة بالتسبيح و التهليل و الثناء لرب العالمين و نشرت أجنحتها و ابتهل جبرئيل و تضرع إسرافيل و هم يستغيثون لربهم فقال الله تعالى

يا ملائكتي إني بكل شي ء عليم و إني قد ابتليت عبدي على حكمي
قال فبينما هم كذلك و إذا هم بعشرة رجال حفاة عراة راﻟ ءوس بأيديهم السيوف و حالوا بينه و بين ولده فقال لهم عبد المطلب ما أتي بكم أيها القوم قالوا نحن أخواله و لا ندعك الأنوار ص : 92تفعل به و لو قتلتنا عن آخرنا و لقد كلفت هذه الامرأة ما لا تطيق فنحن أخواله و أحق الناس به و كانوا من بني مخزوم قال فلما رآهم عبد المطلب أنهم حالوا بينه و بين ولده رفع طرفه إلى السماء و قال يا رب منعوني أن أنفذ حكمك و أوف عهدك فيا رب احكم بيني و بينهم بالحق و أنت أحكم الحاكمين قال فبينما هم كذلك إذ أقبل عليهم رجل من كبار قومه يقال له عكرمة بن عامر و كان سيد قومه و أشار بيده إلى الناس أن اسكتوا فسكتوا و قال يا أبا الحارث إنك أصبحت سيد الأبطح و المحتوي عليه و لو فعلت ما عزمت عليه لصارت سنة من بعدك يلزمك شنارها و هذا لا يليق بك و لا يصلح لمثلك فقال عبد المطلب أ ترى يا عكرمة أغضب ربي و أخالف عهده و أرضي عبده قال عكرمة إني أراك على ما فيه الصلاح قال عبد الله إن هذا الذي تراه ما هو قال عكرمة أيها السيد إن في جوارنا كاهنة عارفة ليس في الكهان أعرف منها و إنها تخبر بما في ضمائر الناس و ما يخفون من سرائرهم و لها صاحب من الجن يحدثها بأخبار بني آدم قال فلما سمع عبد المطلب كلامه الأنوار ص : 93أصغى إليه و سكن إلى ما فيه و جمعوا رأيهم على ذلك و قالوا يا أبا الحارث إن عكرمة أشار بالصواب ثم انصرف الناس و أخذ عبد المطلب جمع من قومه من بني عبد مناف و بني مخزوم فساروا معه أنشأ عند ذلك يقول

أناشتنا الهموم و ضقت ذرعا و لم أملك لما قد حل دفعانذرت و كان نذر المرء دين و هل حريرى للنذار معنا

قال ثم إن القوم ساروا طالبين الكاهنة فوجدوها غائبة فسألوا عنها قالوا خرجت في طلب حاجة لها فساروا قاصدين المكان الذي هي فيه فلما وصلوها تقدم إليها عبد المطلب و دفع لها تلك الهدية ثم سألوها عن خبرهم فقالت انزلوا و استريحوا يومكم هذا فإني أبين لكم فرجكم عن قريب و غدا سيظهر لكم الحاجة قال فتفرقوا القوم عنها فلما كان من الغد جاءوا إليها و سألوها عن خبرهم الذي جاءوا إليه فجعلت تقول شعرا

يا مرحبا بالفتية الأخيار الساكنين البيت و الأستارقد خلقوا من صلصل الفخار و من عظيم العز و الأنوار

الأنوار ص : 94خذوا بقولي صح ذي الآثار أهل الصفا و النور و الفخارمن هاشم سماه في الأقدار أتيتكم بالعلم و الأخبارقد رام من خالقه الغفار يعطيه عشرا من الأذكارمن غير لا نقص بإذن الباري فواحد ينحره للأنذار

قال ثم إنها نظرت إلى عبد المطلب و قالت له أنت الناذر قال نعم جئنا لتنظري في أمرنا و تعملي حيلة في ولدنا هذا فقالت و رب البرية و ناصب الجبال المرسية و ساطح الأرض المدحية إن هذا الفتى الذي ذكرته لسوف يعلو ذكره و يعظم أمره و إني سأرشدكم على خلاصه ثم قالت و كم الدية عندكم من الإبل قالوا عشرة فقالت عشرة من الإبل و ارموا عليها السهام فإن خرج السهم عليه زيدوا عشرة أخرى و ارموا عليها بالسهام فإن خرج عليه زيدوها عشرة أخرى إلى أن يخرج السهم عليها فإذا وقع السهم على الإبل فانحروها عن آخرها فإنها رضاء ربكم و قيل هديكم قال فخرجوا القوم فرحين و رجعوا إلى أهلهم مسرورين فلما وصلوا إلى مكة خرجوا أهل مكة مسرعين بما قالت الكاهنة فأخبروهم الأنوار ص : 95بمقالها ثم إن عبد المطلب أقبل على ولده يقبله و يضمه إلى صدره و قال عبد الله يا أبتي يعز علي شقوتك من أجلي فقال له أباه يا بني وددت أن أخرج من جميع أموالي و تسلم أنت ثم أمر عبد المطلب أن يحضروا جميع ما كان لهم من الإبل فأحضروها الرعاة و أرسل إلى بني عمه يأتون بالإبل و قال إن أراد بي ربي خيرا وقاني في ولدي و إن كان غير ذلك فحكمه نافذ و أمره غالب قال و جعل أهل مكة يسوقون أموالهم إليه ثم أقبل عبد المطلب إلى فاطمة أم عبد الله و قد قرحت عينها من البكاء فأخبرها بما كان ففرحت بذلك فرحا شديدا لما سمعت من خبر الكاهنة و قالت أرجو من الله تعالى ربي أن يقبل الفداء و يسامحني في ولدي و كانت أمه ذات يسار و مال كثير و كانت أمها سرحانة زوجة عمرو المخزومي و كان كثير المال و الذخائر و كان لها جمال تسافر إلى الشام و العراق ثم قالت فاطمة

علي بمالي و مال أمي و لو طلب ربي ألفي ناقة لقدمتها إليه و كلما ملكت يدي قال فشكرها عبد المطلب و قال أرجو أن يكون الرضا في مالي لربي يفرج كربي و أما الناس فإنهم في فرح الأنوار ص : 96و سرور قال و بات عبد المطلب إلى الصباح ثم أقبل إلى

الكعبة و طاف بها سبعا و هو يسأل الله عز و جل أن يفرج عنه قال فلما أصبح الصباح أمر برعاة الإبل أن يحضروها فحضروها و أتوا بنو عمه بما كان عندهم من المال و جمعوا مالا كثيرا و أخذ عبد المطلب ولده عبد الله و طيبه و زينه و ألبسه أفخر أثوابه و أقبل به الكعبة و الحبل و السكين في يده و هو يقوده فقالت له زوجته يا أبا الحارث ارم ما في يدك حتى يطمئن قلبي فقال لها إني قاصد إلى ربي و أسأله أن يقبل مني الفداء في ولدي فإني بذلت أموالي و أموال قومي فإن رضي و إلا تجردت و ركبت جوادي و قصدت إلى كسرى و قيصر الشام و بطا قة الروم و ملوك الهند و الصين و مشارق الأرض و مغاربها و أعطي ربي كلما يطلب مني و أرضي ربي و أرجو منه أن يفديه كما فدى إسماعيل من الذبح قال و سار عبد المطلب حتى قدم الكعبة و الناس جلوس صفوف ينظرون إلى عبد المطلب فلما أقبل إليهم قال لهم معاشر الناس إنكم تعلمون منزلة الولد و أنه لا يواسى به أحد لأنه روح قد خرجت من روح و ما أنتم أشفق مني على ولدي

الأنوار ص : 97 و قد كان بالأمس منكم زلة و فعلتم منكرا و إياكم أن تعودوا لمثلها أبدا و تحولوا بيني و بين ولدي و اتركوني أناجي ربي و أنا أرجو منه أن يتكرم علي بولدي لأنه لم يزل من أهل الجود و الكرم ثم إن عبد المطلب قدم عشرة من الإبل و أوقفها من ورائه ثم تقدم حتى تعلق بأستار الكعبة و قال اللهم إن أمرك نافذ لا يمنع منه مانع عنك و دافع ثم أمر صاحب القداح أن يضربها فضربها فإذا هي قد خرجت على عبد الله فقال عبد المطلب لربي الرضا و سأرضيه كل الرضا فقالت قريش لو أنك قدمت غيرك لكان خير منك فإنا نخشى أن ربك غضبان عليك ثم زاد عشرة من الإبل و أمر صاحب القداح أن يضربها فضربها فخرج السهم على عبد الله فقالت قريش و أشرافها يا عبد المطلب لو قدمت غيرك لكان خيرا لك فإنا نخشى أن يكون ربك غضبان عليك فقال عبد المطلب يا قوم إن كان هذا الأمر كما زعمتم فإن المسي ء أحق بالدعاء و التضرع و السؤال لعفو ذنوبه ثم قال اللهم إن كان دعائي محجوبا قد حجبته الذنوب و المعاصي فإنك غفار الذنوب و كاشف الكروب الأنوار ص : 98فتكرم علينا بفضلك و إحسانك يا خير من سئل ثم زاد على الإبل عشرة أخرى و رمق بطرفه إلى السماء و قال اللهم إنك تعلم السر و الجهر يا من هو بالمنظر الأعلى فاصرف عنه كما صرفت عن إبراهيم الذي وفى ثم أمر صاحب القداح أن يضربها ثالثة فضربها فخرج السهم على عبد الله فقال عبد الله إن هذا لشي ء يراد ثم قال اصبر فلعل بعد العسر يسرا ثم أضاف على الثلاثين عشرة ثم أقبل يدعو و يتضرع و يترنم

و يقول أفلح من يصلي على الرسول
يا رب هذا البيت و العباد إن بني أقرب الأولادو حبه في السمع و الفؤاد و أمه باكية تنادي فوقه من شفرة الحداد فإنه كالبدر في البلاد

قال ثم أمر صاحب القداح أن يضربها فضربها فخرج السهم على عبد الله فقال عبد المطلب يا بني كيف أبذل فيك الفداء و قد حكم فيك الرب بما يشاء ثم أضاف إلى الأربعين عشرة أخرى و أمر صاحب القداح أن يضربها فضربها فخرج السهم على عبد الله فقالت أمه يا عبد المطلب أريد أن تكرمني أن أسأل الله الأنوار ص : 99تعالى في ولدي فعسى أن يرحم تضرعي فقال عبد المطلب افعلي ما بدا لك فعسى أن تكون ذنوبي أوبقتني فإني أرجو أنك عند الله أرجى مني قال فتقدمت أمه و أضافت إلى الخمسين عشرة أخرى و قالت يا رب رزقتني ولدا و حسدوني عليه الحاسدون و عاندني عليه المعاندون فلما رجوته أن يكون لي سندا و عضدا عارضني فيه أمرك و أنت تعلم أنه يا رب أحب أولادي و أكرمهم لدي فافده يا رب و اقبل مني الفداء و لا تشمت بي الأعداء ثم أمرت صاحب القداح أن يضربها فضربها فخرج السهم على عبد الله فقال عبد المطلب لكل شي ء دلالة و نهاية و هذا الأمر ليس لي و لا لك فيه حيلة فلا تعودين تعارضين في أمر ربك ثم أضاف إلى الستين عشرة أخرى و قال اللهم منك المنع و منك العطاء و أمرك النافذ كما تشاء و قد تعرضت عليك بجهلي و قبيح فعلي فلا تخيب أملي ثم أمر صاحب القداح أن يضربها فضربها فخرج السهم على عبد الله قال فعند ذلك ضجوا الناس بالبكاء و النحيب فقال عبد المطلب ما بعد المنع إلا الرضا و لا بعد الشدة إلا الرخاء و أنت يا رب تعلم السر و أخفى الأنوار ص : 100ثم أضاف على السبعين عشرة أخرى و أمر صاحب القداح أن يضربها فضربها فخرج السهم على عبد الله فأخذ عبد المطلب الحبل و السكين و هم بولده أن يذبحه فهموا الناس أن يفعلوا به مثل الأول فقال لهم عبد المطلب قسم برب الكعبة إن عارضني أحد في ولدي لأضربن نفسي بهذا السكين و أذبح نفسي فاتركوني أنفذ حكم ربي فأنا عبده و ولدي عبده يفعل بنا ما يشاء و يحكم بنا ما يريد قال فأمسكوا الناس عنه ثم أضاف إلى الثمانين عشرة أخرى ثم رجع

يقول يا رب إليك المرجع و أنت ترى و تسمع ثم أمر صاحب القداح أن يضربها فضربها فخرج السهم على عبد الله فوقع عبد المطلب مغشيا عليه فلما أفاق عظم أمره في المطاولة و اللحاح و السؤال فقال له عبد الله هلم إلي و اذبحني و أنفذ حكم ربك و لكن يا أبت اربط يدي و رجلي و غط وجهك و وجهي و كف فاضل ثيابك عني لئلا تتلطخ بالدم فيكون ذكرا لإخوتي و أوصيك يا أبتاه بأمي خيرا فسلي حزنها و سكن دموعها فإني أعلم أنها بعدي لا تلذ بعيش و أوصيك بنفسك فإن خفت ذلك فغمض عينيك فإنك تجدني صابرا الأنوار ص : 101فقال أبوه يا بني من كثر قرع الباب يوشك أن يفتح له و يؤذن له

بالدخول يا بني الفرج قريب فبكى عبد المطلب حتى بل لحيته من دموعه ثم قال يا قوم كيف أتعرف على ربي و قضائه و إني أستحي أن أعاوده مرة أخرى فينتقم مني للإساءة ثم نهض إلى الكعبة و طاف بها سبعا و دعا الله تعالى و تمرغ بالتراب و ازداد في الدعاء و قال يا رب امض حكمك فإني راغب في قضائه ثم زاد على التسعين عشرة أخرى فصارت مائة ناقة و قال من كثر قرع الباب يوشك أن يفتح له ذلك و من يسأل حصل الانتفاع ثم أمر صاحب القداح أن يضربها فضربها فوقع السهم على الإبل قال فوقع الناس على عبد الله ليخلصوه من يد أبيه و يهنئونه بالسلامة من الذبح ثم أسرعت أمه و هي تعثر في أذيالها فقبلته و ضمته إلى صدرها ثم قالت الحمد لله رب العالمين الذي لم يبتلني بذبحك و لم يشمت بي الأعداء قال فبينما هم كذلك إذ سمعوا هاتفا من داخل الكعبة يقول قد قبل ربكم منكم الفداء و قد قرب خروج المصطفى ثم قال بخ بخ لك يا أبا الحارث فقد هتف بك الهاتف أنت و ابنك قال و هم

الأنوار ص : 102 الناس بذبح الإبل فقال عبد المطلب مهلا يرحمكم الله فإن هذه القداح تصيب و تخطئ و قد خرجت مرارا كثيرة على ولدي و هذه مرة واحدة فلا أدري ما يكون فيه فاتركوني أعاود مرة ثانية فقالوا افعل ما بدا لك ثم استقبل الكعبة و قال اللهم يا سابغ النعم و معدن الجود و الكرم و مزيل النقم إن كنت مننت علي بولدي فأظهر لنا برهانك مرة ثانية ثم أمر صاحب القداح أن يضربها فضربها فخرج السهم على الإبل قال فصاحت فاطمة بنت عمرو بولدها و ضمته إلى صدرها و هم عمومته أن يأخذوه و يمضوا به فقال عبد المطلب مهلا حتى يمضي إلى الفداء ثم أمرهم بنحر الإبل عن آخرها قال و تناهبه الناس فقال عبد المطلب لا تمنعوا أحدا و لا وحشا و لا طيرا و انصرف الناس و مضى عبد المطلب مع أولاده فلما رأته الكهنة و أحبار اليهود و قد تخلص عبد الله من الذبح و خاب أملهم و بطل عملهم فامتلئوا عليه غيظا و حنقا و كانوا فرحين بذبح عبد الله فلما فداه الله خاب أملهم قال بعضهم لبعض نعمل حيلة تكون في هلاكهم فقال كبيرهم و كان الأنوار ص : 103اسمه طيبون و قيل ربيبان و كانوا يسمعون كلامه و يطيعون أمره و قال لهم نعمل طعاما و نضع فيه سما و نهدي به إلى عبد المطلب و نقول هذا طعام عملناه كرامة و إجلالا لعبد الله لخلاصه من الذبح فإن أكلوا انقطع آثارهم و عدمت شوكتهم التي كنا نخشى منها و هاشم أصلها و تخشى منها الأحبار و الكهان و عبد المطلب فرعها الذي يتوالدون منه و ثمرها قال فعزم القوم على ذلك و صنعوا طعاما و مزجوه بالسم و أرسلوه إلى دار عبد المطلب مع نساء من نسائهم مختفيات مبرقعات ليخفى أمرهم و لا يعلم أحد من أين أتين قال و كان عبد المطلب و أولاده مجتمعين في دار فاطمة قال فقرعن الباب و خرجت فاطمة إليهن و رحبت بهن و قالت لهن من أين أقبلتن قلن نحن من أقاربكم من بني عبد مناف و قد دخل علينا السرور لخلاص ولدكم و قد عملنا وليمة و بعثنا ببعضها ثم دفعن

ذلك لفاطمة قال فأخذت فاطمة منهن الطعام و دخلت به إلى عبد المطلب فذكرت له ما قلن النساء فلم ينكر شيئا من ذلك فغسلوا أيديهم و قال هلموا إلى ما خصكم به أقاربكم ثم إنهم هموا
الأنوار ص : 104 بالأكل و كان أول دلالة ظهرت من نور رسول الله ص إن الله سبحانه و تعالى أنطق الطعام و قال لا تأكلوني فإني مسموم قال فتفرقوا عنه القوم و خرجوا يطلبون النساء فلم يقفوا لهن على أثر فعلموا أنهن من أعدائهم اليهود ثم إنهم حفروا للطعام حفيرة و ألقوه فيها قال و تزوج عبد الله بآمنة بنت وهب أم رسول الله و الحمد لله رب العالمين
الأنوار ص : 105الجزء الخامس من كتاب الأنوار في مولد النبي محمد ص

قال حدثنا أشياخنا و أسلافنا الرواة لهذا الحديث قالوا جميعا لما قبل الله الفداء من عبد المطلب في ولده عبد الله أبي رسول الله ص فرح فرحا شديدا فلما بلغ عبد الله مبالغ الرجال تطاولت إليه الخطاب و بذلوا في قربه المال الجزيل و كان ذلك رغبة في النور الذي في وجهه و لم يكن في زمانه أجمل منه و لا أكمل و لا أبهى من عبد الله أبي رسول الله ص و كان إذا مر بالناس يرون في وجهه النور و يشمون منه رائحة المسك الأذفر و الكافور و العنبر و إذا مر بالليل أضاءت من نوره الحنادس و الظلام و أقام عبد الله حتى تزوج بآمنة بنت وهب الأنوار ص : 106قال الراوي و كان سبب تزويجها بعبد الله أن الأحبار قد اجتمعوا بأرض الشام و تكلموا في مولد رسول الله ص الذي جرى من جبة يحيى بن زكريا قال فلما تحققوا و علموا أنه قد قرب خروج السيف المسلول و تظاهرت أنواره تشاوروا فيما بينهم من المشورة أن يسيروا إلى حبرهم و كان في قرية من رق ى الأزد و كانوا يقتبسون من نوره و كان قد بلغ من العمر مائة سنة قال فقصده القوم فلما وصلوا إليه قال ما قدوم الأحبار و علماء الأمصار فقالوا قد أخبرنا في كتبنا من هذا الرجل الذي يقال له السفاك الهتاك الذي تقاتل معه الأملاك يقال له محمد بن عبد الله من آل عبد مناف و ما نلقى عند ظهوره من الأهوال و قد قرب ظهوره و قد جئناك لنشاورك في أمره قبل انتهائه فقال يا قوم اعلموا أن من أراد إبطال ما أراد الله جاهل مغرور و إنه لكائن بكم و هذا الرجل الذي ذكرتموه فقد سبق عند الله علمه فكيف تقدرون على إبطاله و هو يبطل سحرة الكهان و يزيل دولة الأصنام و سيكون له وزير و قرين و شأن و أي شأن قال فلما سمعوا كلامه الأنوار ص : 107حاروا و كان لهم حبر من أحبارهم يقال له هيوبا بن داحورا و كان متمردا قويا شديد البأس عظيم المراس قال يا قوم إن هذا الرجل قد كبر و خرف و قد قل عقله إياكم أن تسمعوا قوله ثم قال لهم أ رأيتم الشجرة إذا

انقطع أصلها فهل تعود خضراء قالوا لا قال فإن قتلتم صاحبكم الذي يخرج من صلبه هذا المولود فما الذي تخافون منه فتفرقوا من وقتكم و ساعتكم و خذوا معكم تجارة و سيروا إلى البلد الذي هو فيها يعني

مكة فإذا حصلتم في مكة دبروا الحيلة في هلاك هذا الرجل قال فقصدوا قوله و قالوا أنت سيدنا و عمادنا فقال لهم انظروا بما أفعل و ما آمركم به ثم أريد أن آخذ عليكم العهد و الميثاق و أنا معكم بسيفي و رمحي و أسير معكم حتى تعاهدوني و لا تخالفوني فليعمد كل واحد منكم إلى سيفه و يسقيه من السم فهو أشفى لعلتكم قال فأجابوه إلى ذلك و عاهدوه على أنهم يجتمعون قال و خرجوا بجمالهم و حملوا ما يصلح ما يحتاجوا إليه في السفر ثم إنهم ساروا حتى قدموا مكة و إذا بهاتف يسمعون صوته و لا يرونه و هو ينشد و يقول أفلح من يصلي على الرسول الأنوار ص : 108

قصدتم لأزر القوم في السر و الجهر تريدون مكرا بالمعظم في القدرو من غالب الرحمن لا شك أنه سيرميه باريه بقاصمة الظهرستحضون يا شر الأنام كأنكم نعام أسيقت للذباحة و النحر

قال فلما سمعوا كلام الهاتف هموا بالرجوع فقال لهم هيوبا يا قوم اعلموا أن هذا الوادي قد كثرت فيه الكهان و الشياطين و أن هذا الهاتف شيطان قد أخذ سركم و علم قصدكم فلا تخلفون فعند ذلك تبادر القوم و كان كل من لقيهم يحدثهم بحسن عبد الله و جماله فوقع الكمد في قلوبهم إلى أن وصلوا مكة فلم ينكر عليهم أحد مما في قلوبهم و ظنوا أنهم تجار و جعلوا يسومون متاعهم و لا يبيعون منه شيئا و إنما يريدون بذلك المقام في مكة و الحيلة في قتل عبد الله بن عبد المطلب قال فأقبل عبد المطلب ذات يوم على اليهود و هو قابض على يد ولده عبد الله و كان عبد الله قد الأنوار ص : 109رأى رؤيا ففزع و جزع و جاء مرعوبا إلى أبيه فقال له يا بني ما الذي دهاك صرف الله عنك كل محذور و وقاك ما تخافه من الشرور فقال يا أبت قد رأيت سيوفا مجردة في أيدي قردة و هم قعود على أدبارهم و أنا أنظر إليهم و هم يهزون سيوفهم و يشيرون بها إلي فعلوت عنها في الهواء فبينما أنا كذلك و إذا بنار من السماء فزادتني خوفا و قلت كيف الخلاص فبينما أنا كذلك و إذا أنا بالنار قد وقعت على القردة فأحرقتهم فزادتني رعبا فقال أبوه وقاك الله شر ما تخاف و تحذر من الحساد و الرصاد فإن الناس يحسدونك على ذلك النور الذي في وجهك و لو اجتمع أهل الأرض على إطفائه لعجزوا عن ذلك لأنه وديعة الله عز و جل و هو نور الله و نور خاتم الأنبياء و هاهنا أحبار اليهود من الشام و فيهم الحكمة و المعرفة فقم معي حتى نقص عليهم رؤياك ثم قبض على يد ولده و مضى إليهم قال فلما نظروا إليه و هو كأنه البدر المنير أقبل ينظر بعضهم إلى بعض و قالوا هذا الذي تطلبونه فأقبل عبد المطلب بولده و وقف بين أيديهم و قال معاشر الأحبار جئنا إليكم لتخبرونا عن رؤيا ولدي فقالوا الأنوار ص : 110ما الذي رآه فقص عليهم رؤياه فزادهم هما و غما فقالوا أيها السيد الكريم إنما هذه أضغاث أحلام و خطرات منام و أنتم سادات كرام ليس لكم

معاند و لا معاضد قال ثم إنه انصرف بولده ثم قاموا بعد ذلك أياما يدبرون الحيلة فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا و لم يصلوا إلى ما دبروا و لم يقدروا على شي ء و كان عبد الله مولعا بالصيد و القنص و كان إذا خرج إلى الصيد لا يرجع إلا ليلا و كان خروجه من عند أبيه عبد المطلب فلم يجدوا إليه سبيلا حتى خرج ذات يوم وحده فطمعوا به و خرجوا في أثره و جدوا المسير عازمين على أن يظفروا به فقال بعضهم لبعض إننا نخاف من فتيان بني هاشم و هم رجال لا يطاقون و قد ذلت لهم العمالقة و فزعت من سيوفهم الجبابرة و نخشى أن يشعروا بنا فيخرجون وراءنا قال فلما سمع هيوبا مقالتهم قال لهم خاب سعيكم فإن كنتم هكذا فما الذي أتى بكم إلى هاهنا ثم قال لا بد من قتل هذا الغلام و لو طال عليكم المقام فلم تجدوا يوما أحسن من هذا اليوم فإن قتلناه و اتهمونا بديته فأنا أسلمه من مالي قال و بعثوا عبدا من عبيدهم ينظر إلى أين يتوجه عبد الله فرجع

الأنوار ص : 111 العبد و أخبرهم أن عبد الله غاب بين الشعاب و الجبال و قد خرج من العمران و ليس معه إنسان قال فعزم القوم على ما أملوه و جعلوا نصفا منهم عند متاعهم و النصف الآخر جعلوا سيوفهم تحت ثيابهم و خرج العبد الذي أخبرهم بأي مكان و ساروا حتى أوقفهم على رأسه ثم قال يا قوم دونكم ما تطلبون قال و كان عبد الله قد صاد حمار وحش و هم أن يسلخه و إذا بالقوم قد أقبلوا إليه قاصدين فقال لهم هيوبا بن داحورا هذا صاحبكم الذي خرجتم لأجله قال فما أحس عبد الله إلا و القوم قد أحاطوا به و كانوا قد تفرقوا فرقتين و قد قالوا للذين تركوهم عند متاعهم إذا دعوناكم أجيبونا مسرعين قال فلما أشرفوا على عبد الله و قد سدوا الطريق عليه و زعموا أنهم حكموا عليه فرفع رأسه و نظرهم و إذا هم محدقين به فعلم أنهم يريدون قتله قال فترك ما كان في يده و أقبل عليهم و قال يا قوم ما شأنكم فو الله ما سبقت يدي على أحد بمكروه أبدا فتطلبوني به و لا مال غصبته و لا قتلت أحدا فتقتلوني فما حاجتكم فإن يكن سبق مني إليكم ذنب فأخبروني حتى أعرف ما هو قال

الأنوار ص : 112 و إن اليهود قد تلثموا و لم يبين منهم إلا حماليق الحدق فلم يردوا عليه جوابا فأشار بعضهم إلى بعض و هموا أن يهجموا عليه قال فوضع عبد الله سهما في قوسه و رمى به نحوهم فأصاب واحدا منهم فوقع ميتا بحينه ثم رماهم بأربع نبال أصاب بها أربعة رجال قال فاشتغلوا عنه بأنفسهم فأخذ الخامسة و أنشأ يقول أفلح من يصلي على الرسول

و لي همة تعلو على كل همة و قلب صبور لا يروع من الحرب و لي نبلة أرمي بها كل ضيغم فتنفذ في اللبات و النحر و القلب بأربعة منا أصابت و أربع و لو كاثروني صلت بالطعن و الضرب أخذت نبالي ثم أرسلت بعضها فصارت كبرق لاح في خلل السحب

قال فلما سمعوا منه قال هيوبا بن داحورا يا فتى احبس عنا نبالك فقد أسرفت في مقالك و قدر فعالك و قد قتلت منار جالا الأنوار ص : 113من غير ذنب و لا سبقت إليك منا أذية و نحن تجار و نحن الذين وقفت علينا بالأمس مع أبيك و كان لنا عبد و قد هرب فلما رأيناك حسبنا أنك هو فعند ما عرفناك أنك عبد الله فقنا لأنفسنا و ليس لنا معك عداوة و أنت أعز الخلق علينا و أكرمهم إلينا فامض لحال سبيلك فقد سمحنا لك بما فعلت فينا فقال لهم عبد الله يا ويلكم ما الذي تبين لكم إن عبدكم مثلي أ و له صفة مثل صفتي أو نوره كنوري أو عبدكم يقنص الوحوش قالوا داخلنا الشك و أنت متباعد عنا فلما قربنا منك عرفناك فاسمح لنا بما سبق إليك منا فإنا نسمح بما فعلت و قد قتلت منا رجالا بلا ذنب لهم و نحن حيث أكلنا طعام أبيك و شربنا شرابه فنحن له شاكرون و أنت أولى بكتمان الأمر فلما سمع عبد الله كلامهم زعم أنه حق منهم و هي خديعة ثم إن عبد الله ركب جواده و أخذ قوسه و عطف إلى ناحية المضيق فلما رأته القوم قد أقبل عليهم يريد الخروج بادروا إليه بأجمعهم و جعلوا يرمونه بالحجارة و قاموا إليه بالسيف فجعل يكر عليهم مرة بعد أخرى فعندها صاح بهم هيوبا بن داحورا فبادروا الأنوار ص : 114إليه و اجتمعوا عليه و هو يكر عليهم يمينا و شمالا و كلما رمى رجلا خر صريعا و نزل عبد الله و استند إلى جانب المضيق و قد هجموا عليه بأجمعهم و هم يرمونه بالحجارة من كل جانب و مكان فبينما هم بالمعركة و إذا هم برجال قد أقبلوا و بأيديهم السيوف الهندية متقلدين الرماح الخطية لابسين الدروع المجلية و هم مسرعين نحوهم فتأملوهم و إذا هم بنو هاشم و بنو عبد مناف و فتيان مكة و كان أولهم أبو طالب و الحمزة و العباس فعند ذلك ناداه أبوه يا بني هذا تأويل رؤياك قال فلما استتم كلام أبيه عبد المطلب حملوا عليهم قال الراوي و كان أخبرهم بخبره رجل يقال له وهب لأنه قد أشرف عليهم و هم بالمعركة فهم

أن ينزل عليهم بنفسه فقال ما أصنع بأعداء الله و أنا واحد ثم أقبل إلى الحرم و صاح يا بني عبد المطلب فبادروا إليه مسرعين فأخبرهم بخبر عبد الله و أقبلوا إليه مسرعين قال فلما رآهم اليهود أيقنوا بالهلاك و نزل بهم من الله ما لا يرد ثم قال لهم ما شأنكم قالوا إنما أردنا أن نعلم بحقيقة الحال فقال لهم هيهات قد علمناكم و جاهدتم أنفسكم بالهلاك قال و أما الفرقة التي كانت عند الأنوار ص : 115الأمتعة فإنهم هموا بالفرار من المضيق حتى ظنوا أنهم نجوا فأتاهم أمر الله فسقطت عليهم من الجبل قطعة فسدت عليهم المضيق فلم يجدوا مهربا من الله قال فلحقهم عبد المطلب و أصحابه و أهل مكة و أما الفرقة الأخرى التي كانت من الجانب الآخر مع هيوبا عدو الله قتلوا منهم ما شاء الله ثم قال رجل من اليهود دعونا نصل إلى البلد و افعلوا بنا ما تشاءون فإن لنا مع الناس متاع و مال و أشياء كان خلفناها و أنتم أحق به فخذوه و لا تقتلونا حتى نصل إلى البلد قال فكتفوهم عن آخرهم و أقبلوا على ناحية الطريق و ساقوا الجميع إلى مكة و أقبل عبد المطلب إلى مكة و أقبل على ولده و هو يقول يا

ولدي لو لا وهب بن عبد مناف أخبرنا بما كان خبرك ما علمنا بخبرك و لكن الله يكفيك و يقيك من كل سوء ثم ساقوا اليهود مكتفين و ساروا إلى مكة فلما أشرفوا على مكة خرج الناس يهنئونهم بالسلامة و إذا باليهود مصفدين أسارى فجعل الناس يرمونهم بالحجارة و هموا أن يقتلوهم فصاح بهم عبد المطلب و قال أرسلوهم إلى دار وهب بن عبد مناف قال فلما كان تلك الليلة أقبل وهب

الأنوار ص : 116 بن عبد مناف إلى زوجته برة بنت عبد العزى و قال لها يا برة رأيت اليوم عجبا من عبد الله بن عبد المطلب ما رأيته من أحد و هو يكر على القوم و كلما رمى نبلة قتل بها واحدا و قد تفرقوا عنه القوم و قد رغب فيه الناس لما خصه الله من الحسن و الجمال و النور الساطع و الضياء اللامع فامضي إليه و إلى أبيه و اخطبيه لابنتنا و اعرضي عليه فعسى أن يخطبها و يقبلها فإن قبلها سعدنا ثم قالت له زوجته يا وهب إنه رد نساء مكة و أشراف الحرم و قد رغبوا فيه فأبى عن ذلك فكيف و قد كاتبوه ملوك الشام و العراق على التزويج ببناتهم فأبى عن ذلك و كيف يتزوج بابنتنا و هي قليلة المال و الجمال فقال لها إن لي اليوم عليهم يدا بما أخبرتهم عن أمر عبد الله من اليهود فعسى أن يرغب فينا و في ابنتنا آمنة قال ثم إن برة قامت و أفرغت عليها أفخر أثوابها و خرجت حتى أتت دار عبد المطلب فوجدته يحدث أولاده عن اليهود و ما لقي منهم فعندها دخلت برة و قالت أنعم الله مساءكم و دامت إليكم النعماء في صباحكم و مسائكم فردوا عليها السلام فقال لها عبد المطلب و أنت وقيت الردى الأنوار ص : 117و كفيت الأذى و أدام عليكم النعماء و جعلكم أهل الصلاح و الفلاح و لقد سلف لبعلك اليوم علينا يد يستحق أن نكافيه اليوم عليها بالنعمة و الشكر و سنكافئه إن شاء الله تعالى بما فعل معنا من الجميل قال فلما سمعت برة كلامه طمعت بما هي فيه من القوم ثم قال عبد المطلب بلغي عنا بعلك بالتحية و الإكرام و اذكري له إن كان له عندنا حاجة فإنا نقضيها له و لو مهما كانت فقالت يا أبا الحارث إنا قد طلبنا بتعجيل المسرة و قد علمنا أن ملوك الأرض تطاولت إليكم و قد رغبوا في ولدكم و يطلبون فوزكم و رفقتكم عن الخلق و مقداركم و قد طمعنا فيه مع جملة من طمع و رجونا مع جملة من رجا و قد رجا وهب أن يكون عبد الله زوجا لابنته و قد جئتكم خاطبة راغبة طامعة فيكم لابنتنا و نسألكم أن تقبلوها

فإن كان مالها قليل فعلينا ما نجملها به و هي هدية منا لابنك قال فلما سمع كلامها نظر إلى ولده و كان قبل ذلك إذا عرض عليه التزويج من بنات الملوك يظهر في وجهه الامتناع فقال أبوه يا بني ما تقول فيما سمعت فو الله ما في بنات مكة مثلها الأنوار ص : 118لأنها محتشمة في نفسها طاهرة مطهرة الأذيال قال فسكت عبد الله و لم يرد جوابا فعلم أبوه أنه قد مال إليها فقال عبد المطلب قبلنا منكم و أجبنا مسألتكم و رضينا لعبد الله ابنتكم و سأمضي إليها بنفسي قالت فاطمة أم عبد الله و أنا أسير

معكم إليها إن كان رضيت بها و أعجبتني فأزوجها بولدي قال فرجعت برة فرحة مسرورة و لم تصدق بما سمعت من عبد المطلب ثم سارت مسرعة إلى بعلها فقال لها وهب ما وراءك فقالت له يا هذا سعدت و سعد جدك و علا في الناس ذكرك و مجدك و ارتفع قدرك و قد رضي عبد المطلب بابنتك و لكن مع الفرحة ترحة قال ما هي قالت إن فاطمة تريد تنظر إلى ابنتك آمنة فإن رضيتها تمت المصاهرة و إني أخاف أن لا ترضاها فقال لها وهب بن عبد مناف اخرجي إليها و زينيها و أفرغي عليها أحسن ثيابها و قلديها أحسن ما عندك فعسى و لعل ترضاها قال فعمدت برة إلى ابنتها آمنة و ألبستها أفخر ثيابها و ظفرت شعرها و أرخت ذوائبها على أكتافها و طيبتها و قلدتها بقلائد من اللؤلؤ الرطب و قالت يا بنية إذا أتتك فاطمة و خطبتك فإياك أن تعرضي

الأنوار ص : 119 عنها و ارغبي في النور الكريم و الرجل العظيم و البحر الخضم الجسيم قال فبينما هي تخاطبها و إذا قد دخلت عليهم فاطمة أم عبد الله فقامت آمنة لفاطمة إجلالا و تعظيما لها و رحبت بها و أجلستها إلى جانبها و قد كساها الله نورا و جمالا و جملها في عين فاطمة أم عبد الله و ذلك لما سبق في علم الله أنه يخرج منها سيد الأولين و الآخرين و خيرة خلق الله و صفوته من خلقه محمد ص قال فلما رأت فاطمة آمنة في ذلك الحسن و الجمال و قد أضاء من نور وجهها الدار قال فتعجبت فاطمة من حسن آمنة و أقبلت إلى أمها برة و قالت ما كنت أرى آمنة بهذا الحسن و الجمال و الصفة و لقد رأيتها مرارا كثيرة ما كنت أراها على هذه الهيئة فقالت لها برة يا فاطمة كل مل أيت من حسنها فهو من بركتكم و إنك لا ترضينها لعبد الله قال فخاطبت آمنة فوجدتها أفصح بنات مكة لسانا فلما رجعت فاطمة قالت لولدها عبد الله يا ولدي ما في بنات مكة أحسن منها جمالا و لا بهاء و لا كمالا و لا أعقل من آمنة فإن لك من إحسان الله و فضله إذ خصنا بأفضل معشر و إن الله عز و جل لا يودع نور الأنوار ص : 120صفيه و حبيبه إلا في طهر و عفاف و شرف قال فلما وقع الحديث بين عبد المطلب و بين وهب في ابنته آمنة قال يا أبا الحارث إنها هدية منا إليك لولدك بغير صداق يكون معجلا و لا مهرا مؤجلا فقال عبد المطلب جزيت خيرا و لا بد من الصداق يكون بيننا تشهد به قومنا و قومك قال الراوي ثم إن عبد المطلب هم أن يمد إليه شيئا من المال ليصلح به شأن ابنته فسمع همهمة و أصواتا فوثب وهب و سيفه مسلول و قاموا جميعا قال و كان سبب ذلك أن اليهود الذين كانوا محبوسين في دار وهب فزعوا و داخلهم الرعب و كانوا في دار خالية فحركهم الشيطان لهلاكهم و كان حبرهم هيوبا قال يا ويلكم أنتم مقتولون لا محالة فقوموا و خاطروا بأنفسكم فعسى أن تظفروا بهم جميعا و تقتلوهم و تخرجوا في هذه الليلة على وجوهكم قال ثم

إن هيوبا تمطى في كتافه و كان من جلد فقطعه ثم حل أصحابه و قال بعضهم بما نقاتلهم و ليس معنا سلاح قال هيوبا نهجم عليهم بالحجارة و هم غافلون قال فعند ذلك تبادروا اليهود هيوبا في أولهم و مع كل واحد حجرين و أقبلوا حتى وقفوا قريبا من الأنوار ص : 121عبد المطلب و ولده عبد الله و وهب و هم قعود في ضوء المصباح و اليهود يرونهم قال فعند ذلك رموهم بالحجارة التي كانت معهم قال فرد الله الحجارة عليهم و هشمت وجوههم فمنهم من وقع في رأسه و ذلك بقدرة الله تعالى و من بركات رسول الله ص قال فنظر عبد المطلب إلى هذا الأمر و تعجب من قدرة الله تعالى و خرج بنو هاشم و قالوا يا أعداء الله ما رأيتم ما حل بكم بالأمس و لكن الله خذلكم لانقطاع آجالكم ثم حملوا عليهم و قتلوهم عن آخرهم و كفى الله شرهم قال و كان عبد المطلب لا يفارق سيفه أينما توجه خوفا على ولده لما يعلم من كثرة أعدائه و حساده قال فلما قتلوا اليهود خرج عبد المطلب و زوجته و ولده و قالوا يا وهب إذا كان في غداة غد تخرج قومنا و قومك و تشهد علينا و عليك بما يكون من الخطاب و الصداق فقال وهب يا عبد المطلب جزاك الله عنا خيرا قال فلما برق ضياء الصباح و لاح الفجر بالفلاح أرسل عبد المطلب إلى بني عمه يحضرون الخطبة و لبس عبد المطلب أفخر أثوابه و جمع وهب أيضا أقاربه و بني عمه و اجتمعوا في

الأنوار ص : 122 الأبطح قال فلما أشرفوا عليهم قاموا إجلالا لعبد الله و أبيه عبد المطلب و أولاده ثم استقر بهم الجلوس خطبوا خطبتهم و عقدوا عقد النكاح فقام عبد المطلب فيهم خطيبا و قال الحمد لله حمدا أستوجب بما أنعم علينا و أعطانا و جعلنا لبيته جيرانا و لحرمه سكانا و ألقى محبتنا في قلوب عباده و شرفنا على جميع الأمم و وقانا شر الآفات و النقم و الحمد لله الذي أحل لنا النكاح و حرم علينا السفاح و أمرنا بالاتصال و حرم علينا الحرام اعلموا أيها الناس أن ولدنا الذي تعرفونه عبد الله قد خطب بنت وهب بالصداق المعجل ألف مثقال من الفضة البيضاء و مؤجل ألف مثقال من الذهب الوهاج فهل رضيتم بذلك من ولدنا فقال وهب قد رضينا فقال عبد المطلب اشهدوا أيها الناس و الله على كل شي ء شهيد قال ثم إنهم تصافحوا و تعاقدوا و أولم عبد المطلب وليمة حضرها جميع أهل مكة و أوديتها و شعابها و أقاموا الناس فيها سبعة أيام قال الراوي فلما تزوج عبد الله بآمنة بنت وهب أقام معها أياما و النور في وجهه و لم يزل حتى نفذت مشيئة الله تعالى و قدرته

الأنوار ص : 123 و أراد أن يخرج خيرته من خلقه محمدا ص و أن يشرف به الأرض و ينورها بعد ظلامها و يطهرها بعد دنسها أمر جبرئيل أن ينادي في أهل السماوات و الأرض قال فنادى جبرئيل في صفوف الملائكة المقربين و الحافين و حملة العرش و عند سدرة المنتهى و عند جنة المأوى أن الله جل جلاله قد تمت كلمته و حكمته و أنفذت مشيئته و أن وعده الذي أوعده من ظهور نبيه البشير النذير

السراج المنير الذي يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و يدعو إلى عبادة الله تعالى و قال الشاعر شعرا صلوا على خير الورى

نسب به أضحى الكمال مكملا و كساه فخرا باهرا رب العلانسب به حاز الكمال بأسره و رقا يزف بحسنه بين الملايا فوز آمنة برؤيا حسنه و تباشرت بقدومه وحش الفلاجبريل نادى معلنا هذا الذي في الناس أضحى مرسلا و مجملاهذا الذي ما مثله من مرسل و الله يعطيه الكرامة أولاو الله خص محمدا بفضائل من نوره نور الشريعة قد علا

الأنوار ص : 124من نوره للعرش نور ظاهر من نوره الكرسي قطعا ينجلاصل عليه الله بي دائما ما دامت الدنيا و زاد الفضلا

و هو صاحب الأمانة و الصيانة فيظهر نوره في البلاد و يكون رحمة للعباد و قد أوعد من أحبه بالشرف و الرضا و من أبغضه بسوء القضاء و هو الذي عرض عليكم من قبل أن يخلق آدم و اسمه في السماء أحمد و في الأرض محمد و في الجنة أبو القاسم قال فأجابته الملائكة بالتهليل و التكبير و التسبيح و التقديس و الثناء لرب العالمين و فتحت أبواب الجنان و غلقت أبواب النيران و أشرقت الحور الحسان و نطقت الأطيار على رءوس الأغصان بالتقديس للملك الديان قال فلما فرغ جبرئيل من أهل السماء أمره الله تعالى أن ينزل في مائة ألف من الملائكة إلى أقطار الأرض و إلى جبل قاف و إلى خزان سحاب الأمطار و الفيافي و القفار يبشرهم بخروج رسول الله و إلى الأرض السابعة و إلى بهموت و إلى مستقر الحوت فأخبرهم بخبره فمن أراد به خيرا ألهمه محبته و من أراد به شرا ألهمه بغضه و زلزلت الشياطين و طردت عن مواضعها التي كانوا يسترقون الأنوار ص : 125السمع و رجموا بالشهب قال صاحب الحديث إنه كان ليلة الجمعة عشية عرفة و قال الشاعر صلوا على خير الورى محمد و آل محمد

يا حسنها من ليلة جليت بها من أجل أحمد سيد الأكوان قيموا لآمنة على كرسي الرضا حتى تراها الحور و الولدان في حلية ذهبية قد أقبلت صفراء مشرقة إلى السلطان في أخضرين تمايلت لما انجلت الله فضلها على النسوان قد جهزوها و سلب كل الورى في حسنها يا معشر الإخوان قد أقبلت في حلة بيضاء و هي تسبي العقول و تسلب الأذهان يا ابن عبد المطلب انهض و قم و اكشف عن المنديل ترى قمران لما كشف أبو النبي عن وجهها بدرا رأى ما فيه من نقصان يا آمنة سلي له سيف الرضا قالت أريد وعرا يكون يماني قال فسلي السيف أنك تحملي بمحمد سيف بني عدنان نزلت ملائكة السماء بعرسها و بشروها بالنبي العدناني قوموا مشطوها و اعدلوا هاماتها وارقوا بها أعلى المراتب عان

الأنوار ص : 126حلوا ظفائرها و أرخوا شعرها سبل من الكتفين للقدمان خدامها قدامها قد أقبلوا بمباخر

الفضة و عود البان قد ألبسوها التاج فوق جبينها قد رصعوا بالدر و المرجان حور الجنان قد أقبلت خدامها نثروا عليها المسك فت ختان يا آمنة قومي البسي حلل الرضا من كل لون فاق في الألوان

قال و كان عبد الله قد خرج مع إخوانه و أبيه و بني عمه فبينما هم سائرين و إذا هم بنهر عظيم فيه ماء زلال و لم يكن فيه قبل ذلك اليوم هناك ماء و لا نهر قال فبقي عبد الله متفكرا متعجبا و لم يجد طريقا و قد قطع عليه الجادة قال فبينما هو كذلك إذ هتف به هاتف و قال يا عبد الله اشرب من هذا النهر قال فشرب منه فإذا هو أبرد من الثلج و أحلى من العسل و أذكى من المسك فنهض مسرعا إلى إخوته و أبيه و أخبرهم بما رأى من ذلك النهر فتعجبوا منه ثم إن عبد الله مضى مسرعا إلى منزله فلما رأته زوجته آمنة طائش العقل فقالت له صرف الله عنك الطوارق فقال لها يا آمنة تطهري و تطيبي و تعطري فعسى الله أن يستودعك هذا النور قال الأنوار ص : 127ففعلت آمنة فغشاها تلك الليلة فحملت بمحمد ص و انتقل النور الذي في وجهه إلى آمنة بنت وهب قالت لما دنا مني و لامسني ملئت منه نورا و أضاء منه نورا كأنه مصباح وهاج فأنارت منه الظلمة فأدهشني ذلك النور و كانت آمنة بعد ذلك ترى النور في وجهها كالمرآة المضيئة الصافية و النور يسطع من وجهها من نور محمد ص و قد قال الشاعر صلوا على خير الورى محمد و آل محمد

آمنة في أمانيها مليحة في معانيهاتجلت و انجلت حقا سألت الله يبقيهاظفائر شعرها حلت على أكتافها دلت و أملاك السماء ابتهلت و نظروا لمعانيهاجبين كالبدر ياضي و ذكره شافي أمراضي لها رب السما قاضي فو الله خاطري فيهالها حاجب كالأقياس و تتمايل كشطب الياس و ما من مثلها في الناس أبو المختار حظى فيهالها خد كما التفاح روائح عطرها قد فاح

الأنوار ص : 128نظر لها بقي مرتاح و حاز سعوده فيهالها عنق كما المرمر و ريق أحلى من السكرو هي تجلى و تتبختر و حور العين تحويهاجلوها بالحلل و النور إله العرش لها ناطورو نثروا اللؤلؤ المنثور و حور العين تحويهاجلوها بالحلل و التاج إليها خاطر قد هاج و حاج الحاج لها محتاج و نظروا لمعانيهاجلوها ليلة خضرا و كانت ليلة قمراو هي تاضي كما الزهرا أبو المختار حظى فيها قال صاحب الحديث لما حملت آمنة بنت وهب برسول الله أتوا أهل مكة يهنئونها حيث أضاء النور في وجهها و قال الشاعر

يا آمنة بشراك رب السما هناك بمحمد مناك سبحان من أعطاك حملتي بالحبيب و صفوة الله المجيب عيشك في الدنيا يصيب عن كيد من عاداك

الأنوار ص : 129حملتي بالرسول و صاحب القبول بأبي البتول الله به هداك حملتي بالمختار و صاحب الأنوارابن عمه الكرار نور النبي الزاكي حملتي بالعدنان و صاحب الإحسان و تالي القرآن

بالمصطفى مناك حملتي بالمؤيد المصطفى الممجدالهاشمي أحمد الله به حباك حملتي بالمليح أبلج كالصبيح من قدرة رجيح الله به حماك حملتي يا أمينة بساكن المدينةو صاحب السكينة و نضرة الأملاك حملتي بالشفيع و ساكن البقيع و نوره البديع قد عطر الأملاك

الأنوار ص : 130أمدح أنا خير البشر الهاشمي صفوة مضرمن أجله انشق القمر وا خجلة الإشراك أمدح نبي عربي و بمن بمكة قد ربي الهاشمي اليثربي و نوره الفتاك أحمد على ظهر البراق قد ارتقى سبع الطباق جبريل خادم باتفاق مع جملة الأملاك أحمد أتانا بالصواب شفيعنا يوم الحساب و الناس فيها باكتئاب من ضاحك و باكي بالمصطفى سعدك غلب لما حملتي في رجب سوف تري منه العجب هذا النبي الزاكي شعبان شهر الثاني و النور منه باني ولد النبي العدناني و نوره يغشاك رمضان جاك بالوفا لحملك بالمصطفى و ربك عنك قد عفا و خصك و حماك

الأنوار ص : 131شوال شهر الرابع و النور فيه ساطع فيه محمد راكع ساجد إلى مولاك ذا القعدة جاك بالهنا و خص قلبك بالمنى يا آمنة نلت المنى و ربك أعطاك ذا الحجة جانا بالكرم هذا النبي المحتشم و لم تر منه ألم هذا النبي الزاكي محرم قد أقبلا فيه النبي تكملامن ربنا المبجلا و خصك و رضاك و في صفر يأتي الخبر بذي النبي المختبرمن أجله انشق القمر ضاءت لك دنياك شهر ربيع أتانا فيه النبي هدانامكسر الأوثانا و أخمد الإشراك شهر ربيع الأول ولد النبي المرسل يا آمنة تأملي و نوره يغشاك

الأنوار ص : 132بمكة قد صار خير الورى المختارو صاحب الأنوار و عمدة النساك ولد النبي مختونا مكحلا مدهوناو حاجبه مقرونا الله به حماك هذا البشير هذا النذيرهذا هو البدر المنير يا حبذا بشراك صلوا على خير الأنام المصطفى بدر التمام يشفع إلى كل الأنام هو سيد الأملاك

الأنوار ص : 133الجزء السادس من كتاب الأنوار في مولد النبي محمد ص

روى أبو الحسن البكري عن عمر الشيباني و جماعة من أصحاب الحديث أن السحرة و الكهنة و الشياطين و المتمردة و الجن كانوا قبل مبعث رسول الله ص يظهرون العجائب و يحدثون الناس بما تخفى الأسرار و يكتمونه في الضمائر و ينطقون السحرة و الكهنة على ألسن الجن و الشياطين مما يسترقون السمع من الملائكة و لا تحجب السماء عن الشياطين حتى بعث رسول الله ص. قال صاحب الحديث بلغنا أنه كان في أرض اليمامة كاهنان عظيمان قد فاقا على أهل زمانهما من الكهانة و هم يحدثون الناس في كهانتهما في كل مكان و كان أحدهما اسمه ربيعة بن مازن و يو ف الأنوار ص : 134بسطيح و هو أعظم الكهان و الآخر اسمه وشق بن واهلة بن زيد اليماني فأما سطيح خلقه الله تعالى قطعة لحم بلا عصب و لا عظم سوى جمجمته و كان يطوى كما يطوى الثوب من أسفله إلى عند التراقي ثم ينشر نهارا كما ينشر الثوب ثم يطوى بالليل و يحمل على وضمة كما يحمل اللحم على

وضم القاضب لا ينام من الليل إلا اليسير يقلب طرفه إلى السماء و ينظر إلى النجوم الزهرات و الأفلاك الدائرات و البروق اللامعات و يحمل إلى سائر الأمصار و يرفع إلى الملوك في جميع الأقطار و يسألونه عن غوامض الأخبار قال فيبين لهم ما في قلوبهم من الأسرار و يحدثهم بما كان في الزمان من العجائب بما يأتي و يظهر في الأوقات و بما يكون في المغيبات و هو ملقى على سريره شاخصا ببصره إلى السماء إذ لاحت له برقة من شمائل مكة و قد نزلت من عنان السماء فبلغت بنور أضاء و ملئت الأرض و الأقطار و هو ملقى على الأرض شاخصا ببصره إلى السماء و لا يحرك منه شيئا سوى عيناه و لسانه و قلبه ثم رأى الكواكب قد علا نورها و ازدهرت و توقد منها النيرة ثم تساقط بعضها الأنوار ص : 135ببعض و ظهر منها الدخان فغارت واحدة بعد واحدة حتى غابت في الثرى و لم ير لها نورا و لا ضياء قال فلما نظر سطيح إلى ذلك دهش و حار و أيقن بالبوار و قال كواكب تظهر بالنهار و برق يلمع

بالأنوار يدل على هذا عجائب و أخبار قال فظل يومه و هو يفكر فيما عاينه حتى انقضى النهار فلما عاين ذلك أمر غلمانه أن ينزلوا إلى موضع هناك و كان شامخا عاليا قال فرفعوه إلى أعلى موضع فجعل يقلب طرفه يمينا و شمالا و إذا بنور ساطع و ضياء لامع قد علا على الأنوار و أحاط على جميع الأقطار و قد ملئت الأرض طولا و عرضا فقال لغلمانه أنزلوني سريعا فإن عقلي قد طار و لبي قد حار من أجل هذه الأنوار و إني أرى أمرا طويلا و خطبا جليلا و قد دنا الرجل لا شك عن قليل قالوا له و كيف ذلك و ما الذي رأيت يا سطيح قال يا ويلكم إني رأيت أنوارا قد علت و نزلت من السماء إلى الأرض و إني أرى الكواكب قد تساقطت إلى الأرض و إني أظن أن خروج الهاشمي قد دنا فإذا كان الأمر كذلك فالسلام على الوطن إلى آخر الزمن قال فحاروا الأنوار ص : 136غلمانه من كلامه و نزلوه و ساروا إلى الجبل و أصبح قلقا و لم يهنى برقاد و لا يوطئ له وساد كثير الفكر و السهاد قال فلما أصبح جمع قومه و عشيرته و قال إني رأيت أمرا عظيما و خطبا جسيما و قد غاب عني خبره و خفي علي أثره و سأبعث إلى جميع إخواني من الكهان فأكتب إليهم و إلى سائر البلدان و إلى وشق بن واهلة و هو يومئذ بدمشق يسأله عن الحال و يشرح له المقال قال فرد عليه المقال و قال قد ظهر عندي بعض الذي ذكرته و سيظهر نور الذي ذكرته و وصفته غير أني لا أعلم فيه و لا أعرف شيئا من دواهيه و دواعيه قال فعند ذلك كتب إلى الزرقاء ملكة اليمامة و كانت من أعظم الكهنة و السحرة ساحرة عظيمة الشر بعيدة الخير قد ملكت قومها بشرها و سحرها و مكرها و خدعها و لم يكن أحد يقدر عليها و لا يقرب إلى بلدها لما يعلمون من شرها و سحرها و كان المجاورون لها آمنون في معاشهم لا يخافون من عدو و لا يجزعون من أحد و كانت حادة النظر بعيدة الخطر تنظر من مسيرة ثلاثة أيام كما ينظر الإنسان الذي بين يديه و إذا

الأنوار ص : 137 أراد أحد من أعدائها الخروج إلى بلدها تخبر قومها و تقول احذروا فقد جاءكم من جهة كذا و كذا فيجدون الأمر كما وصفته قال الراوي قد بلغنا أن أهل اليمامة قتلوا قتيلا من غسان فبلغ قومه قتله فاجتمعوا أن يكبسوا قومها في أربعة آلاف مدرع فقال لهم سيدهم من غسان يا ويلكم أ تطلبون في اليمامة و الزرقاء فيها أ ما تعلمون أنها تنظر إلى الوافدين و تعاين إلى الواردين على بعد البعيد فكيف إذا رأت إلى ركائبكم قد أقبلت و أعلامكم قد أشرفت فتخبر قومها فيأخذون حذرهم ثم إنه بعد ذلك جعل يقول

إني أخاف من الزرقاء و صولتها إذا رأت جمعكم يسري إلى البلدترميكم بأسود لا قوام لكم بشرها ثم لا تبقي على أحدكم من جموع أتوها قاصدين لها فراح جمعهم بالويل و الكمد

قال الراوي فقالوا له و ما الذي تشير به علينا قال إني رأيت رأيا أرجو أن تظفروا به إن ساعدكم القضاء و القدر قالوا و ما ذاك قال إني أشير عليكم أن تنزلوا عن خيولكم في ظل الشجر ثم تعمدون إلى الشجر فيقطع كل واحد منكم ما يستتر به ثم تحملونه الأنوار ص : 138بأيديكم ثم تقودون خيولكم في ظل الشجر فعسى أن يتغير عليها النظر فقالوا نعم الرأي ما رأيت فنزلوا عن خيولهم و فعلوا ما أمرهم به سيدهم و جدوا المسير إلى أن بقي بينهم و بين اليمامة مسير ثلاثة أيام ثم جعلوا رجلا أمامهم و بيده كتف بعير يلوح به و نعلا يخصفه لكي يخفى عليها النظر قال فنظرتهم الزرقاء و هي في صومعتها فلما رأتهم صاحت يا أهل اليمامة أقبلوا إلي قبل أن تحل بكم الندامة فأقبلوا إليها يهرعون من كل جانب و مكان يسألونها فأحدقوا بصومعتها و قالوا لها ما وراءك و ما الذي دهاك قالت إني أرى عجبا عجيب أرى شجرا يسير يقدمهم رجل في يده كتف بعير و معه نعل يخصفه تارة و تارة يلوح بكتف البعير قال فلما سمعوا كلامها أعرضوا عنها و قال بعضهم لبعض إن الزرقاء قد خرفت و داخلها الجنون و قد تغير نظرها فهل رأيتم رجلا في يده كتف بعير و شجرا يمشي و يسير إن هذا كله وسواس و جنون قد عارضها قال فلما سمعت ذلك منهم أغلقت صومعتها و كانت لا يقدر عليها أحد قال فلم يلبثوا بعد ذلك إلا أياما يسيرة حتى كبسوا اليمامة الأنوار ص : 139و هدموا البنيان و سبوا النساء و قتلوا الرجال و ذبحوا الأطفال و أخذوا الأموال ثم انقلبوا راجعين قال فوقع بقومها الندامة و عاقبتهم الملامة حيث إنهم ما سمعوا كلامها و خالفوا أمرها و فيها قال الشاعر

مثل الفتاة التي قد غاب واحدها أهدت له من بعيد نظرة جزعالما رأت ذات أشجار تسير بها لما أتى الجمع و الأبطال قد جمعاقالت أرى رجلا في يده كتفا و يخصف النعل طورا قلبه هلعاو قد أرى شجرا في ظله بشرا تسرى إليكم سراعا تسبق السرعافأخرجوا القوم كرها من منازلهم و هدموا عالي البنيان و الصمعالو طاوعوا شورها يا صاح ما ندموا لكن أضاعوا فضاع الحي و انقطعا

قال ثم إن سطيح كتب إليها كتابا فيه يقول باسمك اللهم من سطيح صاحب القول الفصيح و الرأي الرجيح إلى فتاة اليمامة المعروفة بالكهانة و الشهامة الزرقاء من سطيح الغساني الذي ليس له في عصره ثاني أما بعد فإني كتبت إليك كتابي هذا و أنا في هموم و غموم متواترات و سكرات و خطرات و قد تعلمين ما الذي يحل الأنوار ص : 140بنا من التدمير و الهلاك من حديث خروج الهاشمي التهامي الأبطحي العربي المكي المدني السفاك الهتاك الذي تقاتل معه الأملاك و إني قد رأيت برقة قد لمعت و كواكب قد سقطت أظن ذلك من علاماته و لا شك أن أوانه و خروجه قد دنا و ما كتبت إليك إلا لأرى ما عندك من التحقيق و ما ترين من الصواب و ما في نساء عصرك مثلك مثيل فإذا ورد عليك كتابي فردي علي جوابي بما عندك من التحقيق و ما ترين من الصواب فإنه لا يقر لي قرار لا في ليل و لا نهار حتى أقف على تلك الدلائل و الآثار و السلام ثم دعا بغلام له اسمه صبيح و قال له سر بهذا الكتاب إلى اليمامة و أوصله إلى الزرقاء و ائتني برد الجواب قال فأخذ صبيح الكتاب و جد السير حتى بقي بينه و بين الزرقاء مسيرة ثلاثة أيام فرمقت الكتاب يلوح في طي عمامته قال فنادت بقومها فأقبلوا مسرعين فقالت لهم إني أرى رجلا مقبلا إليكم و معه كتاب في طي عمامته فجعل القوم يتوقعون قدومه إلى أن وصل إليهم بعد ثلاثة أيام فلما قدم صبيح على اليمامة استدل على قصر الزرقاء

الأنوار ص : 141 فأرشدوه إليها فلما رأته قريبا منها نزلت إليه و فتحت له الباب و دفع إليها الكتاب فأخذته و فضته و قرأته فلما عرفته قالت خبر قبيح أتى به صبيح من كاهن اليمن سطيح يسأل عن نور ساطع و ضياء لامع و ذلك و رب الكعبة من دلائل مخرب الأوطان و ميتم الأطفال فإنه سيظهر من بني عبد مناف محمد بلا خلاف قال صبيح فتعجبت من كلامها ثم طلبت رد الجواب قال فكتبت إلى سطيح تقول باسم الله من الزرقاء التي ليس عليها شي ء يخفى إلى سيد بني غسان و أفضل الكهان المعروف بسطيح صاحب القول الفصيح و العلم الرجيح أما بعد فإنه قد ورد كتابك إلي و قدوم رسولك علي تذكر فيه أمرا عظيما هجس بكبدك و اختلج بقلبك أما نزول الكواكب فإنك ترى آيات الهاشمي قد قربت فإذا قرأت كتابي هذا فأيقظ نفسك و احذر من الغفلة و التقصير و بادر إلى المسير و التشمير إلى مكة فإني راحلة إليهم لأعرف أهلها على الحقيقة فلعلنا أن نتساعد على هذا المولود و نعمل فيه الحيلة و عسى أن نظفر به و نخمد ناره و نوره قبل إشراقه ثم دفعت الكتاب إلى رسول الأنوار ص : 142سطيح فأخذه و سار حتى قدم على سطيح قال فلما قرأ كتابها انتحب و بكى بكاء عظيما ثم جعل يقول

لا صبر لا صبر أضحى بعد منزلة تدع الجلادة كالمستضعف الوهن إن كان حقا خروج الهاشمي دنا فارحل بنفسك لا تأسف على اليمن ثم اجعل القفر أوطانا تسير بها و ارحل عن الأهل ثم الدار و الوطن فالعيش في مهمه من غير لا جزع أهنى من العيش في ذل و في حزن

قال ثم أخذ في أهبة السفر و الخروج إلى مكة و قال لقومه إني سائر إلى نار قد تأججت فإذا أدركت إخمادها رجعت إليكم و إن كانت الأخرى فالسلام عليكم فإني لاحق بالشام و أقيم بها حتى أموت ثم وطئوا له على راحلته و سار إلى حيث أدرك مكة و أتى إلى الكعبة فتسامعت به قريش فجاءوا إليه من كل جانب و مكان فلما رأى الناس حوله زعم أن رسول الله ص معهم و أنه قد ولد و كانت أمه قد حملت به فأقبلت إلى سطيح رجال من قريش و فيهم أبو جهل بن هشام و أخوه أبو البختري و عتبة بن ربيعة و شيبة بن ربيعة و العاص بن وائل و قالوا يا سطيح ما قدم الأنوار ص : 143بك إلينا فهل من حاجة فتقضى فقال سطيح بورك فيكم ما لي إليكم حاجة فقالوا تمضي معنا إلى منازلنا فقال أكرمكم الله بل أنزلت إلى من إليهم قصدت و بفنائهم أنخت و قد علمتم فضلي فجئت أخبركم بما كان و بما يكون بإلهام ألهمت بالصواب و أنطق بالجواب فأين المقدمين بالعهد و من لهم السابقة بالحمد أعني أفضل قريش من بني عبد المطلب و الحمد لله جئت أبشرهم بالبشير النذير و السراج المنير و قد قرب ما ذكرته ثم نادى برفيع صوته أين عبد المطلب و سلالة الأشبال قال فعظم ذلك على أبي جهل ثم إنهم تفرقوا عنه يمينا و شمالا ثم اتصل الخبر إلى بني عبد مناف فجمع أبو طالب إخوته عبد الله و العباس و الحمزة و عبد العزى و قال لهم اعلموا أن هذا القادم عليكم هو كاهن اليمن و هو سيدها و كان قديما قد قدم على أبيكم من قبل و أخبره بمولد الذي يخرج من ظهره مبارك في عمره يملك الأقطار و يدعو إلى عبادة الجبار و ها هو قدم عليكم فانطلقوا بنا إليه لنأخذ الأمر على حقيقته فإن كان صادقا فقد استوجب الإحسان و إن يكن كاذبا رميناه بالذل و الهوان و لكن أنكروه نسبكم الأنوار ص : 144و لا تعرفوه حسبكم ثم إن أبا طالب سار هو و أخوته حتى انتهوا إلى سطيح و كان جالسا في ظل الكعبة و الناس حوله قال فلما نظروا إليه دفع أبو طالب سيفه و

رمحه إلى غلام سطيح و قال هذه هدية مني إليك لواجب الحق علينا ثم انحرف إليه من قبل أن يأتي غلامه بالهدية قال فلما وصل أبو طالب قال حييت بالكرامة و خلدت النعم إلى يوم القيامة فإنا قد أتيناك زائرين لواجب حقك معترفين فقال لهم سطيح جللتم بالسلام و أتحفتم بالإنعام فمن أي العرب أنتم فأراد أبو طالب أن يعلم مقدار علمه فقال نحن من بني جمح الكرام أهل المفاخر العظام فقال له سطيح ادن مني أيها الشيخ و ضع يدك على وجهي فإن لي فيك حاجة قال فدنا منه أبو طالب و وضع يده على وجهه فعند ذلك قال سطيح و عالم الأسرار و المحتجب عن الأبصار غافر الخطيئة و كاشف البلية إنك صاحب الذمم المرضية و الأخلاق العلية المسلم لغلامي الهدية قناة خطية و صفحة هندية و إنكم لأشرف البرية و إن لك و لأخيك أشرف الذرية يلقى معاديكم الرزية و إنكم و من الأنوار ص : 145أتى معكم من سلالة هاشم الأخيار و إنكم لا شك عم النبي المختار المنعوت في الكتب و الأخبار فلا تكتموا نسبكم فإني عارف به قال فتعجب أبو طالب من كلامه و قال له يا سطيح قد صدقت في

المقال و أحسنت في الخصال و نريد أن تخبرنا بما يكون في زماننا و ما يجري علينا فقال سطيح و الدائم الأبد و رافع السماء بغير عمد الواحد الأحد الفرد الصمد المبعوث ليبعثن من هذا و أشار بيده إلى عبد الله عن قريب نبي يهدي إلى الرشاد يدمر كل صنم و يهلك كل من له عبد و لا يبقي سيفه على أحد يدعو إلى عبادة الواحد الأحد يعينه على ذلك معين و هو ابن عم له قرين صاحب صولات عظام و ضربات بالحسام أبوه لا شك هذا و أشار بعينه و يده إلى أبي طالب فقال أبو طالب يا سطيح نحب أن تصف لنا هذا النبي و تبين لنا فضله فقال نعم اسمعوا مني كلاما فصيحا سيظهر منكم عن قليل رجل نبيل رسول الملك الجليل و إن لسان سطيح عن وصفه لكليل و هو رجل لا بالطويل الشاهق و لا بالقصير اللاصق حسن القامة مدور الهامة بين كتفيه علامة على رأسه غمامة تقوم

له الدعامة

الأنوار ص : 146 إلى يوم القيامة ذاك و الله سيد بني تهامة يزهر وجهه في الدجى إذا تبسم تشرق الأرض بالضياء أحسن من نشا و أكرم من مشى حلو الكلام طلق اللسان قوي الجنان تقي زاهد راكع ساجد لا مستكبر و لا متجبر إن نطق أصاب و إن سئل أجاب طاهر الميلاد بري ء من الفساد رحيم بالعباد بالمؤمنين رءوف رحيم و بالنور محفوف و على أصحابه عطوف اسمه في التوراة و الإنجيل معروف يجبر الملهوف و بالكرامة موصوف اسمه في السماء أحمد و في الأرض محمد و في الجنة أبو القاسم قال أبو طالب يا شيخ من هذا الشيخ الذي ذكرته بين لنا نعته لنعرف من يقاربه في الحسب و يدانيه في النسب انعته لنا لنعرفه أيضا قال سطيح هو غلام همام و ليث ضرغام و أسد قمقام و قائد مقدام و قشعم جزام كثير الانتقام يسقي أعداءه كئوس الحمام عظيم الجولة شديد الصولة كثير الذكر في الملاحم و يكون لمحمد ص وزيرا و يدعى بعد موته أميرا اسمه في التوراة إليا و في الإنجيل طابريا و في الزبور سيدا بريا و في كتاب المصطفى عليا و فيه قال الشاعر أفلح من يصلي على الرسول

الأنوار ص : 147يا ابن أبي طالب أنت الولي يا سيدي يا حيدر يا علي يا حيدر يا ابن أبي طالب يا طيب العنصر من طالب يا مرحبا بالفضل من واهب أنت الإمام المرتضى يا علي أنت أمير المؤمنين الوصي أنت لعلم المصطفى محتصي و كل ما كان له مقتصي علمك من علم الإله العلي أنت أمير النحل يا حيدرة أنت الشجاع الفحل من قسورةأنت الذي سميت بالبكرة و في كتاب المصطفى يا علي يا وارث المختار يا عينه يا صارم المشهور يا ركنه يا سوره الشامخ يا زينه يا من بنار الحرب كي تصطلي يا فارس الفرسان يوم الوغى و قاتل الأبطال مع من طغى و عاصر خالد حتى رغا كمثل رغي الإبل الأول كم بالحسام العربي يلتقي و كأس حتف الموت من قد شقي و الجبن بالضيغم لا يلتقي و مشهر من ضوئه الأفضل و كيف أحد ثم مع خيبر من معجز مشتهر مجهرو كم بها جدل من قسور و كم

شجاع طاح في القسطل
الأنوار ص : 148و في حنين ثم في سلعم بالسيف كم جدل من ضيغم و أنت بالفرسان كالأرقم فتسقهم كأسا من الحنظل يا مرجع الشمس في بابل و خير من يطعن بالذابل أنت فنعم المرتضى الكاهل من أحمد المنتجب الأفضل جاهدت بالله عن المصطفى و لم تول عنه معطي قفامثلك من للمصطفى قد صفا بوده فهو الصفي الخلي مشيت في الإسلام دين الهدى بصارم للعزم مفني العداغيرك للمختار من قد فدى لما أتته القوم في الجحفل
و قال الشاعر في هذا المعنى
مولدك الكعبة فوق الرخام و جئت معصوما عليك السلام يا خير من لبى و صلى و صام و تصدق بالخاتم من أول يا أفصح الناس على المنبر و من له الحجة في المحشرو من هو الساقي على الكوثر يسقي الموالي و المعادي حلي هذا الذي كتف النبي قد رقى و كسر الأصنام حين ارتقى و كل من عاداك نال الشقا و فاز من كان لحيدر ولي

الأنوار ص : 149من حبه الله قد ارتضى و من يسمى حيدر المرتضى فصل القضاء مردي العدا مصباح ذي الحق نعم الولي أنت الذي أحييت ميت الرميم أنت الذي كلمت أهل الرقيم أنت حبيب لحبيب الكريم و أنت ذخري يا إمامي علي كن شافعا لي يا إمام الورى و منقذي يا ابن أم القرى يا أسد الله و ليث الشرى يا خائض الغمرات في القسطل مدحك يا خير الورى متجري و مذهبي الواضح و المفخرو حجتي حبك في محشري و أنت نور للإله العلي مدحكم يا خيره الورى مذهبي و رأس مالي ثم و المكسب فاسق إمام الحق في المشرب من الرحيق العذب و السلسل فهاكها يا خير من قد علا منظومة كالدر لما غلافما على غيرك تنجلي لأنك الأفضل من أفضل نعم بها عبد الإله الأقل مع والديه جملة و النجل و أعددت فيها لمديح البطل عنا بها صرف العنا ينجلي كن شافعا لأمي ثم أبي من حر نار في غد تلهب
الأنوار ص : 150و كن لجدي فهو عبد النبي بأننا جمعا نوالي علي و صل يا رب على المجتبى و السادة الأطهار أهل العباما ناحت الورقا و هب الصبا فامنحوني طعمة المقول

قال الراوي ثم أمسك مليا كأنه قد سلب عقله و لبه و هو متفكر في فعله فصبر بعد ذلك و الناس ينظرون إليه و إلى قوله فأفاق بعد ذلك ساعة ثم التفت إلى أبي طالب و قال له يا شيخ مد يدك على وجهي مرة ثانية فوضع أبو طالب يده على وجهه فلما أحس سطيح بيد أبي طالب تنفس صعدا و أن كمدا و قال يا أبا طالب خذ بيد أخيك و أشار إلى عبد الله و قال قد ظهر مجدكما فأبشروا بعلو سعدكما فالغصنان من شجرتكما محمد لأخيك و علي لك قال فبهت أبو طالب من كلامه و شاع في قريش مقاله

و امتلأ الأبطح بالناس و هم في أمره متفكرون و فيما قاله متحيرون فعند ذلك قال أبو جهل يا معشر قريش ما هذه الحادثة التي نزلت بنا من بني هاشم فليس الصبر من شيمتنا و لا الإمهال من عادتنا و قد سمعتم ما قاله سطيح عن رجل غير رجيح تربى في الكهانة أو بكهانته بكلام الأنوار ص : 151قبيح و يوعد بضيق الفسيح بظهور ولدين و يظهران من أبي طالب و أخيه يصير منهما قتل أبطالنا و نهب أموالنا و سبي نسواننا لولد يظهر من أبي طالب و أخيه عبد الله و لهما نار تحرق و صاعقة تطبق ثم قهقه في ضحكه فبينما هم كذلك إذ أقبل أبو طالب و وقف بين الناس و نادى بأعلى صوته يا معاشر قريش اصرفوا عن قلوبكم الطيش و لا تتكروا ما سمعتم فنحن أولى بالقدمة إلى الكعبة و دفع الأذى عن حرم الله و على أيدينا نبعت زمزم فو الله ما سطيح بكاذب و إنه في كلامه صائب و ما نطق بكلمة إلا و ظهر برهانها أ ليس هو القائل لكم بين الحرمين ليطلع إلى أرضكم رايات الحبش قال فما مضت إلا أياما قلائل حتى رأينا ما نزل بنا من أصحاب الفيل و قد عايناها فقالوا صدقت ثم قال أ و ليس القائل لكم سطيح بين الحرمين سيرد عليكم رجل يقال له سيف بن ذي يزن لا يترك منكم أحدا في اليمن فلم يكن إلا غفوة نائم حتى رأيتم ذلك و قد ورد بقومنا الهلاك و عن قليل سيظهر لكم ما ذكره لكم على رغم الحاسدين إخماد نار المعاندين قال فأمر أبو طالب أن يحملوا

سطيح الأنوار ص : 152إلى منزله فرفعه و أكرمه و أعلى مقامه و حياه و قربه و خلع عليه من الحلل و باتت مكة تموج بسكانها و ترتج بأهلها فلما برق الصباح و كان أول من طرق الأبطح أبو جهل ثم بعث عبده إلى سادات قريش فقدموا عليه فلما ارتفع النهار ضاق الأبطح بأهله فقام أبو جهل قائما على قدميه و نادى يا آل غالب يا ذوي العلا و المراتب أ ترضون لأنفسكم أن ترموا بالمناكب كما ذكره أبو طالب أن هذا من العجائب لنقل جلاميد الصفا إلى البحر الأقصى أهون مما ذكره سطيح و أنه سيظهر من بني عبد مناف عن قليل رجل يرمينا بالبوار و التنكيل و يوعدنا بالذل الطويل و تبا لكم إن كانت أنفسكم بما ذكره راضية و إلى ما أخبر به داعية فإن رضيتم بهذه النهاية فمن الآن مني عليكم السلام ما بدت الأيام فها أنا راحل عنكم و خارج من أرضكم فمجاورة الشرك أحب إلي من المقام بهذه الدار التي يحل فيها البوار و الذلة و الإصغار ثم تركهم و مضى إلى منزله و عزم على الرحيل فضجت المحافل و عظم ذلك على القبائل و بقي الأبطح يموج بأهله فمضوا إليه مسرعين و قالوا يا أبا الحكم ما هذا الأمر الذي حاولته

الأنوار ص : 153 و الحال الذي عزمت عليه فأنت السيد فينا و المقدم علينا فأمرنا بأمرك و انهنا بنهيك فإنا ننتهي إلى رأيك فقال إني أرى من الرأي أن تحضروا في مجلس أبي طالب و تخاطبوه في أمر هذا الكاهن لئلا يكون سبب العداوة بيننا و بينه فإما أن يسلمه إلينا أو يخرجه عن أرضنا فإن أبى

كان السيف أقضى و الموت أمضى قال فلما بلغ أبا طالب مقام أبي جهل جمع إخوته و أقاربه و قال لهم احتزموا بالسلاح و تقلدوا بالسيوف للكفاح فإني أرى دماء قد سالت و آجالا قد دنت ثم سار هو و إخوته حتى قدم الأبطح فعندها شخصت إليه الأحداق و خرس كل لسان فصيح و جلس كل قائم و استوى كل نائم هيبة من أبي طالب و فزعا من شأنه و خوفا من بأسه ثم تخطى القبائل و تجاوز المحافل حتى توسط الناس ثم رفع صوته و قال يا سكان الأبطح و الصفا و زمزم و منى و أبي قبيس و حرا فمن الثالب لبني عبد المطلب أهل المكرمات و المراتب حتى أحل به الويل و الحزن الطويل أما أنا فلا أعرف أمه و لا أباه لكن أنكره و أجحده و إني أحذركم من يوم عبوس الأنوار ص : 154تنقطع فيه الأيادي و الرءوس و يكون بأيدينا هلاك النفوس و إني قائل لكم و حق إله الحرم و بارئ النسم إني لأعلم عن قليل يظهر المنعوت في التوراة و الإنجيل و الموصوف بالكرم و التفضيل الذي ليس في عصرنا له مثيل و لقد تواترت به الأخبار أنه يبعث في هذه الأعصار رسول الملك الجبار المتوج بالأنوار المؤيد بالسكينة و الوقار ثم تركهم خمود كأنهم رقود و لم يجسر أحد منهم يرد عليه جوابا و لا أثنى في وجهه خطابا ثم صعد الكعبة و أتاه الناس و بقي أبو جهل وحده و قد تركه في العثار و الذلة و الاحتقار بما تكلم به أبو طالب من الغيرة غير أنه أظهر الجلد فلقد دنا أبو طالب من الكعبة قال اللهم رب هذه الكعبة العلية و السماء المبنية و الأرض المدحية و الجبال المرسية إن كان قد سبق في حكمك و غامض علمك أن تزيدنا شرفا إلى شرفنا و عزا مضاعفا إلى

عزنا بالنبي المشفع و النور المستودع الذي بشر به تبع فأظهر لنا اللهم بيانه و عجل لنا برهانه و اصرف عنا بغي الحاسدين يا أرحم الراحمين ثم جلس أبو طالب و الناس محدقون به من كل جانب و مكان و ما نطق أحد الأنوار ص : 155من قريش بكلام قال فوثب إليه منبه بن الحجاج و كان جسورا في الكلام عظيما في المرام فتطاولت إليه الأعناق ليعلموا ما يقول ثم نادى برفيع صوته يا أبا طالب قد ظهرت عزتك و أنارت طلعتك و ابتهج شكرك و ذكرك بالكرم السني و الشرف العلي و قد علمت رؤساء القبائل و أهل النهى في المحافل و معدن الفضائل أنكم أهل الشرف العظيم و الفضل الجسيم من حضر و باد و قاص و دان و أنت سيد مطاع طاهر فلا ينبغي لمثلك أن يسمع ما نطق الكاهن و أنت تعلم أنهم أوعية الشياطين يأتون بالكذب و البهتان فلعلك تصيره إلينا لنستدل على صدقه فإن النبوة لها دلائل و آثار لا تخفى على العاقل قال فأمر أبو طالب أن يحضروا سطيح بفناء الكعبة فلما وضعوه على الأرض نادى سطيح بأعلى صوته يا معاشر قريش لقد أكثرتم الأخلاف و زاد في قلوبكم الارتجاف و مددتم ألسنتكم إلى بني عبد مناف تكذبونهم فيما به صدقوا و كذبتموهم بما نطقوا و أرسلتم إلي تسألوني عن الحال الظاهر و أمر النبي الطاهر صاحب البرهان و قاصم الأوثان مذلل الكهان و ايم الله ما فرحنا بظهوره

الأنوار ص : 156 لأن الكهان عند مولده تزول و دلالات أثرها عند أمره فهي أفول فإن كان ذلك فلا خير في الحياة لسطيح و عندها يتمنى الوفاة فإن المولود الميمون مولده عن قريب يكون فأتوني بأمهاتكم و نسائكم و بناتكم لترون العجب العجيب الذي ليس فيه تكذيب حتى أعرفكم و أوقفكم عليه في ساعتي هذه على المقصود و أعرفكم أيتها الحاملة بهذا المولود الداعي إلى خير معبود فقالوا له إنك تعلم الغيب قال لا أعلم الغيب و لكن لي صاحب من الجن يأتيني بالأخبار و يسترق السمع من الملائكة الذين يعبدون العزيز الجبار قال ثم إن القوم تفرقوا إلى منازلهم و أتوه بنسائهم و بناتهم و لم يبق أحد من نسائهم إلا و قد حضرت عنده قال فأقبل أبو طالب على عبد الله و قال له أمسك زوجتك و لا تدعها تحضر و أمسك هو أيضا زوجته فاطمة بنت أسد قال و أقبلت النسوان من كل جانب و مكان قال فنظر إليهن حتى تكاملن عنده و عاد ينظر يمينا و شمالا ثم قال اعزلوا الرجال عن النساء ثم أمر النساء أن يتقدمن إليه فجعل سطيح ينظر إليه بعينه و لا يتكلم فقالوا يا سطيح خرس لسانك و خاب ظنك قال و الله الأنوار ص : 157ما خاب ظني و لا خرس لساني ثم رفع طرفه إلى السماء و قال و حق الحرمين لقد تركتم من نسائكم اثنتين إحداهن الحامل بهذا المولود و الداعي إلى خير معبود محمد ص و الثانية ستحمل بعد حين من الزمان و تلد غلاما أمينا قويا يدعى بأمير المؤمنين و سيد الوصيين و وارث علم النبيين قال فلما سمعت قريش منه ذلك دهشوا و حاروا فانطلق أبو طالب إلى منزله و أتى بآمنة زوجة أخيه عبد الله و زوجته فاطمة بنت أسد فلما وصلوا من النساء صاح سطيح بأعلى صوته صيحة عظيمة و جعل يبكي و تارة يرفع صوته و يقول يا ذوي الشرف و المفاخر هذه و الله الحاملة بالنبي المختار و رسول الملك الجبار قال فلما دنت آمنة من سطيح قال لها أنت آمنة بنت وهب قالت نعم قال أ لست حامل قالت نعم فالتفت عند ذلك إلى قريش و قال

الآن شهد قلبي و ثبت لبي و صدقني صاحبي فإن هذه و الله سيدة نساء العرب و العجم و هي الحاملة بأفضل الأمم و يدمر كل وثن و صنم يا ويح للعرب من شر قد دنا ظهور محمد الأمين و رسول رب العالمين و كأني أرى من يخالفه قتيلا و على الأرض جديلا

الأنوار ص : 158 فإني أرى عزكم يحول و شرفكم يزول فطوبى لمن صدقه و صدق برسالته و نبوته فطوبى ثم طوبى لمن يتبعه على الحق فقد أخذ بالأمر الوثيق و نجا من كل ضيق ثم التفت إلى فاطمة بنت أسد و صاح صيحة عظيمة و شهق شهقة عالية و خر مغشيا عليه فلما أفاق من غشوته انتحب و بكى و نادى بأعلى صوته هذه و الله فاطمة بنت أسد أم الإمام الذي يكسر الأصنام و يبيد الأوثان و هو الإمام المبين الذي لا في عقله طيش يخرب أطلالكم و يبتم أطفالكم سيفه في رقابكم مغمود و شره عنكم غير مردود و قاتل الشجعان و مبيد الأقران و الأوثان الفارس الكمي و الضيغم الجري المسمى بعلي ابن عم النبي ثم قال آه ثم آه كم ترى عيني من شجاع مكبوب و فارس منهوب قد تركه صريعا

يخور في دمه قال فلما سمعوا كلام سطيح وثبوا إليه ليقتلوه فمنعوهم بنو هاشم و اجتمع قريش مع أبي جهل و نادى أبو جهل افسحوا لنا عن هذا الكاهن فلا بد من قتله حتى نسقي من دمه سيوفنا و نشفي به صدورنا و إن حلتم دونه لنحل بكم الدمار و نوردكم البوار قال فالتفت إليه أبو طالب و قال له ويحك يا أخس

الأنوار ص : 159 العرب و أنذلها إني أراك تحت الفرقة بين العشيرة و مثلك من يتكلم بمثل هذا الكلام و أنت أخس اللئام ثم عاجله بضربة فحالوا بينه و بينه فلحقه بعض السيف فشجه شجة عظيمة و صار الدم يسيل على وجهه فنادى أبو جهل بقريش يا أهل المحافل و رؤساء العشائر و القبائل أ ترضون أن تحملوا العار و ترموا بالشنار اقتلوا سطيح و آمنة و فاطمة و بني هاشم جميعا و أخمدوا أنوارهم و أطفئوا أشرارهم قال فحملت قريش بأجمعهم على سطيح و لم يكن لبني هاشم طاقة بهم فالتجأت النساء إلى الرجال و الرجال بالنساء و سطيح بالكعبة فالتقوهم بني هاشم و ثار الغبار و طار الشرار و كثرت الزعقات و علت الأصوات و ارتجت الأرض بطولها و عرضها. و روي عن آمنة أم النبي ص قالت حين رأيت السيوف قد دارت حولي بقيت متحيرة متفكرة في أمري ذاهلة مما أحاط بي من البلاء و القوم يريدون قتلي فبينما كذلك إذ اضطرب الجنين الذي في بطني و سمعت صوتا كالأنين و إذا بالقوم قد صيح بهم صيحة عظيمة من السماء و صرخ بهم صارخ من الهواء و قد الأنوار ص : 160ذهلت العقول و سقطت الرجال و النساء صرعى كأنهم موتى قالت آمنة فرفعت بصري نحو السماء فرأيت أبواب السماء قد فتحت و إذا بفارس قد نزل من السماء و في يده حربة من نار و هو يقول لا سبيل لكم اليوم على رسول الملك الجليل أنا أخوه جبرئيل اخمدوا جميعا عن خاتم النبيين قالت آمنة فعند ذلك سكن قلبي و رجع إلي لبي و تحققت دلائل النبوة و الكرامات لولدي محمد ثم انصرفنا إلى منازلنا و أقبل أبو طالب و هو آخذ بيد أخيه عبد الله و جلسا بفناء الكعبة يهنئ بعضهما ببعض مما رزقهم الله تعالى من الفضل و الشرف بفضله و كرمه و القوم صرعى لا يعلمون فلبثوا ثلاث ساعات من النهار ثم قاموا كأنهم سكارى قال فتقدم منبه بن الحجاج فوقف إلى جانب أبي طالب و قال إنك لم تزل عاليا في المراتب و لمن عاداك غالب و نريد أن تصرف عنا سطيح فما جرى على هذه الأمة

إلا من كهانته فإن كان كل ما تكلم به سطيح صحيحا فنحن أول من يعاضده و نكون له عونا على من يعانده ثم أنشأ يقول الأنوار ص : 161

أبا طالب إنا إليك عصابة لنرجوك فارحم من أتى لك راجياو نحن فجيران لكم و معاضد على كل من أضحى و أمسى معادياأبا طالب جللت بالرشد و الهنا و وقيت صرف الدهر لا زلت باقيافإن كان رب العرش أرسل منكم رسولا إلينا و هو للحق داعيافنحن لنرجو أحمد في زماننا نجاهد عنه بالسيوف

المواضيأبا طالب اصرف سطيحا فإنه أتى منه آت بالأذى و الدواهيافدع عنك حرب الأهل و الطف تكرما و لا تتركن الدم في الأرض جاريا

قال فعند ذلك رق أبو طالب رحمة لقريش و تعطفا و كرامة عليهم و قال حبا و كرامة سأصرفه عنكم إذا كرهتموه و أمتثل ما أمرتموه و ستعلمون صحة ما ذكر و يتحقق لكم الخبر و ترونه عيانا ثم أمر أن يحمل سطيح إلى بين يديه فلما أحضروه قال له أبو طالب أ تدري لأي شي ء أحضرناك قال نعم تسألوني الخروج من مكانكم و الارتجاع عن بلدكم و أنا على ما ذكرتموه عازم فإذا ظهر فيكم البشير النذير فأقرءوه مني السلام الكثير و قولوا له إن سطيحا الأنوار ص : 162أخبرنا بخبرك فكذبناه و من جوارنا طردناه و سيأتيكم بشير عنده من العلم أكثر مما عندي و لا شك أنه قد دخل بلادكم و حل بساحتكم ثم إن سطيحا عزم على الخروج فرفعوه على بعير و أحاط به بنو هاشم يودعونه فبينما هو كذلك إذ أشرفت ناقة ترقل براكبها و الغبار يطير من حوافرها و أخفافها فتطاولت إليها الأعناق و شخصت إليها الأحداق و كان أول من أتى إليها أبو قحافة عمر بن عامر قال فنظر إليها فعرفها و نادى يا أهل الأبطح و سادات الحرم أتتكم الداهية الدهماء و المصيبة العظمى الزرقاء كاهنة اليمامة فما استتم كلامه حتى صارت بأوساطهم و نادت بأعلى صوتها يا معاشر قريش حييتم بالعشي و الإبكار و عمرت بكم الديار فإني قد فارقت أهلي و خرجت من وطني و قصدتكم لأحوال قد أتت و أشياء قد دنت و أخبركم عن قريب يخرج من دياركم من العجب العجيب فإن أذنتم لي بالنزول نزلت و إن أحببتم الرجوع رجعت ثم إنها جعلت تنشد و تقول أفلح من يصلي على الرسول
إني لأعلم ما يأتي من العجب بأرضكم هذه يا معشر العرب

الأنوار ص : 163لقد دنا وقت مولود لأمته محمد المصطفى المنعوت في الكتب فعن قليل سيأتي وقت مولده يرمي معانده في الذل و الحرب يدعو إلى دين غير اللات مجتهدا و لا يقول بأصنام و لا نصب و قد أتيت لأخبركم ببينة لما رأيت من الأنوار و الشهب عما قليل ترى الأنوار زاهرة ببطن مكة ترمي الجمع بالشهب فإن أردتم و إلا رحت راجعة و تندمون إذا ما جاء بالعطب و آخر بذباب السيف يعضده قرنا يدانيه بالإحسان و النسب
قال فلما سمع قريش كلامها و شعرها أمروها بالنزول و الجلوس عندهم ليعلموا ما عندها و تحقيق علمها و هل تنطق بما نطق به سطيح أم لا قالوا لها أيتها الزرقاء انزلي عندنا بالرحب و الكرامة و السعة قال فنزلت عن البعير و جلست في أوساطهم فقال لها عتبة بن ربيعة ما الذي راع سيدة اليمامة هل لك حاجة فتقضى أم ملمة فتمضى فقالت ما أنا ذات فقر و لا قليلة المال جئتكم ببشارة أبشركم و خذوا حذركم ليست البشارة لي بل هي علي و عليكم و فيها هلاكي و هلاككم و هلاك من كان مثلي

فقال عتبة يا زرقاء ما هذا الكلام أراك توعدين الأنوار ص : 164نفسك و إيانا الدمار قالت يا أبا الوليد و ساطح البلاد و من هو عالم بالمرصاد ليخرجن من هذا الوادي نبي يدعو إلى الرشاد و ينهى عن الفساد و يقتل الأعادي سفاك الدماء نوره يتجدد و اسمه محمد و كأني به عن قليل يولد و يساعده على ذلك مساعده و يقارنه في الحسب و يدانيه في النسب يبيد الأقران و يدمر الشجعان أسد ضرغام و سيف قصام جسورا في الغمرات هزبر في الغارات له ساعد قوي و قلب جري و اسمه علي ثم قالت آه ثم آه في يوم ألقاه و أعظم مصيبتاه فيكون لي قصة عجيبة و مصيبة عظيمة فلو أردت النجاة لسارعت إلى الإجابة و تركت ما أنا عليه من المكيدة و لكن أرى خوض البحار و نقل الأحجار و التلوح على النار و قطع الأشجار أهون علي من الذل و الصغار فلا أنا مشتريه بعزي ذلا و لا بعملي جهلا ثم إنها بعد ذلك جعلت تنشد و تقول

ذوي القبائل و السادات ويحكم إني أقول مقالا كالجلاميدلو كنت من هاشم أو عبد مطلب أو عبد شمس ذوي الفخر الصناديدأو من لؤي سراة الناس كلهم أهل السماحة و التفضيل و الجود
الأنوار ص : 165أو من بني نوفل أو من بني أسد أو من بني زهرة العز الأماجيدلكنت أول من يحظى بصاحبكم إذا جرى ماؤه في يابس العودلكنما أجلي قد حان موعده لما دنا مولد يا خير مولود
ثم قالت هيهات هيهات لا جزع مما هو آت و هو دهر يحول و ميت مقتول و خالق الشمس و القمر و من تصير إليه البشر لقد صدقكم سطيح الخبر فيما أخبر قال فلما سمعوا ما قالت الزرقاء حاروا من قولها ثم إنها نظرت بطرفها يمينا و شمالا فنظرت إلى أبي طالب و أخيه عبد الله و كانت عارفة عبد الله من قبل لأنه سافر مع أبيه إلى اليمامة في تجارة قبل أن يتزوج بآمنة و كان نور النبي ص في وجهه كأنه الكوكب الدري و كانت الزرقاء قد نظرت إليه و قد نزل في قصر قريب من قصرها كان أبوه قد خرج لحاجة له و تركه عند متاعه و سيفه عند رأسه فنزلت إليه الزرقاء مسرعة في يدها كيس من الورق ثم وقعت عليه و قالت يا فتى حييت بالسلامة و جللت بالنعمة و الكرامة فمن أي العرب أنت فما رأيت أجمل منك وجها فقال أنا عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الأنوار ص : 166سيد الأشراف و مطعمين الأضياف و سادات الحرم و من لهم السابقة في القدم قالت صدقت لأنك أنبل و أفضل و أكمل مما ذكرت فهل في فرحتين عاجلتين قال و ما هي قالت هب لي نفسك و جامعني هذه الساعة و خذ هذه الدنانير و أبذل لك من الإبل مائة ناقة محملة تمرا و وبرا و سمنا فلما سمع كلامها عبد الله قال لها إليك عني فما أشر غرتك و ما أقبح طلعتك و ما هذا الكلام و الخطاب يا ويلك أ ما علمت أننا قوم لا نرتكب المعاصي و لا نحب الآثام اذهبي بالذلة و الإرغام فإني أظنك من نسل اللئام فقالت يا هذا إني أزيدك من المال و أجزل لك من النوال قال فلما رآها لا تنتهي عما هي عليه

قبض على قائم سيفه و جذبه و هم أن يضربها فهربت و أيست منه و رجعت خائبة فأقبل أبوه فوجده جالسا و سيفه مسلول و الغيظ في وجهه و هو يقول

أ نرتكب الحرام بغير حل و نحن ذوي المفاخر في الأنام أ نركن الحرام و نحن قوم جوارحنا تصان عن الحرام معاذ الله إنا من أناس أماجيد جحاجحة كرام

الأنوار ص : 167فقال له أبوه يا فتى ما الذي جرى لك من بعدي فأخبره بخبره و وصف له صفاتها فعرفها و قال يا بني هذه الزرقاء كاهنة اليمامة فقد نظرت إلى النور الذي في وجهك و غرتك المضية و طلعتك البهية فعلمت أنه الشرف الوكيد و العز الذي لا يبيد فأرادت أن تسلبه منك و الحمد لله الذي عصمك منها ثم رحل به و رجع إلى مكة فزوجه بآمنة بنت وهب فلما رأته الزرقاء عرفته و علمت أنه قد تزوج فقالت له أ لست أنت صاحبي في اليمامة في يوم كذا و كذا فقال لها نعم لا أهلا و لا سهلا بك يا ابنة الخنا فقالت له ما فعل بالنور الذي في وجهك فقال لها إن أبي زوجني بآمنة بنت وهب و انتقل النور إليها و إنها لذلك أهلا و محلا قالت صدقت و لا شك فيما ذكرت ثم نادت برفيع صوتها يا أهل العز و المراتب و المفاخر إن الوقت لمتقارب و إن الأمر لواقع ما له من دافع فتفرقوا فلقد دنا المساء و ائتوني غدا لتسمعوا مني الأخبار و تقفوا على حقيقة الآثار قال فتفرقوا عنها إلى أماكنهم و منازلهم و قد تعلقت قلوبهم بذلك قال فلما مضى من الليل شطره مضت إلى سطيح و قد سافر و خرج الأنوار ص : 168من مكة فقالت يا سطيح ما الذي ترى من الرأي فقال أرى العجب العجيب و الوقت قريب و قد أخبرها بما جرى له مع قريش و الذي حل به فقالت يا سطيح ما الذي تصنع فقال إنا لا نجد مدفعا أما أنا فقد تريني حقيقا قد كبر سني و خمد ذكري فلو لا خيفة العار لعجلت على نفسي الفناء و البوار و أمرت من يجرعني كاسات الردى و لكني أريد السفر إلى غرة الشام فأقيم بها حتى يأتي الحمام فإنه لا طاقة لي به فإن المولود مؤيد منصور و

من عاداه مقهور قالت يا سطيح أين أصحابك و أعوانك لم لا يساعدونك على هذا الأمر و يعينونك على آمنة قبل أن ينزل من الأحشاء فقال لها يا ويلك يا زرقاء و هل يقدر أحد أن يتعرض لآمنة بسوء فإن من يتعرض لها يعاجله التدمير من اللطيف الخبير فأما أنا و أصحابي فلا نتعرض لها لأنا لا نقدر عليها و لا نجد فيها حيلة و الآن قد أعلمتك فاقبلي نصيحتي فإنك لن تصلي إلى آمنة بسوء و حافظها رب السماء فإن لم تقبلي ذلك فدعيني و ما أنا عليه من البلاء و ضعف القوى و لعلي أموت الليلة أو غدا فدعيني من كلامك يا زرقاء قال فلما سمعت الأنوار ص : 169مقالته أعرضت عنه بوجهها و باتت ليلتها قلقة سهرانة فلما أصبحت أقبلت إلى بني هاشم و أنعمتهم صباحا و مساء و قالت أنعم الله لكم الصباح و أشرقت بكم البطاح و أنارت بكم المحافل و علوتم على القبائل و يزداد شرفكم علوا إذا ظهر فيكم المنعوت في التوراة و الإنجيل فيا ويل من يعاديه و طوبى لمن تبعه قال فلم يبق أحد من

بني هاشم إلا و حضرها و خرجوا إليها و فرحوا بما به ذكرت و أوعدوها بخير فقالت ما أنا ذات فقر و لا إملاق و إني كثيرة المال جاهي عزيز و مالي جزيل و ما أزعجني عن الأوطان و أتى بي هذا المكان إلا أبشركم بالبشارة فقال أبو طالب الآن قد وجب حقك علينا فهل لك من حاجة فتقضى أو ملمة فتمضى فقالت أريد أن تجمعوا بيني و بين آمنة حتى أتحقق ما أتيت لكم من البشارة فقال لها أبو طالب حبا و كرامة ثم سار بها إلى منزله و أتى بها إلى منزل آمنة فطرقوا عليها الباب فقامت آمنة و فتحت لهم الباب فلاح من وجهها نور ساطع فتقطعت الزرقاء حسدا و أظهرت التجلد فلما دخلت المنزل و استقر بها الجلوس أتوا إليها بطعام فأبت أن تأكل

الأنوار ص : 170 و قالت إني لم آكل من زادكم و لم أخرج من دياركم حتى أنظر ما يكون من فتاتكم و سترون ما يكون عنده من العجائب من سقوط الأصنام و خمود الأزلام و ما الذي ينزل بعبادها من السماء من الدمار و ما يحل بهم من البوار ثم إنها خرجت عنها و هي متفكرة حيرانة كئيبة لهفانة و أقامت أياما و هي تدبر الحيلة في هلاك آمنة فلم تقدر و لم تستطع إلى ذلك سبيلا و جعلت تتردد إلى سطيح و تطلب منه المساعدة و المعاونة على ما عزمت عليه و هو لا يلتفت إليها فأقبلت تتردد حتى نزلت على امرأة من الخزرج يقال لها تكنا و كانت ماشطة لآمنة فلما كان ذات ليلة استيقظت تكنا فرأت عند الزرقاء شخصا و هو يخاطبها بهذه الأبيات يقول
كاهنة جاءت من اليمامه أزعجها ذو همة همامه لما رأت نورا على تهامه و هو لإظهار النبي علامه محمد الموصوف بالكرامه ستدرك الزرقاء به الندامه لهفي على سيدة اليمامه إذا أتاها صاحب الغمامه
قال فلما سمعت الزرقاء منه ذلك الكلام وثبت قائمة إليه و قالت
الأنوار ص : 171 لقد كنت لي محبا و أنت صاحب الوفاء فما الذي حبسك عني هذه المدة الطويلة و أنا في هموم متواترات و زفرات متتابعات و سكرات فقال لها ذلك الشخص و هو صاحبها من الجن ويحك يا زرقاء لقد نزل بنا أمر عظيم أعظم مما نزل بك و لقد كنا نصعد إلى السماوات السبع و نسترق السمع إلى أن بعث الله المسيح عيسى ابن مريم فطردنا من أربع سماوات فلما كان في هذه الأيام طردنا من السماوات كلها و سمعنا مناديا ينادي في السماوات العليا أن الله تعالى يريد أن يخرج عبده و حبيبه محمدا و منعت الشياطين المردة من الصعود فانقضت علينا الملائكة و بأيديهم شهاب من نار فسقطنا كأننا جذوع النخل و قد جئت لأحذركم فاحذروا قال فلما سمعت مقالته قالت له انصرف عني فلا بد أن أجهد بمجهودي في هلاك هذا المولود قال فانصرف عنها و هو ينشد و يقول

إني نصحتك بالنصيحة جاهدا فخذي لنفسك و اقبلي من ناصح لا تطلبي أمرا عليك وباله فلقد أتيتك باليقين الواضح هيهات أن تصلي إلى ما تطلبي من دون ذلك كل خطب فادح

الأنوار ص : 172فالله يحفظ عبده و رسوله من كل ساحرة و أمر فادح عودي إلى أرض اليمامة و احذري من شر يوم سوف يأتي كادح

قال ثم إن الجني طار عنها و تركها في همها و غمها هذا و تكنا تسمع كلامه و كأنها لم تسمع ما جرى عليها قال فلما أصبحت جلست بين يدي الزرقاء و قالت لها ما لي أراك غرقانة بالهموم و أثر الهم في وجهك لا يخفى و إني أراك غير صحيحة و لا تخفين علي ذلك و إن لك خبرا قد أخفيته فقالت لها يا أختاه إن الذي رأيتيه من أجل مولود يدعو إلى خير معبود يكسر الأصنام يدمر الأوثان و يذل الكهان و يخرب الديار و لا يترك أحدا من ذوي الأبصار و أنت تعلمين أن التلوح على النار أيسر من الذلة و الصغار فلو وجدت من يساعدني على قتل آمنة لبذلت المنى و أعطيته الغنائم ثم إنها عمدت إلى كيس من الذهب كان معها فصبته بين يديها فلما رأت تكنا المال لعب الشيطان بعقلها و قالت يا زرقاء لقد ذكرت أمرا عظيما و خطبا جسيما و الوصول إليه بعيد و إني ماشطة نساء بني عبد المطلب لا يدخل عليهن غيري و إن الذي بذلتيه إلي من الأنوار ص : 173المال فوق الكفاية و لكني متفكرة في العواقب و لا آمن من المصائب فكيف أجسر على ما وصفت و الوصول إلى ما ذكرت فقالت لها الزرقاء إنك إذا دخلت على آمنة و جلست بين يديها لتزينيها فاقبضي على ذوائبها و اضربيها بهذا الخنجر فإنه مسموم فإذا اختلط السم بالدم هلكت من وقتها و ساعتها فإذا وقعتي في تهمة و وجبت عليك الدية فإني أدفعها عنك و لو كانت عشر ديات و أزيدك على ما بذلت لك غير الذي أدفعه إليك في وقتي هذا فما أنت قائلة فقالت إني سأجيبك إلى ما سألت و أطيعك فيما ذكرت غير أني أريد منك أن تدبري لي الحيلة و تشغلي عني بني هاشم حتى لا يقع الصوت في آذانهم فيكون فيه

هلاكي فقالت الزرقاء إني سآمر عبيدي أن يذبحوا الذبائح و يسكبون الخمور في الجفان و أدعهم يأكلون و يشربون فإذا أكلوا و شربوا ظفرت بحاجتك فقالت الآن تمت الحيلة فافعلي ما ذكرت قال فصنعت الزرقاء طعاما كثيرا و ملأت الجفان و أمرت عبيدها أن يحضروا بني هاشم و أهل مكة جميعا فلم يبق أحد إلا و حضر وليمتها قال فلما أكلوا و شربوا و خالطهم الأنوار ص : 174الشراب و غابوا عن الأبصار أقبلت مسرعة إلى تكنا و قالت الآن تمت الحيلة ثم إنها ناولتها الخنجر و قد أسقته السم قال فأخذته من يد الزرقاء و دخلت على آمنة فلما رأتها رحبت بها و سألتها عن حالها و قالت إني لم أتعود منك هذا الجفاء فما الذي حبسك عني فقالت قد شغلني همي و غمي فلولا أياديكم الباسطة علينا لكنا بأسوأ حال و لم أجد أتقرب به إلى بعلك إلا بزينتك قال فأقبلت آمنة و جلست بين يديها فلما فرغت من تسريح شعرها عمدت إلى الخنجر و أرادت أن تضربها قال فحست تكنا كأن قابضا قبض على يديها و فؤادها و غشي عليها و سقط الخنجر من يدها إلى الأرض فصاحت آمنة و تبادرت إليها النسوان و قلن ما دهاك فأخبرتهم بقصة تكنا ثم قالت الحمد لله الذي صرف عني كيدها ثم قلن لتكنا ما الذي حملك

على هذا الأمر فتلجلج لسانها و قالت لا تلوموني حملني الطمع و الغرور فأخبرتهن بالقصة و قالت لهن يا ويلكن دونكن الزرقاء فاقتلنها قبل أن تقع بكن الندامة ثم سقطت على وجهها ميتة قال و خرجن النساء يصرخن فلما سمع بنو هاشم بالصراخ أقبلوا مسرعين إلى

الأنوار ص : 175 منزل آمنة فإذا هم بتكنا ميتة و قد تجلى من آمنة نور شعشعاني و قد دفع عنها كل محذور قال فصاح أبو طالب يا ويلكم دونكم الزرقاء فلما أتاها الخبر خرجت هاربة على وجهها فتبعوها فلم يقفوا لها على خبر و لم يجدوا لها أثرا فلما سمع أبو جهل بالحديث قال وددت أن الزرقاء قتلت آمنة ثم إن سطيح أمر غلمانه أن يحملوه فحملوه على راحلته إلى الشام و بقي فيها إلى أن ولد رسول الله ص فلما ولد لم يبق صنم و لا وثن إلا و أصبح مكبوبا و غارت بحيرة ساوة و فاض وادي سماوة و خمدت نيران فارس و ارتج إيوان كسرى و كان جالسا فيه و انشق و وقعت منه أربع و عشرون شرفة قال فلما نظر كسرى إلى ذلك أهاله و أقلقه و دعا بوزرائه و أعلمهم و قال ما هذه المصيبة و الأمر الذي جرى في هذه الليلة فهل عندكم علم فقام إليه المؤبذان و قال أيها الملك قد رأينا إبلا صعابا تقودها خيل عراب قد خاضت الوادي و انتشرت في البادي و ما هذا إلا أمرا عظيما قال فبينما هم كذلك إذ ورد إليهم كتاب بإخماد نيران فارس فازداد هما و غما ثم أتاهم خبر بحيرة ساوة و وادي سماوة فقال المؤبذان أيها الأنوار ص : 176الملك إنا لم نخبر و لكن لو كان أحد من العلماء سألناه قال فكتب إلى النعمان بن المنذر كتابا و أعلمه بالخبر فبعث إليه رجلا يقال له عبد المسيح و كان ابن أخت سطيح فقال له كسرى هل معك علم فقال إن لي خالا يسمى بسطيح و لكنه الآن ساكن بالشام و إنه يعلم بذلك فقال له كسرى سر إليه و ائتني بالجواب فإني أجزل لك العطية قال فخرج من ساعته و جعل يجد السير ليلا و نهارا إلى أن وصل الشام فوجد سطيح يعالج سكرات الموت فسلم عليه فلم يرد عليه جوابا فلما كان بعد ساعة فتح عينيه و قال قد أقبل عبد المسيح على جمل يسيح من عند كسرى يصيح رسول إلى سطيح سيد بني غسان يسأل عن انفجاج الإيوان و خمود النيران و رؤيا المؤبذان أن إبلا صعابا تقودها خيل عراب قد قطعت الوادي و انتشرت في

البادي فإن ذلك ما كنا نتوقع إلا من خروج السفاك الهتاك الذي تقاتل معه الأملاك و حق فالك الأفلاك يا عبد المسيح إني أقول لك قولا صحيحا إذا فاض وادي سماوة و غارت بحيرة ساوة فليس الشام لسطيح بمقام و إنه يتمنى الحمام و سوف يملك منه ملك الأنوار ص : 177على عدد الشرفات المتساقطات و كل ما هو آت آت و يكون الراحة لسطيح في الممات ثم إنه صرخ صرخة فمات لا رحمه الله قال ثم إن عبد المسيح استوى على راحلته و أتى إلى كسرى و أخبره بذلك فأعطاه و أنعم عليه فلما أشرفت آمنة بحملها و تتابعت شهورها فما مر شهر إلا و سمعت مناديا ينادي من السماء يقول مضى لحبيب الله كذا

و كذا و كان تهتف بها الهواتف في الليل و النهار و تخبر بذلك زوجها عبد الله فيوصيها بكتمان أمرها و يقول لها اكتمي أمرك إلى أن مضى لها ستة أشهر و هي لا تجد ثقلا و كانت كل يوم تزداد حسنا و جمالا و بهجة و كمالا قال فلما دخلت في الشهر السابع دعا عبد المطلب بولده عبد الله و قال له يا بني إنه صار لزوجتك كذا و كذا و قد دنا لها ما بعد و إنه لا بد لنا من وليمة نعملها و يحضرونها أهل مكة جميعا فامض يا بني إلى يثرب و اشتر لنا تمرا فخرج عبد الله من ساعته و جد بالمسير إلى أن وصل يثرب فطرقته العلة و أدركه الموت فمات بها فوصل خبره إلى أبيه و إخوته فأقاموا عزاءه و عظم ذلك عليهم و بكى أهل مكة جميعا و قال الشاعر في هذا الأنوار ص : 178المعنى أفلح من يصلي على الرسول و آله

بشهر ربيع نلنا المنى و نلنا السرور و دام الهنابه مولد المصطفى أحمد كريم الأيادي عظيم الهناتكملت أفراحنا إذ بدا فأكرم به من حبيب دنأبان بفضل الهدى نوره فنلنا بنور الهدى رشدناو لما أتى يوم ميلاده جعلناه لما أتى عندنابمولده شرف الكائنات و جاء السرور و زل العنافهذا الشفيع الرفيع الذي به يغفر الله عمن جنى فصلوا عليه عسى تبلغوا جنان النعيم و نيل المنى

و قال غيره شعرا

أهلا بشهر الوفا و مولد المصطفى فيه الهنا و الوفا سابع عشر ما خفي أهلا بذاك الجمال أزال عنا الضلال و لاح فجر الوصال و غاب ليل الجفاءإيوان كسرى نبا لما أتى بالنبا

الأنوار ص : 179و نار فارس خبا لهيبها و انطفى لما تبدى الرسول سبى جميع العقول ما ذا عسى أن أقول في مدح ذا المصطفى خير الأنام البشير الهاشمي النذيرالآمن المستجير به المهيمن عفاصلوا على ذا الحبيب من حبه لا يخيب له الجناب الرحيب القرب في الاصطفا

قال فلما دخلت آمنة في الشهر التاسع و بلغت العدة التي أرادها الله تعالى و ليس فيها أثر و لا وجع و كانت منفردة بدارها إذ سمعت ضجة و وجبة عظيمة ففزعت منها و إذا قد نزل عليها طير أبيض و مسح بجناحه على بطنها فزال عنها ما كانت تجده من الخوف فبينما هي كذلك إذ دخل عليها نساء طوال يفوح منهن روائح المسك الأذفر و الند و العنبر و قد تقمصن بأطمار من العبقري الأحمر و بأيديهن أكواب من البلور الأبيض و قلن لها اشربي من هذا ليزول عنك ما تجدين فشربت منه آمنة ثم قالت لما شربته

الأنوار ص : 180 أضاء من وجهي نورا ساطعا فجعلت أقول من أين دخلن علي هؤلاء النسوة و كنت قد أغلقت الباب على نفسي و جعلت أنظر إليهن فلم أعرفهن ثم قلن لي يا آمنة أبشري بسيد الأولين و الآخرين محمد

صلى الإله و كل عبد صالح الطيبون على السراج الواضح زين الأنام المجتبى علم الهدى الصادق البر

التقي الناصح المصطفى خير الأنام محمد الطاهر العلم النبي الراجح صلى عليه الله ما هب الصبا و تجاوبت ورق الحمام النائح

قالت آمنة ثم قلن هذا محمد مصباح الأرضين ثم خرجن عني و إذا أنا بثوب من الديباج قد نشر ما بين السماء و الأرض و قائل يقول خذوه و غيبوه عن أعين الناظرين فإنه رسول رب العالمين قالت آمنة فأخذني الفزع و الجزع و أنا أنظر إلى خفقان أجنحة الملائكة و تسبيحها و تقديسها و أطيار مختلفة الألوان حمر المناقير قالت آمنة فبينما أنا متعجبة من ذلك و مما رأيت منهم إذ وضعت بولدي محمد ص ساجدا على الأرض تلقاء الكعبة رافعا يديه إلى السماء كالمتضرع إلى ربه و سمعت من داخل البيت قائلا يقول الأنوار ص : 181

كم آية ظهرت لنا في حكمه ما ليس يخفى في الأنام ظهوراو رأته آمنة يسبح ساجدا وقت الولادة للسماء مشيراصل عليه الله ربي دائما ما دامت الدنيا و دام سرورا

و قيل في مدح الرسول تهنية لذوي العقول

ولد الحبيب في ربيع الأول و الكون يرقص و الكواكب تنجلي ذا مولود مبعوث لنا من عهد آدم في زمان الأول و حكوا عروس جماله في حله ما كان فيها قبله أحد جلي و تقول آمنة رأيت جماله كالبدر في تم يحل و ينجلي و رأيت أملاك السماء تزفه و الطير يرقص و الهنا في منزلي ناديت من هذا فقيل من العلا لا تسألي عن فخره لا تسألي لا تحجبيه عن ملائكة السما بحياته بحياته لا تفعلي هذا المشرف و المفضل و الذي فاق الأنام و صاحب القدر الجلي هذا الذي وطئ البساط بنعله هذا الذي من حبه قلبه جلي يا نوق إن جئت الخيام عشية حول الخيام فقد نصحتك فانزلي تلك البشارة في ذاك الحمى بدرا يفوق على الأنام إذا جلي

الأنوار ص : 182و لقد أجاد الشاعر في مدح محمد المصطفى حيث يقول

ولد الحبيب و خده متورد و النور في وجناته يتوقدولد الذي لولاه ما كان البقا كلا و لا ذكر الحمى و المعهدجبريل نادى في بديعة حسنه هذا مليح الوجه هذا أحمدهذا كحيل الطرف هذا المصطفى هذا جميل الوجه هذا السيدهذا جليل القدر هذا المرتضى هذا حبيب الله ذاك محمدهذا الذي خلعت عليه ملابس و نفائس و نظيرها لا يوجدقالت ملائكة السماء بأسرها ولد الحبيب و مثله لا يولدولد الذي لولاه ما كان التقى كلا و لا كان الحقيقة يقصدإن كان يوسف قد أفاق جماله و أقسمت ذا المولود منه أرشدأو كان قد أعطى الكليم عبادة فمحمد منه أجل و أعبديا عاشقين تولعوا في عشقه هذا جميل الحسن هذا المفرديا مولد المختار كم لك من هنا و مدائح تعلو و ذكرك يوجديا ليت كل الدهر عندي ذكره يا ليت طول العمر عندي مولدبشرى لآمنة برؤيا حسنه هذا هو الجاه العظيم الأزيد

الأنوار ص : 183وضعته مختونا و مكحولا كما قد جاء يذكر في الحديث و يسندأعطي الخطاب من الإله تشرفا يا واحد الأكفاء أنت محمدلولاك ما ذكر العقيق و لا الحمى و حياة وجهك يا بني الأوحدأ ترى بنجد أسمع الحادي بنا يحدو بذكرك بالحديث و ينشدو يقول يا عشاق هذا المصطفى و يشير للمختار هذا السيديا نازلين المنحنى في شرعكم إن المتيم بالفراق يهدد

قالت آمنة فبينما أنا كذلك إذ سمعت من داخل البيت أصواتا مختلفة و إذا بسحابة بيضاء قد نزلت علي و على ولدي فغيبته عني و لم أره و سمعت قائلا يقول طوفوا بمحمد ص مشارق الأرض و مغاربها و برها و بحرها و سهلها و جبلها و أعرضوه على الجن و الإنس ليعرفوه و يعرفوا نعته و أمره و قيل فيه صلى الإله على النبي المصطفى خير الأنام أتى به التنزيل و بفضله نطق الكتاب و نبأت بصفاته التوراة و الإنجيل أسرى به المولى إلى أفق السما فوق البراق و عنده جبريل

قال و لما ولد رسول الله ص أعلنت الملائكة بالتسبيح الأنوار ص : 184و التقديس و اهتز العرش طربا و خرجت الحور من قصورها و قيل لرضوان زين الجنة جنة الفردوس قالت آمنة و كان بين غيبته و رجوعه أسرع من طرفة عين و إذا به قد أدرج في ثوب أبيض من صوف و هو مكحل مختون مدهون و هو قابض على ثلاثة مفاتيح و رجل قائم عند رأسه و إذا بقائل يقول قد قبض محمد على مفاتيح النصر و النبوة و الكعبة و الدنيا و ما فيها فبينما أنا كذلك و إذا أنا بسحابة أخرى أعظم من الأولى فسمعت منها خفقان أجنحة الملائكة حتى نزلت علي و على ولدي و غيبته عني كالمرة الأولى و إذا أنا بقائل يقول طوفوا بمحمد على جميع النبيين و أعرضوه على سائر المرسلين و أعطوه صفوة آدم و رأفة نوح و حلم إبراهيم و لسان إسماعيل و حسن يوسف و صبر أيوب و صوت داود و زهد يحيى و كرم عيسى و شجاعة موسى و اغمسوه في أخلاق الأنبياء و قال الشاعر في هذا المعنى أفلح من يصلي على الرسول و آله

يا قاصدا نحو الحطيم و زمزم بلغ سلامي للنبي الأكرم و قل السلام عليك يا مولى الورى أنت الدليل إلى السبيل الأقوم

الأنوار ص : 185صلى عليك الله ما هب الصبا و ترنمت ورقا بصوت ترنم

قالت آمنة فرأيت ولدي قابضا على حريرة بيضاء مطوية طيا شديدا و الماء يخرج منها و قائلا يقول قد قبض محمد على الدنيا بأسرها و لم يبق شي ء إلا و دخل في قبضته قالت آمنة و سمعت قائلا يقول ألا فأكثروا التسبيح بعد صلاتكم للسيد المختار ذاك الأمجدو من يك ذا بخل إذا عد ذكره فذاك عن الحق المبين مبتعد

و روي عن النبي ص أنه قال من صلى علي و على آلي لم يمت حتى يبشر بإيمانه و أبخلهم من ذكرت عنده و لم يصل علي و من عسر عليه أمر فليكثر من الصلاة علي فإنه يفرج الله عنه

قالت آمنة فبينما أنا كذلك و إذا بثلاثة نفر قد دخلوا علي و النور يسطع من وجوههم و بيد أحدهم إبريق من الفضة البيضاء و الآخر بيده طشت من الزبرجد الأخضر و بيد الثالث منديل من السندس الأخضر قالت آمنة فوضع الطشت من يده و قال له يا حبيب الله اقبض أنى شئت قالت آمنة فقبض ولدي على وسطها و سمعت قائلا يقول قد قبض محمد ص على الكعبة و ما حولها و رأيت النور الأنوار ص : 186يشرق منه كأنه الشمس ثم حمله صاحب الطشت و صب الآخر عليه الماء سبع مرات ثم مسح وجهه صاحب المنديل و ختم ما بين كتفيه بذلك الخاتم ثم لفه ما بين جناحيه فسألت من هذا فقيل هذا رضوان خازن الجنان ثم كلمه في أذنيه بكلام لم أفهمه ثم قال له أبشر يا حبيبي فإنك سيد الأولين و الآخرين و الشفيع فيهم يوم الدين فطوبى لمن اتبعك و الويل لمن حاد عنك و قيل في هذا المعنى

فيا خير مولود تعظم فخره و أتى بأشرف ملة و كتاب صلى عليك الله يا خير الورى ما هل في الآفاق قطر سحاب يا خير مبعوث لآخر أمة و يا خير من يدعو لسبل صواب

قالت آمنة ثم خرجوا عني و أنا متفكرة فيهم و لم أعلم كيف خرجوا و قد قيل في هذا المعنى شعرا

صلوا على خير الأنام كرامة و جلالة يا معشر الإسلام فهو النبي المصطفى علم الهدى يا خير من يدعو لسبل قوام نطق الكتاب بفضله و جلاله و بذكره نشفى من الآلام صل عليه الله ربي دائما ما لاح نجم تحت جنح ظلام

الأنوار ص : 187فهو السبيل لدار كل كرامة و هو الدليل بجنة و سلام و هو الشفيع لمن أراد بدينه و لمن أتى لملة الإسلام

قالت آمنة و رأيت ثلاثة أعلام قد نصبت واحد بالمشرق و الثاني نحو المغرب و الثالث بأعلى الكعبة و النور مثل قوس السحاب من عنان السماء إلى وجه الأرض قد أنزلت فكشف الله عن بصري فرأيت ما كان هناك و تلك الأعلام من نور قائم مثل قوس السحاب ثم رأيت بعد ذلك سحابة قد نزلت عليه و غيبته عني ساعة طويلة و لم أره و أنا متعلقة القلب به و قد حيل بيني و بينه و أنا أظن أني نائمة و أمسح بيدي على عيني فبينما أنا كذلك و إذا أنا بولدي مكحل و مقمط في قماط يفوح منه رائحة المسك الأذفر قال عبد المطلب و إني كنت في الساعة التي ولد فيها رسول الله ص و أنا أطوف بالكعبة و إذا بالأصنام قد تساقطت و تزلزلت و إذا بالصنم الكبير قد وقع على وجهه و سمعت قائلا يقول الآن آمنة قد ولدت بمحمد ص و قال عبد المطلب فلما رأيت ما حل بالأصنام تلجلج لساني و تحير عقلي و رجف فؤادي حتى صرت لا أستطيع الكلام الأنوار ص : 188ثم خرجت مسرعا و أتيت إلى منزل آمنة و إذا بالصفا و المروة يركضان بالنور فرحا و قد قيل فيه شعرا

صلوا على خير العباد المصطفى كنز الرشادصلوا على خير العباد الكنز في يوم المعادمن قد رقا سبع الشداد و نال في الدنيا المراديا آمنة حلوى الهنا صلوا على عالي السنادمحمد كل المنى و من سكن

وسط الفؤاد
و قيل أيضا فيه شعرا صلوا على خير الورى
صلوا عليه و سلموا تسليما حتى تنالوا جنة النعماءهو سيد الكونين سيد هاشم ما في سيادته عليه من إخفاءشرف المقام به و زمزم و الصفا و منى و بيت الله و البطحاءمن نور رب العرش كون نوره و الناس في خلق التراب سواءو به توسل آدم من ذنبه و تشفعت بمقامه حواءو به توسل نوح في طوفانه فأجيب حين طغى عليه الماءو به دعا إدريس فارتفعت له عند المهيمن رتبة العلياء

الأنوار ص : 189و به الخليل نجا من النار التي قد أضرمت من أجله الأعداءو به الذبيح نجا و حيي حياته لما أتاه من الإله نداءو ببعثه التوراة تشهد بفضله بالمصطفى و لها عليه ثناءإنجيل عيسى و الزبور بفضله شهدا ففي هذا الفخار علاءالله أكبر ما أتم فخاره في بعض ذا فلتخبر العلماءقد أنزل القرآن في أوصافه ما ذا تقول بمدحه الشعراءصلى عليه الله في سبع العلا ما لاحت الأنوار و الظلماء قال عبد المطلب فأتيت إلى آمنة و إذا أنا بغمامة بيضاء قد عمت المنزل فلما قربت من الباب عبقت برائحة المسك و العنبر فدخلت عليها فرأيتها جالسة و ليس عندها أثر النفاس فقلت لها أين الولد الذي ولدتيه قالت قد حيل بيني و بينه و قد أتاني آت و قال لي يا آمنة لا تجزعي و لا تخافي فإنك لا ترينه إلا بعد ثلاثة أيام قال عبد المطلب فجذبت عليها السيف و قلت لها أخرجي إلي ولدي في هذه الساعة و إلا علوتك بهذا السيف فقالت آمنة شأنك فإن ولدك بهذه الدار قال فهممت بالدخول عليه و إذا أنا بشخص كأنه الأنوار ص : 190النخلة السحوق و لم أر أهول منه منظرا فلما رآني برز إلي و سل سيفه و قال لا سبيل لك و لا لأحد حتى تنقضي زيارة الملائكة قال فرجعت خائفا مرعوبا قال صاحب الحديث بلغنا أن الساعة التي ولد فيها رسول الله ص طردت المردة و الشياطين و خرجوا هاربين فمنهم من أغمي عليه و منهم من مات و أما وشق و سطيح فإنهما هلكا في تلك الساعة و أما الزرقاء فإنها كانت في تلك الساعة جالسة مع خدمها و جواريها و إذا هي قد صرخت صرخة عظيمة و غشي عليها فلما أفاقت من غشوتها أنشأت تقول
أما المحال فقد مضى لسبيله و مضت كهانة معشر الكهان جاء البشير فكيف لي بهلاكه هيهات جاء الأمر بالإعلان

قال و لما تم له ثلاثة أيام دخل عليه جده عبد المطلب فلما نظر إليه قال الحمد لله الذي صدقنا وعده و أخرجك لنا حيث أوعدنا بقدومك فإذا لا أبالي بالموت ما أصابني بعد هذا اليوم ثم قبله و دفعه إلى أمه فجعل يهش و يضحك في وجهها كأنه ابن سنة فقال لها عبد المطلب احفظي قرة عيني فإنه سيكون لولدك يا آمنة شأن الأنوار ص : 191و أي شأن كما أخبرنا به الكهان في قديم الزمان قال و أقبلت

إليه الناس يهنئونه بما أعطاه الله تعالى و قال الشاعر في هذا المعنى
سلام سلام سلام سلام عليكم فردوا السلام سلام على أهل هذا المقام ما جن ليل و ناح الحمام
سلام عليكم أتيناكموا نهنيكم اليوم بهذا الغلام و نقرى و ندعو لكم جميعا و عيد مبارك عليكم تمام فلا أوحش الله من شهرنا مضى و تقضى عليكم تمام هنيئا مريئا بهذا الغلام و أبرك يوم و أسعد عام تعيشون حتى تزورونه و تجلى عروسا كبدر التمام فيا رب سلم لي هذا الغلام بحرمة محمد عليه السلام و بلغه الله ما يشتهي على رغم أنف الأعادي اللئام على بئر زمزم نصبنا الخيام و تحت الخيام رجال كرام و فيهم بدوي مليح اللثام و اسمه محمد عليه السلام فقومي نزوره يا آمنة فهذا نبي شفيع الأنام هجرت الكرى مع لذيذ المنام فقلت سلام سلام سلام
الأنوار ص : 192و صلوا عليه تنالوا المنى فكل صلاة بعشرة تمام

قال الراوي و كان كلما دخلت على آمنة امرأة لتهنئها بمحمد عبقت منه بروائح المسك و الطيب فكان الرجل يقول لزوجته من أين لك هذه الرائحة فتقول هذا من طيب محمد ص قال و أقبلت إليها القوابل ليقطعن سرته فوجدوه مقطوع السرة فقلن لها يا آمنة ما كفاك أنك وضعت به و لم تعلمين به أحدا حتى قطعت سرته بيدك فقالت آمنة و الله ما رأيته إلا كما رأيتنه فتعجبن من ذلك قال فلما مضت له سبعة أيام أولم عبد المطلب وليمة عظيمة و ذبح فيها الأغنام و نحر الإبل ثم أكل الناس منها ثلاثة أيام و ما فضل من ذلك الطعام رموه في البرية تأكله الوحوش و السباع و الطيور. و الحمد لله رب العالمين و قد كمل الجزء السادس من الأنوار أنوار رسول الله ص و يتلوه الجزء السابع
الأنوار ص : 193الجزء السابع من كتاب الأنوار في مولد النبي محمد ص
قال أبو الحسن البكري حدثنا أشياخنا و أسلافنا الرواة بهذا الحديث أنه لما تم لمولد النبي ص سبعة أيام التمسوا له مرضعة تربيه ثم قال له قومه يا عبد المطلب إني سأنظر لك و أنت السيد الكريم فينبغي أن تلتمس لولدك مرضعة فإنك اليوم كافله و المتولي أمره فقال عبد المطلب يا آمنة من يصلح لولدك قال فأقبلت النساء إلى آمنة لإرضاع رسول الله ص و كانت آمنة نائمة إذ انقلبت إلى جانب ولدها إذ هتف بها هاتف و قال لها أيتها الامرأة الكريمة فإن أردت أن ترضعي ولدك فعليك من نساء بني سعد حليمة السعدية و كانت كلما تأتي إليها امرأة تسألها عن اسمها و قومها فلم الأنوار ص : 194تسمع بذكر حليمة و كان سبب تحريكها لرضاع رسول الله ص أن أطراف مكة أصابها قحط و جدب و غلاء إلا مكة فإنها أخصبت و أزهرت ببركة رسول الله و قال الشاعر في هذا المعنى
خير الأنام الهاشمي محمد من نوره نار الجحيمة تخمدو العين أيضا من عماها أنفذت فهو المسمى أحمد و محمد
و قال الشاعر أيضا

يا سيدي يا أشرف العباد يا خير داع للورى و هادي و شافعا يدعو إلى الرشاد ما قط خلا من حبه فؤادمبجلا مفضلا معظما صلى عليه ذو العلا و سادي مشرفا مؤيدا من السما و من له حسن الثنا يزداد قال و كانت العرب ترحل إلى مكة و تنزل بنواحيها من كل جانب و مكان ثم خرجت حليمة مع نساء من بني سعد في جملة من خرج يلتقطون من نبات الأرض ما يقتاتون به قالت حليمة كنا نقيم اليوم و اليومين و الثلاثة و لم نفطر إلا على الماء و كنا قد شاركنا المواشي في مرعاها قالت حليمة فبينما أنا ذات ليلة من الليالي بين الأنوار ص : 195النوم و اليقظة إذ أتاني آت و قذفني في نهر ماء أبيض من اللبن و أحلى من العسل و قال لي يا حليمة اشربي من هذا الماء فشربت ثم ردني إلى مكاني و قال لي يا حليمة عليك ببطحاء مكة فإن لك فيها رزقا كثيرا واسعا و تسعدين ببركة مولود ولد فيها و بعد ذلك ضرب بيده على صدري و قال اذهبي در الله لك اللبن و جنبك المحق و المحن قالت حليمة فانتبهت و أنا لا أطيق حمل ثديي من كثرة اللبن و بقيا كأنهما جرتان عظيمتان و امتلأ بدني شحما و لحما و كسيت حسنا و جمالا و أصبحت في حالة غير التي أنا فيها بالأمس قالت ففزعن نساء قومي و تعجبوا مني و قالوا يا حليمة قد عجبنا من حالتك التي أصبحت فيها فلو كنت أكلت خير البر و اللحم و السمن ما وقعت على هذه الحالة و ما صار إليك من الحسن و الجمال في ليلتك هذه قالت فكتمت أمري عنهن فمضين و تركنني و هن أحسد الناس إلي ثم بعد ذلك هتف بي هاتف يسمعه بنو سعد كلهم و هو يقول يا بني سعد نزلت عليكم البركات لرضاع مولود ولد بمكة فضله الواحد الأحد فهنيئا لمن إليه قصد قال فلما سمعوا من الهاتف ذلك قالوا الأنوار ص : 196إن هذا المولود له شأن عظيم قال فرحل بنو سعد عن آخرهم إلى مكة طالبين الفضل و الرزق لما سمعوا من الهاتف فمن كانت له قوة حمل زوجته على جمل أو فرس قالت حليمة و لم يبق أحد إلا و أسرع مبادرا إلى

مكة قالت و كنا أهل بيت فقر و كانت حليمة أطهر نساء بني سعد فلذلك ارتضاها الله تعالى أن ترضع نبيه محمدا قال و كانت النساء إذا دخلن على آمنة تسألهن عن أسمائهن فلم تسمع بذكر حليمة بنت ذويب فتقول ولدي يتيم ما له أب فيذهبن فأقبلت حليمة مع بعلها و دخلت مكة و خلفت بعلها خارج البلد و قالت له قف مكانك حتى أدخل البلاد و أسأل عن هذا المولود الذي بشرنا به قال فلما دخلت حليمة إلى مكة أرشدها الله تعالى إلى بيت عبد المطلب فدخلت و كان جالسا في الصفا و كان له سرير منصوب عند الكعبة يجلس عليه للحكم بين الناس فلما أقبلت إليه حليمة قالت نعمت صباحا فرحب بها و قال من أين أقبلت قالت من البادية قال من أي العرب قالت من بني سعد اعلم أنه قد أخنى علينا الزمان بكلاكل الحدثان و هلكت مواشينا و لم يبق لنا فرج سوى أن الأنوار ص : 197قصدنا إلى بلدكم نطلب رضاعة مولود نستعيش به و قد أرشدت إليك فقال لها إن الصدق أوفى و لا سبيل أنجى منه إن عندي مولود لم تلد النساء مثله و لا من كله غير أنه يتيم من أبيه و أنا جده أقوم مقام أبيه و أكثر فإن

أردت أن ترضعيه دفعته إليك و أعطيتك ما يكفيك فلما سمعت حليمة مقام عبد المطلب أمسكت عن الكلام و قالت يا سيد بني عبد مناف اعلم أن لي بعلا و هو مالك أمري فإني راجعة إليه و أشاوره في ذلك فإن أمرني بأخذه رجعت إليه و أخذته فقال لها افعلي ما بدا لك قال فانصرفت حليمة من عنده و أقبلت إلى زوجها و سألها عن أمرها قالت إني أتيت عبد المطلب فوجدت عنده غلاما يتيما من أبيه و قد ضمن أنه يقوم مقام أبيه و أزيد فقال لها زوجها يرجعن نساء بني سعد بالإكرام و الإنعام و ترجعين أنت بصبي يتيم و كانت نساء بني سعد قد أتت إلى مكة معها فمنهن من حصل رضاعة و منهن من لم يحصل لها شي ء و كأنهن قد سمعن الهاتف و كان ذلك لرسول الله ص و لم يعلم أحد فاجتمع بنو سعد و هموا بالرجوع فقالت حليمة لبعلها يرجعن نساء بني سعد

الأنوار ص : 198 بالمراضع و أنا أرجع خائبة ثم بكت و أسبلت دمعها فقال لها بعلها لا تبكين يا حليمة ارجعي إلى هذا الصبي اليتيم و خذيه فعسى أن يجعل الله فيه خيرا كثيرا فإن جده مشكور و بالإحسان مذكور قال فرجعت حليمة إلى عبد المطلب فوجدته في المكان الذي كان فيه فذكرت له قول زوجها فقام عبد المطلب و سار معها إلى بيت آمنة و أخبرها بذلك و اسمها و اسم قومها فقالت آمنة هذه التي أمرت أن أدفع إليها ولدي فقام عبد المطلب و أدخلها على آمنة و قال لها أبشري يا حليمة فإنك ستسعدين بهذا المولود قال الشاعر تهنئة لحليمة

لك البشرى فطيبي يا حليمه بأحمد صاحب القدر العظيمه لقد فزتي بأنعام عميمه و قد أضحت أمورك مستقيمه لقد نلت التوفيق بالرضاعه لخير الخلق قد أعطي الشفاعه و في الأخلاق أحسن براعه تهني بالنعيم أنت مقيمه حبوتي بالعز و التهاني و قد نلتي به كل الأماني هو المبعوث في قاص و داني تمتعي بالطليعة العظيمه كفلتي المصطفى الهادي المفدى نبيا بالمكارم قد تردى

الأنوار ص : 199يضاهي البدر وجها إذ تبدي تهني بالنعيم أنت مقيمه عروس جماله بالكون تجلى و آيات الكرامة فيه تتلى حبيبي للمفاخر أنت أصلا معاجزه لقد ظهرت عظيمه نبيا نوره الحسن لائح و طيب نشره في الكون فائح و في أوصافه تتلى المدائح و من بركاته زاد النعيمه بدار الخلد من صلى عليه و آثار المكارم جا إليه نعيم زائد وافى إليه و حور في الجنان له خديمه

و قال الشاعر أيضا

بشراك يا حليمه بالدرة القديمه نلت به مناك بين الورى و قيمه يا مرضعة محمد المصطفى المؤيدنلت الثناء مؤيد و العز يا كريمه يا أيها السعديه نلت العلا العليه بسيد البريه و صاحب العزيمه سبحان من أعطاك سبحان من أرضاك

الأنوار ص : 200سبحان من حباك بالطلعة الوسيمه يا سعد قف لي ساعه أعلل الجماعه فصاحب الشفاعه قد هب لي نسيمه و إن أتيت الوادي و جزت ذاك الوادي فإق ي النبي الهادي تحية عظيمه فيه مددت بصري و زال فيه عسري و نلت منه يسري خصصت من حليمه على البراق راقي في السبعة الطباق في ساعة التلاقي جبريل من خديمه خاطبه الجليل يا أيها الرسول اسمع لما أقول و احضروا العزيمه أنا الإله الأحد و أنت عبدي أحمدو أمتك يا ممجد من الردى سليمه ارجع بلا تواني لبيت أم هاني و خص بالتهاني فرحمتي عميمه

الأنوار ص : 201هذا الغزال مكي ما زال عنه يحكي حتى رأيت منك من أعظم الغنيمه قد فاح لي شذاه و لا لي عن رضاه فصحت يا هو يا هو ذنوبنا عظيمه فمثله لم يولد و شبهه لم يوجدراعي العلا و السؤدد و الخدمة القديمه القلب فيه عاني و حبه كفاني يا صاحب المعاني أشواقنا قديمه محمد المكرم و السيد المعظم ابن المصطفى و زمزم و الخيف مع حطيمه صلوا على محمد الطاهر الممجدهذا النبي المؤيد بحبه قديمه

قال عبد المطلب فو الله ما اخضرت بلادنا و لا أزهر حرمنا إلا من حيث ولد هذا المولود المبارك ثم قالت لها آمنة يا حليمة إنني أولى بولدي و قرة عيني ثم إنها أخذت بيدها و أدخلتها البيت قال الشاعر

الأنوار ص : 202

قومي خذي يا دايه ذا صاحب العنايه هذا النبي من حقه من حبه لا يشقى كل الخلائق تسقى من كفه يا دايه هذا نبي تهامه تظله غمامه و بين كتفيه شامه كالكوكب مضيه شفيع يوم المحشر عن جميع الحضرمن حبه تنظري يوم المعاد يا دايه ما مثله مليح لسانه فصيح بين العدا رجيح هذا النبي يا دايه هذا النبي المختار و صاحب الأنوارو من فضله الجبار على الورى يا دايه بشر به الخليل نبأه الجليل فداه إسماعيل لأجله يا دايه مختوم خاتم ربه قد زال عنه كربه شفيع لمن يحبه يوم الحشر يا دايه

الأنوار ص : 203هذا أبو الفتوه مخصوص بالمروه و خاتم النبوه يظهره يا دايه سبحان من أعطاه و خصه مولاه بنوره كساه فاعلمي يا دايه و هو شفيع الأمه و كاشف للغمةسراجهم في الظلمه فافهمي يا دايه صلى عليه الباري ما لاح نجم ساري و غنت الأطيار على الشجر يا دايه

ثم قالت حليمة يا آمنة أ توقدين عند ولدي مصباحا بالليل فقالت آمنة و الله من يوم ولد ما وقدت عنده مصباحا و لقد استغنيت عن المصباح من يوم ولد قال فنظرته حليمة و هو ملفوف في ثوب صوف أبيض يفوح منه رائحة المسك الأذفر و الند و العنبر فوقع في قلبها محبة عظيمة و شفقة عليه أن توقظه فمكثت ساعة فخشيت على زوجها فمدت يدها إليه لتوقظه فخرج منه نور شعشعاني فتعجبت حليمة من ذلك ثم ناولته ثديها الأيمن فرضع فناولته الأنوار ص : 204الأيسر فلم يرضع و كان ذلك إلهاما من الله تعالى ألهمه العدل و الإنصاف من صغره و كان لا يرضع من ثدي حليمة حتى يرضع

أخوه ضمرة قال فخرجت حليمة بمحمد ص فقال لها عبد المطلب مهلا يا حليمة حتى نزودك و نرفدك فقالت حسبي من الزاد هذا المولود المبارك هو أحب إلي من المال و الأولاد فأعطاها من المال و الكسوة فوق النهاية و كذلك آمنة قالت حليمة فما مررت بحجر و لا مدر إلا و يهنئني بما قد خصني الله به من الفضل و الكرامة فلما أقبلت حليمة إلى بعلها و نظر إلى النور يشرق من غرته تعجب من ذلك و ألقى الله تعالى في قلبيهما الرأفة و المحبة له فقال لها بعلها يا حليمة قد فضلنا الله تعالى بهذا المولود و لا شك أنه من أولاد الملوك قال فلما ارتحلت القافلة ركبت حليمة على أتان لها و جعلت تقول لزوجها لقد سعدنا بهذا المولود و جعلت محمدا قدامها و الأتان يمر بهم كالريح الهبوب قال فبينما هم سائرين إذ مروا بأربعين راهب من نصارى نجران مع حبر لهم و هو يصف لهم مولد النبي و يقول ظهر بمكة مولود صفته كذا و كذا فإذا ظهر يكون خراب ديارنا الأنوار ص : 205و قلع آثارنا فجاءهم

الشيطان في صورة آدمي و قال إن هذا المولود الذي تتحدثون به هو مع هذه المرأة الراكبة قال فنظروا إليه و إذا بالنور يخرج من وجهه ثم زعق بهم الشيطان و قال يا ويلكم بادروا و اقتلوه قال فشهروا سيوفهم و عمدوا إليه فرفع محمد ص رأسه إلى السماء و إذا هم بداهية عظيمة كأنها الرعد العاصف حتى نزلت إلى الأرض فانكشفت من نار و فتحت أبواب السماء و نزلت نار من عند الجبار على من يبغض النبي ص المختار قالت حليمة فرأينا النار نازلة عليهم فخشيت منها رعبا فوقعت على القوم فأحرقتهم عن آخرهم فخفت و كدت أن أقع من على الأتان و كان ذلك أول ما ظهر من دلائله ص و قيل في هذا المعنى

صلى الإله على الغلام الأصغر مبارك الوجه كريم المفخرذا الهاشمي القرشي الأزهر صلى عليه الله منشي الصور

قال فما مرت به حليمة على حجر و لا مدر إلا و يهنئونها بما خصها الله به من الفضل و الكرامة ففرحت حليمة بذلك فرحا شديدا و في هذا المعنى قال الشاعر أفلح من يصلي على النبي و آله الأنوار ص : 206

فازت حليمة بالسعادة يا لها سعدت و قد بلغت آمالهايا سعدها يا سعدها بمحمد بشرى لها بشرى لها بشرى لهامن شاء يعطيه و من شاء يمنعه ما كل من طلب السعادة نالها

قالت حليمة فوصلت به إلى الحي و أنا مرعوبة من الخوف فلما وصلت به إلى قومها و وصلت إلى الحي قالت لقومها إن هذا المولود له شأن عظيم و كان أول ليلة نزلت على بني سعد اخضرت أراضيهم و أمطرت و أعشبت بعد القحط و الجدب ببركة النبي و كانوا يحبونه لأجل ذلك و وجدوا الراحة في جميع أمورهم و إذا مرض منهم أحد يأتون به إليه و يضعون يده على المريض فيبرأ من ساعته قال و

كثرت دلائله و براهينه قالت حليمة و كانت بنو سعد يقولون يا حليمة لقد فضلنا الله بك قالت و ما زلت في بركاته و لقد كنت معه في كل وقت و حين ما غسلت له ثوبا قط و لا رأيت له غائطا و كانت الأرض تبلعه و كان له وقت يتوضأ فيه و يعود إلى عادته و كنت أسمع منه الحكمة فلما كبر و ترعرع قال الحمد لله الذي أخرجني من أفضل نبات من شجرة النبوة و كنت أتعجب من

الأنوار ص : 207 كلامه و شب شبابا مسرعا و كان يمسي صغيرا و يصبح كبيرا و كان يزيد في اليوم مثل ما يزيد غيره في الشهر و يشب في الشهر مثلما يزيد غيره في السنة قال فلما كبر و نشأ لم يكن في زمانه أكثر منه حسنا و جمالا و لقد كنا نجعل القليل من الطعام بين يديه و نجتمع عليه فيكفينا ببركة محمد ص قال فلما تم له سبع سنين قال لأمه يا أماه أين إخوتي قالت يا بني إنهم يرعون الأغنام التي رزقنا الله إياها ببركاتك فقال يا أماه لم لا تنصفين إخوتي قالت و ما هو قال أنا أكون في الظل أشرب اللبن و الماء و إخوتي يقاسون الشمس و الحر فقالت يا بني إني أخشى عليك من الحساد و الرصاد و أخاف أن يطرقك طارق فيطالبني فيك جدك فقال لا تخافي علي من شي ء فإذا كان في غداة غد اتركيني أمضي معهم قال فلما رأته أنه لا ينتهي عن ذلك و قد عزم على الخروج و هي خائفة عليه و لم تقدر أن تعصيه و لا تكسر خاطره فقامت إليه و شدت وسطه و ألبسته نعلين و سلمت إليه عصا و قبلته و خرج معهم و جعل الشاعر في هذا المعنى يقول أفلح من يصلي على الرسول و آله الأنوار ص : 208

بأغنامه سار الحبيب إلى المرعى فيا حسنه راعي فؤادي له يرعى فلم أر أحلى من شمائله و قد تملك قلبي و الفؤاد مع السمعالقد آنس الصحراء و أوحش الورى مليح منير الوجه عشاقه صرعى جميل على معنى محاسن وجهه كان بدر التم قد طبعه طبعاأقول له مذ سار بالسرح ماشيا و أغنامه من حوله تطلب المرعى عيونك يا راعي الحمى فتكت بنا فقوم بها أسرى و قوم بها صرعى و لولاك يا راعي الحمى ما تشوقت نفوس إلى وادي العقيق و لا الجزعاو ما أنت راعي للمواشي و إنما لترعى الورى تبدا له العقل و الشرعاأما و الذي أبكى و أضحك و الذي أمات و أحيا و الذي أخرج المرعى لقد خاب من يسعى إلى غير بابكم و ضل الذي يوما إلى غيركم يسعى حبيبي طبيبي أنت راعي قلوبنا و لولاك يا مختار ما نعرف المرعى

قال فلما رآها أهل الحي أتوا مسرعين إلى حليمة و قالوا كيف يطيب قلبك أن يخرج و إن الرعاة لا تصلح له فقالت يا قوم و ما الذي تأمروني به و ما أصنع و لقد نهيته فلم ينته فما حيلتي به فأسأل الله تعالى أن يصرف عنه كل محذور و لقد رأيت براهين الأنوار ص : 209و معجزات ثم إن حليمة جعلت تنشد و تقول

يا رب بارك في الغلام الفاضل محمد سليل ذي الأفاضل و انصره يا رب و بارك لي به حتى يكون قاضي المحافل

ثم إنه مضى مع إخوته فلما كان وقت المساء أقبل مع إخوته كأنه البدر الطالع و قالت يا ولدي كيف انقضى يومي هذا لفراقك و لقد كان قلبي مشغولا بك و أنا أرجو من الله تعالى أن يقيك كل محذور قال و كان في الغنم شاة قد ضربها ولدها ضمرة فكسر يدها فأقبلت تلوذ بمحمد ص كأنها تشكو إليه فمسح يده عليها و جعل يتكلم فنهضت كأنها ظبية لم يصبها شي ء و كان كل يوم تظهر له آيات و دلالات و معجزات كانت الغنم مطيعة له إن أمرها بالمسير سارت و إن أمرها بالرجوع رجعت و إن أمرها بالوقوف وقفت ثم إنه سرح بالغنم مع إخوته ذات يوم من الأيام يرعون أغنامهم فدخلوا إلى واد كان فيه عشب و كانت الرعاة تخافه لكثرة أسباعه ثم إن محمدا ص أمر إخوته أن يدخلوا ذلك الوادي بغنمهم فدخلوا فيه فخرج عليهم أسد عظيم الخلقة هائل الأنوار ص : 210المنظر فلما قرب من أغنامهم فتح فاه و أراد أن يهجم عليهم قال فتقدم إليه محمد ص فلما رآه الأسد نكس رأسه و بصبص بذنبه و ولى هاربا خوفا منه فعند ذلك تقدم إليه إخوته فقال لهم ما شأنكم قالوا خفنا عليك من هذا الأسد و لقد سمعناك تكلمه فما قلت له قال قلت له لا تعد تقرب هذا الوادي بعد هذا اليوم فقال سمعا و طاعة قال ثم إن حليمة رأت رؤيا في منامها فانتبهت فزعة مرعوبة و أخبرت بعلها و قالت إن سمعت مني احمل محمدا إلى جده فإني أخشى عليه أن يطرقه طارق فتعظم مصيبتنا عند جده ثم قال فما رأيت قالت رأيت ولدي محمدا ص قد خرج مع إخوته كما يخرج

كل يوم إذ قد أتاه رجلان عظيمان لم أر أعظم منهما خلقة عليهما ثياب بيض من السندس و الإستبرق تخطف الأبصار و قد قصدوا ولدي محمدا فجاء واحد منهم و بيده خنجر يلمع فشق جوف ولدي محمد فانتبهت فزعة مرعوبة من ذلك و الرأي عندي أن نسير به إلى جده فإذا بقي هنا و عرض له عارض سيطالبنا به جده فقال لها بعلها إن الذي رأيتيه عن محمد غير شي ء لأنه ممنوع معصوم الأنوار ص : 211لا يقدر عليه أحد بسوء و لا مكروه فإن له ربا يحميه و يوقيه و قد رأيت ما فعل ربه بأعدائه نصارى نجران لما هموا بنا و بأذيته أرسل الله عليهم نارا أحرقتهم عن آخرهم و لقد رأيت غزاة قرارة و كانت قرارة قد كبسوا بني سعد ليلا و لما قربوا من البيوت التي فيها محمد ص ردت الخيل على أعقابها و انكسروا و اغتنم بنو سعد بهم و قتلوهم عن آخرهم و رد الله كيدهم في نحورهم قالت حليمة قد رأيت ذلك كله و لكن لكل شي ء غاية و نهاية فكم من صغير مات و كبير عاش فقال لها بعلها إن منامك الذي رأيتيه أضغاث أحلام قال فلما أصبح الصباح و أراد محمد ص الخروج كعادته مع إخوته قالت له حليمة يا ولدي لا تخرج اليوم و اجلس عندي فإني أريد أن تكون معي نهاري هذا كله حتى أشبع من النظر إليك فإنك كل يوم تخرج من الصباح و لا أراك إلا العشاء فقال اتركيني يا أماه و أي شي ء خفت

علي منه ثم إنه خرج و قال لا تخافي علي فلا أحد يقدر أن يتعرض لي بسوء و لا ضرر إلا و ربي ينجيني منه قال فتركته و مضى فلما كان عند نصف النهار

الأنوار ص : 212 إذ أقبل أولاد حليمة يبكون فخرجت حليمة و هي ناشرة شعرها مازقة الجيب خامشة الوجه ضاربة الصدر تعثر في أذيالها فقالت ما الذي دهاكم و من بشره رماكم قالوا كنا مع أخينا محمد الحجازي تحت الشجرة إذ أقبلت علينا الأغنام و اشتد علينا الحر و إذا قد أقبل علينا رجلان عظيمان لم نر مثلهما فلما وصلا إلينا أخذا أخانا من بيننا و مضيا به إلى رأس الجبل و أضجعه واحد منهم و آخر بيده سكينا و شق بطنه و أخرج قلبه و تركه قال فعندها بكت حليمة و قالت هذا تأويل رؤياي ما أعظم مصيبتي فيك يا ولدي قال فارتفع ضجيج الناس و الصياح في الحي و خرج القوم بأجمعهم و حليمة خلفهم و خرج زوجها الحارث و هو يجر قناته حتى أشرفوا على محمد فوجدوه جالسا و الأغنام خلفه محيطة به و نزل القوم إليه و رفعوه و أتوا به إلى أمه و هم يقولون كلنا لك الفداء يا محمد ص قالت حليمة فكشفت عن بطنه فلم أر فيه أثرا و لم أر في ثوبه دما و لا غيره قال فرجعت إلى أولادها تضربهم و تقول لهم كيف كذبتم على أخيكم فقال محمد ص لا تضربيهم و لا تكذبيهم لأني الأنوار ص : 213كنت مع إخوتي إذ أتاني رجلان صفتهم كذا و كذا فأخذاني و أضجعاني و أخرج منهم واحد سكينا و شق بها جوفي و أخرج منه نكهة سوداء و رمى بها و قال لي هذا حظ الشيطان منك يا محمد ثم غسل فؤادي بالماء و أعاده إلى جوفي كما كان ثم أخذ أحدهم خاتما يشرق نورا فختم به فؤادي ثم مسح على ما شقه فعاد كما كان بقدرة الله تعالى ثم قال يا محمد لو علمت ما لك من السابقة لقرت عيناك ثم قال أحدهما للآخر زنه فوزنني بعشرة من أمتي فرجحت بهم فوزنني بعشرين فرجحت بهم فقال له صاحبه دعه فلو وزنته بالأمة كلها لرجح بهم ثم عرجا إلى السماء و أنا أنظر إليهما ثم أقبلت حليمة على بعلها و قالت له الرأي عندي أن توصل هذا الغلام إلى جده قال لها فما تطيب نفسي بمفارقته و إنه عندي أعز من أولادي فلما سمعت كلام بعلها قالت ما يوصل

هذا الغلام إلى جده إلا أنا ثم إنها أقبلت عليه و قالت له يا ولدي إن جدك و عمومتك مشتاقون إليك فهل لك أن تسير معي إليهم قال نعم ثم قامت و شدت على راحلتها و ركبت و أخذت محمدا ص قدامها و قصدت به إلى مكة و كان عبد المطلب الأنوار ص : 214قد أنفذ إليها أن تحمله إليه و كان كلما رأت راهبا ضمته إلى صدرها و إذا نظرت حية أو ثعبان غيبته خوفا عليه إلى أن وصلت به إلى حي من أحياء العرب و كان فيه كاهنا من كهانهم قد رفع حاجبيه بعصابة من كثرة السنين و الناس عاكفون عليه يسألونه عن أحوالهم و ما يجري عليهم في أمورهم قال فلما جاءت حليمة بمحمد ص غشي على ذلك الراهب ساعة فلما أفاق سألوه عن أحواله فقال يا ويلكم بادروا إلى هذه المرأة الراكبة

على الناقة و ائتوني بالصبي الذي قدامها و اقتلوه قبل أن يحل بكم البوار و يخرب منكم الديار و يظهر لكم منه ما تكرهون قالت حليمة فلما سمعوا كلام الراهب بادروا لي مسرعين فلما أحست بهم الناقة طارت بنا على وجه الأرض كأنها الريح العاصف فما لحقوا إلا الغبار قالت حليمة و مررت به حتى وصلت به قريبا من مكة و إذا على بابها رجل و عنده جماعة مجتمعون فوضعت ولدي محمدا و مضيت عنهم ناحية قالت حليمة فسمعت رجة و أصواتا فالتفت إلي ولدي فلم أجده فسألت عنه القوم الذين كانوا مجتمعين فقالوا ما رأيناه فسألوني عن اسمه

الأنوار ص : 215 فقلت لهم اسمه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي فرج الله به همي و غمي و أغناني بعد الفقر و قد أتيت به إلى أهله و اختطف من بين يدي قبل أن أصل به إلى جده فو رب الكعبة إن لم أجده لأرمين نفسي من أعلى هذا الحائط فهذه الساعة كان بين يدي و هو معكم فقالوا و الله ما رأيناه فلما سمعت كلامهم وضعت يدها في أطواقها و مزقت جيبها و لطمت خدها و جعلت تندب و تقول وا ولداه وا محمداه قال فخرج عليها شيخ كبير من أهل مكة يتوكأ على عصاه و قد انحنى ظهره من الكبر فقال لها ما قصتك يا بنت ذويب قالت أقعدت ولدي هاهنا و مضيت إلى حاجة لي و ما أدري كيف ذهب فقال لها لا تبكي أنا أدلك على ولدك قالت افعل أيها الشيخ قال فمضى قدامها إلى أن أتى الكعبة و طاف بصنم كبير يقال له هبل و قال يا سيدي إن السعدية قد ضاع ولدها محمد فلما سمع بذكر محمد ص خر الصنم على وجهه و خرج الشيخ هاربا على وجهه خوفا و جزعا لما رأى من الصنم و وقوعه و قال يا سعدية لا تخافي على ولدك فإن له ربا يكفيه و لا يضيعه فاطلبيه على مهل

الأنوار ص : 216 قالت فخشيت أن يكون أحد أخذه و سبق به إلى جده فقصدته مسرعة فلما رآني قال ما قصتك يا حليمة قلت إن ولدكم محمد قد أتيت به فوضعته على باب مكة و مضيت لقضاء حاجة لي و جئت إليه فلم أجده و ما وقفت له على خبر فقال عبد المطلب أخشى أن يكون أخذه بعض الكهان أو السحرة قد اغتالوه فنادى عبد المطلب يا آل غالب يا آل غالب و كانوا يتباركون بهذه الكلمة فلما سمعوا نداء عبد المطلب أجابوه من كل جانب و مكان بالسلاح الشاك و قالوا ما الذي دهاك و من بشر رماك و ما الذي نزل بك قال إن حليمة السعدية أتت بولدي محمد و نزلت على باب مكة و مضت لقضاء حاجة لها و رجعت تطلبه فلم تجده و لعل بعض الكهان قد اغتاله فقالوا نحن معك إن خضت بحرا خضناه و إن صعدت جبلا صعدناه قال ثم إنهم ركبوا و داروا في مكة و نواحيها فلم يقفوا له على خبر فأتى عبد المطلب إلى الكعبة و طاف بها سبعا و تعلق بأستارها و دعا الله سبحانه و تعالى و لج في الدعاء فسمع هاتفا يقول يا عبد المطلب لا تخف على ولدك و لا تحزن فإن له ربا لا يضيعه الأنوار ص : 217فقال عبد المطلب و أين أطلبه أيها الهاتف فقال اطلبه بوادي دعامة عند شجرة الموز قال

فمضى عبد المطلب إلى المكان الذي أخبره به الهاتف فوجده هناك جالس على غدير عند شجرة و قد تدلت عليه أثمارها و نزلت عليه أغصانها فبادر إليه عبد المطلب و قبله و قال له يا ولدي من أتى بك إلى هذا المكان قال اختطفني طير أبيض و حطني على جناحه و أتى بي إلى هذا المكان و أجلسني تحت هذه الشجرة و قد أضر بي الجوع و العطش فأكلت من ثمارها و شربت من هذا الماء و كان الطير جبرئيل ثم إن حليمة دخلت بمحمد على جده عبد المطلب و قالت يا سيد الحرم إنه حصل لولدك عارض بكذا و كذا فقال عبد المطلب لا بأس عليك يا حليمة امضي إلى أمه و أخبريها بذلك فإنها أخبرتني يوم ولدته سطع له نور إلى السماء و ذلك قوله تعالى أَ لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَ

وَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ وَ رَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ بعلي صهرك ثم إن عبد المطلب كفل النبي ص حتى كبر فلما كان في بعض الأيام رمدت عين النبي ص رمدا شديدا و كان بالجحفة طبيب فوطأ له الأنوار ص : 218جده على بعير و أركبه و سار به إلى الجحفة فلما دخل عبد المطلب صاح بالراهب فأشرف الراهب عليه من رأس الصومعة و قال ما تريد أيها الشيخ قال أريد أن تنظر إلى هذا الغلام و ما نزل به فقال الراهب اكشف لي وجهه فلما كشف عن وجهه نزلت الصومعة فرد الراهب رأسه و هو يعلن بالشهادة و الإقرار ثم قال الراهب و ما عسى أن أقول فيه فإنه لا بأس عليه مما نزل به من الأذى و إنه يستريح من أذاه قريبا و أنت أيها الشيخ اسمع ما أقول لك فإنه سيد الأولين و الآخرين و الشفيع فيهم يوم الدين تنصره الملائكة أجمعين و أشد الناس عليه عداوة اليهود ثم قال الراهب و الله الذي لا إله إلا هو لئن أدركت زمانا يبعث فيه لأنصرنه فاحتفظ به يا عبد المطلب على الوصية ثم رجع به إلى مكة و كفله ولده أبا طالب و أقبل به إلى منزله و دعا بزوجته فاطمة بنت أسد و أوصاها به قال و أقام عبد المطلب زمانا فلما حضرته الوفاة أحضر أبا طالب و أوصاه بالنبي ص فجاء و أومأ على زوجته و قال أوصيك في محمد فإنه ولدي و قرة عيني و أمره في منزلي كأمري و نهيه كنهيي فقالت

الأنوار ص : 219 توصيني بولدي و قرة عيني و إنه و الله لأحب الخلق علي و كانت تحبه حبا شديدا و تؤثره على ولديها و كان لها عقيل و جعفر ثم فرح أبو طالب بمقالها ثم قالت و الله لأقدمنه على سائر أولادي و جعلت تكرمه و لا تدعه يغيب عنها طرفة عين أبدا و كان يطعم من يريد و لم تعارضه بشي ء أبدا و كان يشب و ينمو و قد تعجب أهل مكة من حسنه و جماله و قده و اعتداله قال و كان لعمه أبي طالب ع عنيزة ضعيفة فأخذها و رعاها فعادت إلى شبابها ثم إنه مسح على ضرعها فلما كان وقت العصر ساقها إلى بيت عمه فقالت زوجة عمه لأي شي ء سقت هذه الشاة الضعيفة فقال لها ائتيني بآنية لأحلب فيها لبنا فقالت و أين اللبن و هي ضعيفة كبيرة فقال لها ناوليني فسلمت إليه قصعة كبيرة فتقدم إليها و مد يده المباركة عليها فجرى اللبن كأنه الماء السائل فامتلأت الآنية و لم يبق في

الدار آنية إلا و امتلأت ببركة النبي محمد ص ثم جمع صبيان مكة و قال أنا أميركم و كان أبو جهل لعنه الله يجمع الزبيب الطائفي و يفرقه على الصبيان من أصحابه و لم يجتمعوا إليه و قال يا ويلكم أنا الأنوار ص : 220لي أب و أم و محمد يتيم لا أب و لا أم و لا مال و كان أهل مكة يسمونه الصادق الأمين و كان بنو مخزوم يسمونه يتيم أبي طالب و كان النبي قد أقام على الصبيان و النقاب و الحجاب و القواد و أعاظم البلاد و كان أبو طالب يفرح بذلك و كان في منزل أبي طالب نخلة ضعيفة يابسة لها سنين و أعوام فلما دخل محمد ص الدار اخضرت النخلة و أثمرت ببركة رسول الله ص و كان كلما سقط منها رطب جمعه أبو طالب إلى أن يأتي إليه محمد ص فيقول يا عماه أريد لأصحابي رطبا فيسلم إليه الرطب فيفرقه على أصحابه فلما كان في بعض الأيام لم يكن في النخلة ما يكفي أصحابه فلما دخل محمد قال يا عماه أريد لعسكري رطبا فقال يا ولدي ما أعطتنا النخلة غير هذا فخرج النبي ص و تعلق بالنخلة و قال من أنا قالت أنت محمد بن عبد الله

قال لها أقسمت عليك برب الكعبة إلا ما دنيتي مني لآخذ منك حاجتي قالت فاطمة فرأيت النخلة قد انحنت حتى بلغ رأسها إلى الأرض فدنا منها و أخذ منها ما كفاه و كفى عسكره و فضل ثم عادت النخلة إلى حالتها قالت فتعجبت من ذلك عجبا شديدا ثم إني الأنوار ص : 221نهضت من وقتي و ساعتي و لبست ثوبا جديدا و خرجت أطلب الكعبة و طفت بها سبعا و أتيت إلى مقام إبراهيم و قلت يا إله الكعبة ارزقني من أبي طالب ولدا يكون لمحمد أخا و وصيا فلما كان في بعض الأيام و إذا بهاتف يقول قد استجاب الله لك ما سألتيه فحملت بعلي ع فأعلمت أبا طالب بذلك فقال لها اكتمي أمرك حتى ننظر حقيقة الحال فلما وضعت بعلي أشرقت أنواره و إذا به مختونا و قائل يقول سموه عليا فخرج أبو طالب يقول

نور وجهك الذي فاق بالحسن على نور شمسنا و الهلال أنت نور الأنام من هاشم السفر بحسن يفوق على جمالي أنت و الله مناي و سؤلي الذي فاق نوره المتعالي و علوت الفخار و المجد أيضا و لقد ارتقيت أعلى المعالي

و لقد أجاد الشاعر في مدح الإمام علي ع حيث يقول

و نبدي بالصلاة على محمد و نثني بالسلام على عليايلوح البرق و النور المضيا بوجه المرتضى المولى عليإمام فارس بطل كميا و مسقي الغد كاسات المنيا

الأنوار ص : 222بكل مهند عضب طليقا يفوق من الرشيق السمهرياعلى جرد جياد مضمرات يعود عجاجها ليلا دجياو يظهر صالح من بطن سجن له وجه كما بدر مضياسلالة أحمد المختار حيدر أبو الحسنين مولانا عليإذا ركبت عساكره و سارت فتهتز الجبال الراسخياو يحكم بالمشارق و المغارب و

يكسر دولة أهل الجاهلياو لا يبقي بها أحدا عنيدا و يتساوى الفقير مع الغنياو يتلى الليث و الحيوان يرعى و تأتيه الوحوش مع الفلياو يخضر القضيب براحتيه تظلله غمامات البنيافذاك هو الإمام بلا محالة أبوه العسكري الحسن الزكياهم أشرف من ركب المطايا و أكرم من سحاب الساكبياهم المسك اليفوح من المنافح على كيد المنافق و الدعيازباد قد عجن في ماء ورد و صندل قد عجن في العنبرياو من يقدر يفاخر آل طه و جدهم النبي خير البرياأبوهم حيدر النامي عليا و زوج البضعة الزهرا التقيا
الأنوار ص : 223هم الذهب المصفى في لجين و أزكى فضة شاخ النقياو في يوم الغدير و يوم خم وصي ثم أنصبه النبياو قال هو الخليفة بعد موتي شريكي في أموري و الوليافمن تابعه في جنان عدن و من خالفه جبارا شقياو صلى الله على خير البرايا إمام الطهر مولانا عليا

قال ثم علا قدره ص حتى سموه الصادق الأمين و شاع ذكره في المشرق و المغرب ثم إنه توجه يوما نحو الكعبة و قد كان عمروا فيها عمارة و رفعوا الحجر الأسود من مكان و كل منهم يقول أنا أرده يريد الفخر لنفسه فقال ابن المغيرة يا قوم حكموا في أمركم رجلا يحكم بينكم فيما أنتم فيه مختلفون فقالوا الداخل علينا من هذا الباب نحكمه في أمرنا هو حرا كان أو عبدا ذكرا أو أنثى فإذا بالنبي محمد ص قد دخل عليهم فقالوا هذا محمد قد أقبل نعم الرجل الصادق الأمين الشريف الأصيل الفاضل العاقل محمد بن عبد الله ثم نادوه فأقبل عليهم فقالوا قد حكمناك فينا فمن يحمل الحجر إلى مكانه فلما دنا منهم رأى كل واحد يريد الفخار الأنوار ص : 224لنفسه و الشرف فقال هذه فتنة حاضرة فأراد أ يخمدها فقال ائتوني بثوب فأتوا به فقال لهم ضعوا الحجر فوق الثوب و ارفعوه جميعا فرفعوه إلى موضعه و انقطع الشر من بينهم و كان أحدهم المغيرة و الثاني ربيعة و الثالث حرب بن أمية و الرابع الأسود بن العزى فردوا الحجر إلى مكانه و النبي ص هو الذي وضعه في موضعه فتعجب الناس منه و من فعاله و تحدثوا بحديثه الرجال و النساء قال الراوي و مر يوما بمنزل خديجة بنت خويلد و هي في ملإ من النساء و حولها جواريها و عبيدها و كان عندها حبر من أحبار اليهود فلما رأى النبي محمدا ص نظر إليه ذلك الحبر و قال يا خديجة اعلمي أنه قد مر ببابك الساعة شاب حدث السن فأمري بعض جواريك أن يناديه إلينا فأسرعت الجارية إلى أن لحقت بالنبي ص و قالت له إن سيدتي تدعوك فأقبل حتى أتى منزل خديجة فقالت خديجة أيها الحبر لقد أشرت فقال نعم فقالت هذا محمد بن عبد الله فقال الحبر نعم ثم قال يا فتى اكشف لي عن بطنك الأنوار ص : 225فكشف عن بطنه فلما رأى الحبر خاتم النبوة دهش لذلك فقالت له خديجة لو رآك عمه و أنت تفتشه لأنزل بك البلاء فاحذر أن يرك فيقتلك إنهم يحاذرون عليه من اليهود لأنهم أعداؤه فقال الحبر و ما

منهم من أحد أن يقدر عليه بسوء أبدا يا خديجة و حق الكليم على الجبل العظيم إن هذا محمد صاحب البرهان المبعوث في آخر الزمان المعطل بدينه سائر الأديان فطوبى لمن يكون لها بعلا و تكون له زوجة فلقد حاز شرف الدنيا و نعيم الآخرة قال فتعجبت خديجة من قول الحبر و انصرف النبي و قد اشتغل قلب خديجة من قول الحبر فقالت أيها الحبر بما عرفت محمدا ص و ما سمعت فيه من الأحبار قال وجدت صفاته في التوراة و إنه المبعوث في آخر الزمان يكسر الأصنام و يحطم الأوثان و يموت أبوه و أمه و يكفله جده و عمه و يتصل بامرأة من قريش تكون سيدة قومها و أميرة عشيرتها و أشار بيده إلى خديجة و جعل يقول

يا خديجة و اسمعي قولي و خذي محمدا آية المحصول يا خديجة هو النبي بلا شك هكذا قرأت في الإنجيل

الأنوار ص : 226سوف يأتي من الإله بوحي ثم يخصه الله بالتنزيل و يروح لك الفخار و يضحى في الورى شامخا على كل جيل

قال صاحب الحديث فلما سمعت خديجة ما قال لها الحبر و ما نطق به تعجبت منه و تعلق قلبها بالنبي ص و كتمت أمرها فلما خرج الحبر من عندها قال يا خديجة لا يفوتك محمد فهو و الله شرف الدنيا و نعيم الآخرة قال و كان لخديجة عم يقال له ورقة و كان من كهان قريش و كان قد قرأ في صحف شيث و صحف إبراهيم و التوراة و الإنجيل و زبور داود و كان عارفا بصفات النبي ص و كان ورقة عنده علم بأنه يتزوج بامرأة من قريش تكون سيدة قومها و أميرة عشيرتها تساعده و تعاضده و تنفق عليه من مالها فعلم ورقة بأن ليس بمكة أكثر مالا من خديجة فرجا ورقة أن تكون زوجة للنبي ص حتى تفوز به و كان ورقة يقول لها يا خديجة سوف تتصلين برجل فيه شرف الدنيا و نعيم الآخرة و الحمد لله رب العالمين

الأنوار ص : 227حديث صراع النبي ص مع أبي جهل لعنه الله

قال صاحب الحديث و كانت العرب في ذلك الزمان معودين بالصراع و كانوا يعلمون أولادهم ليشتدوا به و يقوى حيلهم و كانت قريش أكثر العرب صراعا حتى إن بعضهم يطلب بعضا به و صارت الآباء تندب الأولاد له و يحضرونهم و يأمرونهم بذلك و يجمع أهل مكة و يعملون لأجله الولائم و يبذلون الجزيل من الأموال إلا النبي محمدا ص فإنه لم يتعرض لأحد فيه و لم يذكره و لم يحضر محاضرهم و لم يجلس مجالسهم و لم ينظر إلى صراعهم و لم يكن أحد يجسر على صراعه و لم يطق أحد أن يطالبه به و لم يذكره له لعظم قدره و هيبته و علو رتبته و وقاره و علو شأنه فلما كان ذات يوم و قريش مجتمعين في الأبطح يتذاكرون شدة الأنوار ص : 228رجل بعد رجل و حديث بعد حديث و ما كان في أهل مكة أعظم قوة من أبي جهل بن هشام لأنه كان لربما صرع أولاد مكة كلهم الصغير و الكبير و

الرفيع و الوضيع و الحر و العبد و الغني و الفقير حتى صار الكل منهم يهابه فاعتجب بنفسه و أعجب الناس لأنه كان كل من يراه من أولادهم صرعه و صارت أهل مكة إذا جلسوا يوما في مجلس يتذاكرون بأبي جهل و صاروا يحذرون أولادهم منه و يخوفونهم فلذلك أخذه العجب في نفسه و تاه و تمرد و كان قد جلس أهل مكة يوما و هم يتذاكرون أولادهم حتى انتهوا إلى محمد ص فقال بعضهم لبعض ما من أحد إلا و قد عرفنا نشاطه و صراعه و قوته و قد عرفنا الغالب من المغلوب و الصارع من المصروع غير محمد فإنه ليس يجلس معنا و لم يحدث في أمر الصراع و إنا نحب أن نبلوه و نختبره ليكون كأحدنا أما غالبا مذكورا أو مغلوبا مقهورا فمن منكم يشتد لصراعه فإنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم و إنه أعلى بني هاشم رتبة و منزلة و أعظمهم شأنا فقال أبو جهل و قد كان حاضرا أنا أكون لمحمد و لصراعه قادرا و له فاضحا و لقوته الأنوار ص : 229قاهرا و ذلك بعون اللات و التلا و الهبل الأعلى فقال له أبوه و قومه و متى يكون ذلك قال في غداة غد و تواعدوا على

البكور و الاجتماع حتى إذا كان الغداة اجتمعت قريش في الأبطح و أقبل النبي و هو لا يشعر بشي ء مما عزم عليه القوم حتى جلس وسط أعمامه إلى جنب أبي طالب ع و كان مجلسا عظيما و يوما عميما و قد اجتمعت السادات من قريش مثل ربيعة و عتبة و سهل بن عمر و سفيان بن حرب و هشام بن المغيرة و صفوان بن أمية و أخيه عوف و العاص بن وائل و أبي بن خلف الجمحي و أبي قحافة و الخطاب و القوام و سعد بن أبي وقاص و الأسود و خويلد بن نوفل و ورقة بن نوفل و عمير بن نفيل و هشام بن الحكم و ولديه أبي جهل و أبي البختري و غيرهم و بني هاشم و بني عبد المطلب و كانت قريش تخاف أولاد عبد المطلب و يعرفون حقهم و يذكرون فضلهم فاجتمعوا حتى ضاق المجلس بأهله فبينما قريش يتحدثون إذ وثب أبو جهل اللعين و كان شابا قويا خفيفا في الصراع فأتى إلى أخيه أبي البختري و قال له قم يا أخي نتصارع فوثب إليه أبو البختري و صارعه فصرعه أبو جهل

الأنوار ص : 230 فبقي أبو البختري خجلانا و جلس إلى جنب أبيه هشام ثم أقبل أبو جهل اللعين يخطر في مشيته و ينظر إلى عطفه حتى وقف بين يدي رسول الله ص فضرب يده في كمه الطاهر الشريف و ناداه يا محمد قم حتى نتصارع فأطرق النبي ص رأسه عن أبي جهل و قال له ارجع إلى مجلسك فإني لا أحب مصارعتك فلم يزل أبو جهل يلح عليه و النبي ص يأبى عليه قال فغضب أبو طالب ع غضبا شديدا و التفت إلى إخوته فلم ير أحدا إلا أخوه الحمزة فقال له بعد ما رأى الغيظ منه يا ابن عبد المطلب أ ما ترى إلى ما نحن فيه من أبي جهل و ما فعله بنا و ما رامه في ابن أخينا محمد في هذا اليوم بين أهل هذا المجلس فقال الحمزة لقد رأيت ذلك و بلغ مني الغيظ كل مبلغ ثم أقبل على هشام بن المغيرة و قال له أخبرني أنت أمرت ابنك أن يصارع ابن أخينا و يتعرض له قال له و حق

اللات و العزى قال له أ يسرك أن يصارع ابن أخي ابنك قال نعم قال أبو الحسن البكري و كان هشام لما رأى تأخير النبي عن مصارعة ابنه طمع في ذلك و رجا ابنه أن يكون غالبا للنبي فيفوز الأنوار ص : 231ظفرا بابنه و يزداد رتبة عالية في قريش بغلبة للنبي قال أبو طالب يا هشام ما يكون بيننا و بينك من الضمان على هذا الأمر قال هشام يا أبا طالب من غلب ولده يكون عليه وليمة يعملها لقريش فقال أبو طالب ع رضينا بذلك فسم لنا ما يلزمكم حتى نسمي لكم ما يلزمنا لأنك قد اشتهيت ذلك فقال هشام إن كان المغلوب ولدي فعلي ثلاثون وسقا من القمح و خمسون رأسا من الغنم و خمسة من الإبل هذا الذي يكون علينا فما الذي يكون عليكم إذا كان المغلوب ولدكم فما تريد أن تتكلم به فسبقه الحمزة بالكلام و قال يا هشام إن كان المغلوب محمد فلك في مالي ثلاثة أضعاف ما ذكرت إكراما مني لابن أخي محمد ثم قال يا محمد شماتة الأعداء أهم و أعظم علينا و إن قطع الرقاب و تلف الأموال أهون من شماتة الأعداء و قد علمت يا محمد ما ضمنه الحمزة و العباس و كان

العباس قد ضمن مثل ما ضمنه الحمزة و اعلم يا ابن أخي أنه لو كان ملئوا الأرض ذهبا و فضة كان قليل في رضاك يا محمد و لكنه أسهل علينا من غلب ولدنا و لهذا أن أموالنا أهون علينا من العار و لا سيما نحن أفضل الناس و أهل العقل الأنوار ص : 232و القدمة و السوابق و لا يخفى عند العرب و أهل مكة لأنهم يعرفون فضلنا و سؤددنا و علو قدرنا و مجد أجدادنا و العيون إلينا ناظرة و نحن من ولد عبد مناف و سلالة إسماعيل و ذرية إبراهيم الخليل و متى كان الغالب أبا الحكم كان سيئة علينا و شمتت العرب بنا فنعوذ بالله من غلبات الرجال قال فتبسم النبي ص في وجه عمه أبي طالب و قال نعم صدقت يا عم في مقالك و نصحت في خطابك ثم قال النبي أنا أصارعه إن شاء الله و لا أرجع عن مصارعته ما داموا مجتمعين فقال أبو طالب لئن رجعت عن مصارعته كان عار علينا عند قومنا و لا سيما قد شهدت الجماعة عليك و على أعمامك يعني حمزة و العباس و كذلك هشام بما ضمنه و لكن تبذل المجهود من نفسك و لا عليك بأس فقال النبي ص لأعمامه فما الذي تحبون فقال أبو طالب نحبه و نختاره أن تقوم إليه و تصرعه و تدوس في بطنه و تطرح يدك في حلقه و تكسر حقوه حتى يكون الغلب لنا و الطعن بأيدينا و الذلة واقعة عليهم فقال النبي يكون الأمر كما تريد يا عم إن شاء الله تعالى فقال أبو طالب ع أنا و عيشك أشتهي

الأنوار ص : 233 أن يكون مكسورا مذلولا بين الناس كما أظهر بنفسه و اعتجب بنشاطه و قوته و ألح عليك بفعله و طمع فيك و ما أراه يريد إلا فضيحتك و الشماتة بك و إني لواثق أنك غالبه برافع الخضراء و داحي الغبراء فقم الآن و اكشف لنا أمره و استعن عليه برب إبراهيم الخليل فعندها قال النبي ص يا آل فهر و غالب و يا سادات الكتائب و يا جميع العشائر اسمعوا لجوابي و أنصتوا لخطابي

فسكت كل ناطق و صمت كل متكلم و شخصت الناس بأبصارهم و مدت الأعناق و أصغوا إليه فقال يا معاشر العرب اعلموا أن النهار قد انصرم و الشمس قد علت و الحر قد حمي و أبو الحكم قد صارع أخاه و هو متعوب معه و قد لحقه التعب فإن أنا صارعته و صرعته قالوا إن أبا الحكم قد صارع و هو متعوب و محمد مستريح فيسقط فضل الفاضل على صاحبه و لكنا مقيمين على العهد و الضمان فإذا كان في غداة غد بكرنا إلى هذا المكان و كل منا مستريح لخصمه فمن صارع صاحبه و غلبه كان الفضل له قال فتعجب الناس من كلامه و قالوا قد أنصفت يا محمد و إنك لرجيح العقل فتفرق الناس و شاع الخبر بمكة بما قد الأنوار ص : 234عزم عليه محمد بن عبد الله و أبو الحكم بن هشام و ما تواعدوا عليه من الضمان و تواعدوا للبكور من كل جانب و مكان و كثر القيل و القال و قيل ما رقدوا تلك الليلة و كل واحد منهم يتوقع مجي ء الصباح و كثر الاختلاف فقوم يقولون محمد يغلب و قوم يقولون أبا جهل يغلب و صار القوم فرقتين و وقعت الرهائن و الوثائق في تلك الليلة قال صاحب الحديث و بات أبو طالب تلك الليلة متفكرا في أمر محمد و صراعه لأبي جهل و أما عتيق بن أبي قحافة فإنه عمد إلى أسفاطه و اختار ثوبين مثقلين قد اشترى كل واحد منهما بمائة مثقال من الذهب الأحمر من النجاشي ملك الحبشة يريد فيهما الفضل و قال لا يلبسهما غير محمد و أخذ معه عشرة مثاقيل من المسك الأذفر فسحقه فلما أصبح دفع ذلك إلى بعض مواليه فحمله و أخذ معه دراهم و دنانير

في كمه و خرج من منزله و جد في مسيره إلى أن وصل إلى المكان و إذا به قد غص بالناس و كل بادر إلى مجلسه و امتلأ المجلس من كثرة الناس فنظر عتيق و إذا ليس يرى له مكان الأنوار ص : 235فبقي في آخر الناس ينظر يمينا و شمالا و إذا بسادات قريش جلوس و وجوه بني مخزوم و مشايخ بني عبد شمس و فتيان الحارث و رؤساء بني فهر بن مالك و الخلفاء من بني خزاعة و بني عوف و بني لؤي و بني غالب و قد نودي في فجاج مكة و أطرافها يا معاشر العرب أن محمدا يريد أن يصارع أبا جهل بن هشام في بطحاء مكة فمن أراد أن يحضر فلا يتخلف عن البكور قال فأقبل الناس يهرعون من كل جانب و مكان و لم تبق مخدرة في خدرها و لا طفل و لا شيخ و كان يوما عظيما مثل يوم الموسم و القوم ينظرون من الغالب و من المغلوب و أبو بكر قائم ليس له موضع يجلس من كثرة ازدحام الناس قال فبينما الناس كذلك إذ أقبلت الكتيبة الخضراء أهل العز و الوفاء ولد عبد مناف و إذا بالنبي ص بين عمومته كأنه بدر تجلى من الغمام و النور يشرق من غرته و الضياء يسطع من وجهه كأنه قمر بين النجوم قد سطع نوره و ضياؤه و بهاؤه و عليه عمامة بيضاء و قد أرخى لها ذوائب و عليه جبة أرجوانية و عليه حلة يمانية و قد تدلت عذباتها و حشيت بالمسك

الأنوار ص : 236 فلما نظروا إليه و قد راعهم جماله و قده و اعتداله و أدهشهم نوره و ضياؤه و تعجبوا منه فأفرجوا له و قاموا إجلالا و إعظاما فنظر أبو طالب و إذا عتيق قائم ليس له موضع و هو متمط على أطراف أصابعه فمد يده إليه و جذبه إلى نحوه و مشى به إلى النبي و هو مطرق إلى الأرض حياء من عمومته قال عبد المطلب فلما استقر بنا الجلوس أقبل أبو جهل و قد تزين بكل الزينة و صار في أعظم هيبة و ذلك أنه لم يجد أحدا عليه مثل ما على أبي جهل من الثياب و هي من قباطي و قد تمنطق بمنطقة من الذهب الأحمر منظومة باليواقيت مرصعة بالدر و الجوهر و المرجان و على رأسه عمامة منسوجة بالذهب مضمخة بالمسك الأذفر و الند و العنبر فلما نظر النبي إلى أبي جهل أطرق رأسه إلى الأرض و كان أبو طالب قد علم ما في نفسه فاغتم غما شديدا و تنفس صعدا فقال له النبي ص لعلك ندمت على ما كان بينك و بين هؤلاء القوم فقال أبو طالب لا و رب الكعبة لكن لما رأيت أبا جهل ما عليه من الثياب و لم أر عليك مثلها قلت في نفسي لعل ينكسر قلب محمد قال يا عم لا بأس ما فاتك من الدنيا الأنوار ص : 237فإنما هي متاع الغرور قال الراوي و تزاحمت الناس و ارتفعت الأصوات و تعالى النهار فأقبل هشام على أبي طالب ع و قال له ما انتظارك بوعدنا فإن النهار قد انصرم و الشمس قد حمت و الناس ينتظرون ما يكون من هذين الغلامين و قد تطاول الجمع ينظرون الغالب من المغلوب فأنجز ذلك يا أبا طالب قال فأقبل أبو طالب على النبي و قال يا محمد فداك عمك قم فقد حضر الوعد فإن إله إبراهيم و إسماعيل حافظك و ناصرك ثم أقبل هشام على ولده أبي جهل و قال له قم فأنجز ما بيننا و بين هؤلاء القوم و قام أكثر الناس على أقدامهم و مدوا أعناقهم و شخصوا أبصارهم فقام أبو جهل لعنه الله و نزع ثيابه و بقي في سراويله و أخذ محزمه و شده على وسطه و استوثق من شده و جال بين الناس جولة عظيمة هذا و النبي ص ينظر إليه و هو

غير مكترث به و لا مرتاب منه فعند ذلك أقبل يخطر في مشيته و ينظر إلى عطفه و يختال في قده حتى وقف بين يدي النبي ثم قام بإزائه و النبي ص مطرق إلى الأرض فقام هشام بن المغيرة و حث ولده على ذلك و كذلك قام أبو طالب ع و قال يا محمد لم الأنوار ص : 238لا تمضي إلى خصمك فقال النبي ص ما تقول يا عم قال أنا واقف منذ ساعة بين يديك فقم إليه قال الراوي فرفع النبي عمامته عن رأسه و وضعها في حجر عمه حمزة فلاح من تحتها نور شعشعاني قد بلغ عنان السماء و أخذ بأبصار الناس و شد أكمامه و رفع أذياله في دور محزمه و قفص سراويله و هم بالدنو من أبي جهل فأقبل عليه عمه حمزة و قال فداؤك يا محمد لا من فعل الصعاليك بل من احتراز الفتيان أ ما تنظر إلى أبي جهل و قد احتذر منك حذرا أن تغلبه و قد أخذ منك أهبة و أنا خائف عليك و لم لا تنزع ثيابك لئلا يشغلك منها شي ء فيكون سبب الغلب قال العباس صدق و الله أخي يا محمد احتزم له كما احتزم إليك و أنا أقول و رب الكعبة أن لا يرانا هذا الجمع مقهورين مغلوبين فقال أبو طالب العار العار فاحذره يا

محمد فنظر النبي فكأنما نور سطع من بين ثناياه فضج الناس و جعلوا يقولون من مثلك يا محمد صباحا و ملاحا و كرما و سؤددا فرب الكعبة حافظك و ناصرك ثم إن النبي ص عطف على عدو الله أبي جهل من وسط الجمع حتى

الأنوار ص : 239 دنا كل واحد منهما العرق و ازورت منهما الحدق و افترق كل منهما عن صاحبه ينظره شزرا و يكلمه قهرا فنظر الناس إلى عرق النبي و قد انحدر على جبينه و عارضيه كأنه اللؤلؤ الرطب قد انصرم من سلكه و هو أطيب من رائحة المسك الأذفر و الكافور و العنبر و قال فتزاعق الناس من كل جانب و مكان و كل حزب متعصب لحزبه و قد شخصت نحوهم الأبصار و مدت الأعناق و ركب الناس بعضهم على بعض و قاموا على أطراف أصابعهم ينظرون من الغالب و من المغلوب قال فلما رأى النبي الجد من أبي جهل ضرب يده إلى وسطه فاجتمع في يده مثل الكرة و خففه الله تعالى في يده حتى رفعه من الأرض على يده و زج به في الهواء حتى لو أراد أن يبلغه إلى السماء لقدر حتى خفي عن أعين الناس فلم يره أحد ممن حضر فضجت الناس و ارتفعت الأصوات و شخصت الأبصار و ذهلت العقول و وجلت القلوب فأقبل يهوي على أم رأسه فاستقبله النبي بيده اليمنى و ناوله اليسرى كأنه كرة يلعب بها الصبيان في الميدان فلما صار في يده نادى أبو طالب و قال زج به أيضا فزجه ثانية في

الأنوار ص : 240 الهواء أكثر من الأولى و قد خففه الله تعالى في يده كأنه العصفور في يد إنسان فصاح به حمزة و قال زج به أيضا ثالثة فداك عمك فزجه في الهواء فمر صاعدا فبهت الناس منه لما عاينوا فضائله ص و قال بعضهم لو كان أبو جهل كرة تلعب بها الصبيان ما كان ارتفع في الهواء أكثر من ذلك فأقبل يهوي على أم رأسه فاستقبله النبي ص قبل أن يقع على الأرض و رفعه بيده و هزه حتى خلط أمعاءه بعضها في بعض فصاح برفيع صوته سمع كل من كان حاضرا قتلني محمد و حق اللات و العزى قال أبو طالب اجلد به الأرض و اعصر حلقه و دس في بطنه قال النبي كرامة لك يا عم ثم جلد به الأرض جلدة خفيفة إجابة لعمه فوقع على الأرض و قد أغمي عليه و زال عقله و غاب رشده مما نزل به فوقعت عضلة ساقه على حجر فانكسرت و تهشمت أعضاؤه و تكسرت ثناياه و انتفخ أنفه و جرى دمه حتى تخضبت به ثناياه و بقي مرميا على الأرض كالجيفة ليس به حراك فقال ص لو لا شفقتي عليه لجلدت به الأرض جلدة أخرجت بها روحه من جثته الأنوار ص : 241فتزاعقت بنو هاشم و بنو عبد مناف و بنو عبد المطلب و وقعت الصيحة في مكة ألا إن محمدا غلب أبا جهل و نكس رأسه و كسر همته و أضعف عزمه و أذهب شوكته و أراح الناس منه و قد كانت الناس تخافه إلى ذلك اليوم فإنه لم يتعرض لأحد بعد ذلك اليوم و لا تعرض لصراع أحد و صار الناس يدعون لمحمد على

سلامته من أبي جهل قال الراوي و أما بنو مخزوم فقد شملتهم الذلة و الحزن و أما خديجة فإنها بعثت من يخبرها من الغالب و من المغلوب فلما سار الرسول إليها أخبرها أن محمدا قد غلب أبا جهل فلذلك ازدادت حبا لمحمد ص و شوقا إليه و رغبة فيه لأنها قد طمعت فيه لما أخبرها الكهان لما قد ذكروا و رغبوها بما قد خصه الله تعالى به و فضله و دخل على بني مخزوم من الغلبة ما دخل عليهم و قاموا في إصلاح الوليمة و الطعام و الخمر و كذلك عمل بنو هاشم وليمة و كان ذلك لفرحهم بغلب محمد لأبي جهل

و دعت عليها سادات قريش و جميع ما في مكة و وقع الأكل و الشرب سبعة أيام ثم الأنوار ص : 242انصرف الناس بعد ذلك و ليس لهم حديث إلا محمد و صراعه لأبي جهل اللعين و الحمد لله رب العالمين هذا ما جرى لصراعهما الذي نصر نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف قال أبو الحسن البكري و كانت خديجة أغنى أهل مكة و أهل زمانها و كان لها في كل قبيلة من العرب غريب من النوق و الخيل و الغنم لأنها زوجت عبيدها بجواريها و فرقتهم على العرب و أعطتهم بيوت الشعر و جعلوا يتوالدون و كان لها أربعة آلاف جمل تسافر بالتجارة إلى الشام و غيرها من الأمصار و معها من العبيد و الولدان و الغلمان و الوكلاء عدد لا يحصى قال و كان أبو طالب قد كبر و ضعف عن التجارة و السفر من حيث إنه كفل النبي ص فدخل عليه ذات يوم من الأيام فرآه مهموما مغموما فقال له يا عم ما لي أرى على وجهك أثر الهم و الغم فقال له يا ابن أخي اعلم أنه لا مال لنا و لا تجارة و قد اشتد علينا الزمان فقال له يا عم و ما ذلك قال إني قد كبرت و ضعفت قوتي و قل ما بيدي و قلت حيلتي و قد مات
الأنوار ص : 243 أبوك و لم يخلف قليلا و لا كثيرا من مال و غيره و قد أنفقه في سبيل الله و أنا قد فرغ ما في يدي و أشتهي بأن أزوجك و أرى لك زوجة تسكن إليها و بيتا معمورا قبل موتي و قد علمت أن قومك لا يزوجونك لأن الراغب في الفقير قليل فقال له ما عندك من الرأي يا عم قال يا ولدي اعلم أن خديجة بنت خويلد امرأة شريفة في قومها و قد انتفع من مالها أكثر الناس و هي تعطي أموالها لسائر الناس من سائر قريش و غيرهم يسافرون بها فهل لك أن تمضي معي إليها لنسألها أن تعطيك شيئا من مالها تجارة تسافر فيها و يعود عليك خيرها فإن خديجة تعطي من يسألها و لا سيما أنت فقال له النبي ص افعل ما بدا لك يا عم ثم إنهم قصدوها و عزموا على التوجه إليها و فيها كما قال الشاعر

كم شاهد لمحمد بنبوته في نصر دين الله عز و قوته
الأنوار ص : 244سبب خروج النبي بتجارة خديجة إلى الشام
قال ثم إن أبا طالب جمع إخوته فلما اجتمع بنو عبد المطلب قال لهم أبو طالب امضوا بنا إلى دار

خديجة حتى نسألها أن تعطي محمدا مالا يتجر فيه فقاموا من وقتهم و ساروا إلى منزل خديجة و كان لخديجة دار واسعة و كان سقفها من الحرير الأزرق و فيها صورة الشمس و القمر و النجوم و قد ربطته بحرير الإبريسم و أوتادا من الفضة و كانت قد تزوجت برجلين أحدهما أبو شهاب و هو عمر الكندي و الآخر عتيق بن عدي فلما مات خطبها عتبة بن أبي معيط و الصلت بن أبي يهاب المخزومي و كان لكل واحد من هذين الرجلين أربع مائة عبد و أمة و خطبها أبو جهل بن هشام و أبو سفيان بن حرب و خديجة لا ترغب في أحد منهم و كان قد الأنوار ص : 245تولع قلبها بالنبي ص لما سمعت من الرهبان و الركبان و الأحبار و الكهان و ما أخبروها و ما ذكروا لها من الدلائل و البراهين و المعجزات و ما رأت قريش منه من الآيات و كانت تقول سعدت من تكون لمحمد قرينة فإنه يزين صاحبه و لا يشينه و زاد بها الوجد و الغرام و الشوق فبعثت إلى عمها ورقة بن نوفل و قالت له يا عم أريد أن أتزوج و لا أعرف من يكون لي بعلا و قد أكثر الناس الكلام علي و قلبي لا يقبل أحدا فقال لها ورقة يا خديجة ألا أحدثك بحديث عجيب و أمر غريب قالت و ما هو يا عم قال عندي كتاب من عهد عيسى ابن مريم فيه عزائم و طلاسم و إني أعزم لك به على ماء تأخذينه و تشربين منه و تغسلين به ثم أكتب لك كتابا فيه كلمات من الزبور و كلمات من الإنجيل و تضعينه تحت رأسك عند النوم و أنت على فراشك و ملتفة بأثوابك فإن الذي يكون زوجك يأتيك حتى تعرفينه باسمه و كنيته و حسبه و نسبه فقالت له يا عم افعل ما بدا لك فقال ورقة حبا و ألف كرامة لله و لك ثم كتب الكتاب و دفعه إليها ففعلت ما أمرها به عمها و نامت فلم يكن من الأنوار ص : 246الليل إلا

القليل فرأت في منامها و قد جاءها رجل لا بالطويل الشاهق و لا بالقصير اللاصق أدعج العين أزج الحاجبين أحور المقلتين عقيق الشفتين أزهر اللون مليح الكون معتدل القامة مدور الهامة تظلله الغمامة بين كتفيه علامة ينظر من ورائه كما ينظر من قدامه راكب على فرس من نور مزمم بزمام من نور على ظهره سرج من العقيق مرصع بالدر و الجوهر و المرجان و له وجه كوجه الآدميين منشق الذنب له أرجل كالبقر خطوته مد البصر و هو يرقل بالراكب و كان خروجه من دار أبي طالب قال فلما رأته خديجة ضمته إلى صدرها و أجلسته في حجرها و أتت إلى عمها ورقة في ذلك الليل و قالت له يا عم نعمت صباحا فقال و أنت يا خديجة لقيت نجاحا و وقيت أتراحا لعلك رأيت شيئا في منامك قالت نعم رأيت رجلا صفته كذا و كذا فعندها قال ورقة و الله يا خديجة إن صدقت رؤياك لتسعدين و ترشدين بنبي كريم و رسول عظيم فإن الذي رأيتيه فهو نبي هذه الأمة و كاشف الغمة و سراج الظلمة المبعوث من تهامة المتوج بتاج الكرامة و الشفيع الأنوار ص : 247للعصاة في يوم القيامة سيد العرب و العجم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف قالت و كيف لي بما تقول يا عم و إني كما قال الشاعر صلوا على النبي و آله

أسير إليكم قاصدا لأزوركم و قد قصرت بي دون ذاك رواحلي أحمل برق الشوق شوقي إليكم و أسأل ريح الغرب رد رسائلي و تلك الأماني خدعة غير أنني أعلل وجد الحادثات بباطل

قال و زاد خديجة الوجد و الاشتياق إلى محمد و كانت إذا خلت بنفسها فاضت عبرتها و جعلت تنشد و تقول

كم أكتم الوجد و الأجفان تهتكه و أطلق الحب و الأعضاء تمسكه جفاني الحب لما أن تمسكه غيري فوا أسفا لو كنت أملكه ما ضر من لم يدع مني سوى رمق لو كان يمسح بالباقي فيتركه

و على هذا المعنى جعل الشاعر يقول

متى تنطفي ناري و تبرد غلتي و ترجع أيامي بقرب أحبتي فإن حلت عما تعهدوني من الوفا فلا بلغت روحي بكم ما تمنت فقلبي حزين يوم فارقت حيكم فنار الأسى و البين حشو حشاشتي

الأنوار ص : 248أموت اشتياقا ثم أحيا بذكركم و أنتم مناي و البعاد لمنيتي و أنتم ضيا عيني و نور لمهجتي و روحي و ريحاني و حجي و عمرتي فلا تقتلوني بالقطيعة و الجفا و حنوا على ضعفي و فقري و فاقتي فو الله و الله العظيم و إنه لئن دام هذا الحال مت بحسرتي متى يجمع الرحمن شملي بقربكم متى تكحل الأعيان منكم بنظرتي و نرجوك يا مولاي تغفر ذنوبنا بجاه النبي مولاي خير البرية

قال و أعجب من ذلك أنها لم تفرغ من شعرها السابق على هذه القطعة إلا و قد طرق الباب طارق فقالت لجاريتها قومي ويلك و افتحي الباب فلعل علم من الأحباب ثم إنها جعلت تقول

أيا ريح الجنوب لعلك عالم من الأحباب يطفي نار حري فلم لا حملوك إلي منهم سلاما أشتريه و لو بعمري و حق ودادهم إني كتوم و إني لا أبوح لهم بسري أراني الله وصلهم قريبا فكم يسر أتى من بعد عسرفيوم من فراقكم كشهر و شهر من فراقكم كدهري

قال الراوي فنزلت الجارية فوجدت أولاد عبد المطلب بالباب الأنوار ص : 249فرجعت إلى خديجة و أخبرتها بقدومهم و قالت يا سيدتي إن بالباب سادات العرب من ذوي المعالي و الرتب أولاد عبد المطلب فرمقت رمقة الهوى و دهشتها دهشة الجوى ثم قالت للجارية افتحي لهم الباب و أمري ميسرة يعد لهم المساند و الوسائد و إني لأرجو بأن أتوا بذكر حبيبي محمد ص ثم أنشأت تقول

ألذ حياتي ذكركم و لقاكم و لست ألذ العيش حتى أراكم و ما استحسنت عيني من الناس غيركم و لا لذ في قلبي حبيبا سواكم على الرأس و العينين جملة سعيكم و من ذا الذي فيما أردتم عساكم و ما غيركم في الحب يسكن مهجتي و إن شئتم تفتيش قلبي فهاكم

قال ثم إنها أمرت عبدها ميسرة بأن يفرش لهم المجلس بأنواع الفرش قال فلما فتحت الجارية الباب إلا و ميسرة قد أعد لهم

الأنوار ص : 250 المساند و الوسائد و فرش المجلس بأنواع الفراش ثم إنهم جلسوا فما استقر بهم الجلوس إلا و قدم لهم الطعام و الفواكه فأكلوا و شربوا و أخذوا في مذاكرة الحديث فقالت خديجة من وراء الحجاب بصوت عذب و كلام رطب يا سادات مكة أضاءت بكم الديار و أشرقت بكم الأقطار فلعل حاجة فتقضى أو ملمة فتمضى فإن حوائجكم مقضية فقال لها أبو طالب ع يا خديجة جئناك في حاجة يعود نفعها إليك و بركاتها عليك فقالت يا سيدي و ما ذلك فقال جئناك في أمر محمد قال فلما سمعت بذكر محمد غابت عن الوجود و أيقنت بتحصيل المقصود ثم إنها ترنمت و جعلت تقول ذكركم يطفي فؤادي من الوقد و رؤيتكم فيها شفاء من الرمدو من قال إني أشتفي من هواكم فقد كذبوا لو مت فيه من الوجدو ما لي لا أملأ سرورا بقربكم و قد كنت مشتاقا إليكم على البعدتشابه سري في هواكم و ظاهري فأبدي الذي أخفي و أخفي الذي أبد

ثم قالت و أين سيدي محمد حتى يحدثنا بما يريد و نسمع ما يقول فقال العباس أنا آتيكم به إن شاء الله فنهض و سار يطلبه في الأبطح الأنوار ص : 251فلم يجده فالتفت يمينا و شمالا فقال له رجل مكي يا سيدي أراك تلتفت يمينا و شمالا لمن تطلب قال أريد ابن أخي محمدا قال كان هنا منذ ساعة و توجه يطلب جبل حراء فسار العباس إلى الجبل في طلبه فوجده هناك نائما في مرقد إبراهيم الخليل ملتحفا ببردته و عند رأسه ثعبان مبين عظيم و في فمه طاقة من الريحان يروحه بها فلما نظر إليه العباس غشي عليه و قال ما أخوفني عليه من هذا الثعبان العظيم فسل سيفه و هم بقتله فحمل الثعبان عليه فرأى العباس الغلبة على نفسه فصاح يا ابن أخي أدركني ففتح النبي ص عينيه فذهب الثعبان كأن لم يكن شيئا فقال له النبي أرى سيفك مسلولا يا عم فقال لقد رأيت شيئا يشبه السحر و ما كان أبونا يعرفه و لا أنت أيضا تعرفه ثم قص عليه ذلك فقال العباس لما صحت بك و فتحت عينيك ذهب كأن لم يكن شيئا فأرعبني ذلك فتبسم النبي و قال لا بأس عليك يا عم ليس هو ثعبان و لا هو من هوام الأرض و إنما هو ملك من الملائكة من عند ربي موكل بحراستي و لقد رأيته مرارا و خاطبني جهارا و قال لي يا محمد أنا ملك من عند ربك موكل الأنوار ص : 252بحراستك في الليل و النهار من كيد الأعداء فقال العباس ما ينكر فضلك و قد وجدت لك مكانا تعمل فيه فتبسم النبي ص ضاحكا و قال أين يكون ذلك يا عم فقال عند خديجة تكون أمينا على أموالها تسير بها حيث شئت قال أريد الشام قال ذلك إليك قال فسار النبي مع عمه العباس إلى بيت خديجة و كان من عاداته إذا أراد زيارة قوم سبقه النور إليهم قال فسبقه النور إلى بيت خديجة قال فدعت عبدها ميسرة و قالت له ويحك كيف غفلت عن الخيمة حتى عبرت الشمس على المجلس فقال يا مولاتي ما غفلت عن الخيمة ثم خرج فلم يجد تغييرا في طنب و لا وتد و نظر إلى العباس فوجده قد أقبل و النبي معه فقال يا

مولاتي لم تتغير الخيمة و أوتادها و ما هذا نور الشمس و إنما هو نور محمد قد أقبل علينا قال فاستعدت للنظر إلى وجه محمد قال فلما دخل المنزل قام له أعمامه إجلالا له و أجلسوه في أوساطهم فلما استقر بهم الجلوس قدمت إليهم الطعام و ما يوجب العزة و الإكرام فأكلوا و شربوا فقالت خديجة من وراء الحجاب بصوت عذب و كلام رطب يا سيدي يا محمد أنست بك الديار الأنوار ص : 253و أضاءت بك الأقطار و أشرقت من طلعتك الأنوار ثم إنها فرحت فرحا شديدا و جعلت تنشد و تقول مرحبا بك يا محمد مرحبا مرحبا بك نور عيني مرحبامرحبا بك يا محمد مرحبا مرحبا يا نور مصباح الظلام لنزول صاحب البيت الحرام و سرور قلب المصطفى خير الأنام لنزور الهاشمي القرشي و صاحب الأبطح و زمزم و المقام صاحب الدين المكمل كامل كامل الأوصاف مصباح الظلام من نوره أشرقت شمس الضحى و البدر من وجهه أضا ثم استقام و الحصى سبح بكفه و الربى ثم زلال الماء مع طير الحمام من بين أصابع النبي العربي صاحب البرهان و آيات كرام ليلة المعراج ربي أيده و معه جبريل قدامه إمام قد ركب ظهر البراق الهاشمي و ارتقى سبع السماوات تمام هللت أهل السماوات العلى و التقوه بالتحية و السلام قد سعوا نحوه و جدوا لخدمته أشاروا إليه قم فصل يا إمام قام صلى المصطفى باهل السما و التقى الآيات منر ب الأنام

الأنوار ص : 254قال اطلب ما تشا مني تجد قال تعفو لامتي يوم الزحام قال أبشر يا محمد بالرضا أمتك أدخلها دار السلام قد بلغ قصده النبي العربي و رجع من عند ربه لا ينام في بعثه أني بشير لكم أن تصلوا و تصوموا بالتمام و أن تزكوا من طعام الطيب و تحجوا البيت عاما بعد عام قالت الكفار هذا ما جرى كل ذلك صار في رقدة منام قال لا قم إن كنت مثلي مستهام فبلغ الأخبار و الناس نيام ما ينام الليل منه عاقل كل ذي نوم على العاقل حرام و صلاة الله تغشى أحمد ثم البتولة و حسينا و الإمام

ثم قالت خديجة أ ترضى أن تكون أمينا على أموالي تسير بها حيث شئت قال نعم رضيت و لكن أريد للشام قالت نعم إني راضية بذلك و إني قد جعلت لمن يسير بأموالي مائة ناقة و مائة أوقية من الذهب و مثلها من الفضة و جملين و راحلتين فهل أنت راض فقال أبو طالب رضي بذلك و إنه يا خديجة مكين أمين و أنت إليه محتاجة لأنه من خير خلق الله و من يوم خلقه الله ما وقف له الأنوار ص : 255العرب على صبوة أبدا فقالت خديجة يا سيدي تحسن أن تشد على الجمال و ترفع عليها الأحمال قال نعم قالت يا ميسرة ائتني ببعير حتى أنظر كيف يشد عليه سيدي محمد فخرج ميسرة و أتى ببعير شديد البأس قوي المراس لم يجسر أحد من الرعاة أن يشد عليه و يخرجه من بين الإبل فقال العباس ما كان عندك أهون من البعير تريدين تمتحنين به محمدا فقال النبي ص دعه يا عم فلما سمع البعير كلام البشير النذير و السراج المنير برك على قدميه و جعل يمرغ خده و وجهه على أقدام محمد ص و يقبلهما و نطق بلسان فصيح و قال من مثلي و قد لمس ظهري سيد الأولين و الآخرين قال فتقطعن

النساء اللاتي كن عند خديجة و قلن ما هذا إلا سحر عظيم قد أحكمه هذا اليتيم فقالت خديجة و الله ما هذا سحر و إنما هو آيات بينات و كرامات ظاهرات ليست خفيات و معجزات واضحات ثم إن خديجة جعلت تقول

نطق البعير بفضل أحمد مخبرا هذا الذي شرفت به أم القرى يا حاسدين تمزقوا في غيظكم فهو الشفيع و خير من وطئ الثرى هذا محمد خير مبعوث أتى فهو الحبيب و لا سواه في الورى

الأنوار ص : 256قال صاحب الحديث فخرجوا أولاد عبد المطلب و أخذوا في أهبة السفر و إصلاح شأنهم فالتفتت خديجة إلى النبي و قالت سيدي ما عندك ثياب غير هذه الثياب فإنها لا تصلح للسفر فقال ما عند محمد إلا ما عليه قال فبكت خديجة و قالت يعز علي ذلك يا سيدي عندي ثياب للسفر غير أنهن طوال فتمهل حتى أقصرهن عليك فقال هلمي إلي بها و لا تتعبي فيها و كان النبي إذا لبس الثوب القصير يطول و إذا لبس الثوب الطويل يقصر كأنه قد فصل عليه قال فأخرجت له خديجة ثوبين من قباطي مصر و جبة عدنية و بردة يمانية و عمامة شريت من العراق بحاشيتين من حرير و خفين من الأديم و قضيب خيزران فلبس النبي ص الثياب و خرج كأنه البدر إذا تجلى من الغمام قال فلما نظرت خديجة جعلت تنشد بهذه الأبيات و تقول

أعطيت من شرف الجنان فنونا و لقد فتنت به القلوب فتوناقد كونت للحسن فيك جواهر فيها دعيت الجوهر المكنونايا من أعار الضبي في فلواته بالحسن جيدا ساميا و جفونا

الأنوار ص : 257انظر إلى الجسم النحيل و كيف قد أجريت من دمع العيون عيوناأسهرت عيني في هواك صبابة و ملأت قلبي لوعة و جنونا

ثم إنها قالت يا سيدي عندك ما تركب عليه فقال إذا تعبت أي جمل لحقته ركبت عليه قالت فما الذي يحملني على تعبك لا كانت الأموال دونك يا محمد يا قرة العين ثم قالت لعبدها ميسرة ائتني بناقتي الصهباء حتى يركبها حبيبي محمد فعندها غاب ميسرة ساعة و أقبل بها و هي تفوق على الوصف و تسبق الطرف هيفاء ضامرة تستبشر بالفلا و تقنع بالقليل من الكلا لم يلحقها في سيرها تعب و لا في جريها نصب كأنها قبة منصوبة أو خيمة مضروبة مليحة الرأس و القوائم و الذنب و هي كما قال الشاعر أفلح من يصلي

من كل مهتكة السنام كأنها نسر تطير إذا شددت وثاقهاتطوي الفيافي و الفلا في سيرها طورا و تنفخ في الثرى أشداقهافالبرق يحسدها لشدة سيرها و الريح حقا لا تطيق لحاقها

قال ثم إنها التفتت إلى عبديها ميسرة و ناصح و قالت لهما اعلما بأني قد جعلت محمدا أمينا على أموالي و لا لأحد عليه يد و هو الأنوار ص : 258الأمين و الأمير و صاحب المال و أنتم عبيده و إن

أمركما بالبيع فبيعا و إن منعكما فامتنعا و ليكن كلامكما له بلطف و أدب و لا يعلو كلامكما على كلامه فقالا و الله يا سيدتنا إن لمحمد في قلوبنا محبة عظيمة و الآن قد تضاعفت لمحبتك له قال ثم إن النبي ص ودع خديجة و ركب ناقته و خرج ميسرة و ناصح بين يديه و عين الله ناظره إليه فعند ذلك تمثلت خديجة و جعلت تقول

قلب المحب إلى المحبوب مجذوب و جسمه بيد الأسقام منهوب و قائل كيف طعم الحب قلت له الحب عذب و لكن فيه تعذيب أفدي الذين على خدي لبعدهم دمي و دمعي مسفوح و مسكوب ما في الخيام و قد سارت جمالهم إلا محب له في الركب محبوب كأنما يوسف في كل راحلة و الحزن في كل بيت فيه يعقوب

قال ثم إن النبي ص قام من وقته و ساعته يجد السير إلى أن وصل إلى الأبطح فرأى الناس مجتمعين و لقدومه منتظرين فلما نظروا إلى جمال سيد المرسلين و قد فاق على الخلق أجمعين فرح المحبون و اغتم الحاسدون و زادت عقيدة من سبقت له نوع السعادة الأنوار ص : 259من المؤمنين و ظهر الحسد و الكمد ممن سبقت له الشقاوة من المكذبين فلما نظر العباس إليه و إلى ذلك الجمال جعل يتمثل بهذين البيتين أفلح من يصلي على الرسول و آله

يا مخجل الشمس و البدر المنير إذا تبسم الثغر لمع البرق منه أضاكم معجزات رأينا منك قد ظهرت يا سيدا ذكره تشفي به المرضى

قال فنظر النبي إلى أموال خديجة على الأرض و لم يحمل منها شي ء فزعق على العبيد و قال لهم ما الذي أخركم عن شد رحالكم قالوا يا سيدنا لقلة عددنا و كثرة أموالنا قال الراوي فأبرك النبي راحلته و نزل و شد أذياله بمنطقته و صار يزعق بالبعير فيقوم بإذن الله تعالى فتعجب الناس من فعله فنظر العباس إلى النبي ص و قد احمرت وجناته من العرق و قد تكلل جبينه كاللؤلؤ الرطب فقال كيف أخلي هذا الوجه المنير بحر الشمس ثم عمد إلى خشبة و اتخذ منها جحفة يظلل بها محمدا ص من حر الشمس فارتجت الأقطار و تجلى الملك الجبار و أمر الأمين جبرئيل أن يهبط إلى رضوان خازن الجنان و يقول له أخرج الغمامة التي خلقتها لمحمد قبل أن الأنوار ص : 260أخلق آدم بألفي عام و انشرها فأخذها جبرئيل و هبط بها إلى محمد ص قال فلما رأوها و عاينوها شخصت نحوها الأبصار فقال العباس و الله إن لمحمد حرمة عظيمة عند ربه و لقد استغنى عن جحفتي ثم إنه جعل يقول

وقف الهوى بي حيث كنت فليس لي متقدم عنكم و لا متأخر

قال ثم سار القوم حتى وصلوا جحفة الوداع فحطوا رحالهم حتى لحق بهم المتأخرون فقال مطعم بن عدي يا قوم إنكم سائرون إلى مهمهة و أوعار و لا بد لكم من رجل مقدم عليكم تستشيرونه و ترجعون إلى رأيه و أمره عن المنازعة و المخالفة فقالوا نعم ما أشرت به علينا فقالت بنو مخزوم نحن نقدم علينا

أميرنا مطعم بن عدي و قالت بنو نظير نحن نقدم علينا النذير بن الحارث و قالت بنو زهرة نحن نقدم علينا تيم بن الحجاج و قالت بنو لؤي نحن نقدم علينا أبا سفيان بن صخر فقال ميسرة و الله ما يتقدم علينا إلا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم فقال أبو جهل لئن قدمتم محمدا

الأنوار ص : 261 لأضعن هذا السيف في بطني و أخرجه من ظهري قال فقبض الحمزة على سيفه و قال يا وغد الرجال و نذل الفعال لئن لم تمسك عن كلامك و إلا لآخذن ما بين كتفيك فقال النبي دعه يا عم و اغمد سيفك و لا تستفتح السفر بالشر دعهم يسيرون أول النهار و نحن نسير آخر فسار أبو جهل بمن يلوذ به و اغتنم الفرصة و جعل يقول

لقد ضلت حلوم بني قصي و قد عزموا بتسديد اليتيم و راموا للرئاسة غير كفؤ و كيف يكون ذا الأمر العظيم و إني فيهم ليث حمي بمصقول و لي جد كريم فلو قصدوا عبيدا ثم ضيغم و صخر الحرب ذو الشرف القديم لكنا راضين بهم و كنا لهم تبعا بلا خلف ذميم و نضرب دونهم مجردات غداة الحرب بالرمح القويم

قال فلما سمع العباس كلام أبي جهل أنشأ يقول

يا أيها الوغد الذي رام ثلبنا أ تثلب قرما في الرجال قديم أ تثلب يا ويك الكريم أخ التقى حبيب إله العالمين عظيم فلو لا رجال قد عرفنا محلهم و هم عندنا في محتد و قديم

الأنوار ص : 262لدارت سيوف تفلق الهام حدها بأيدي رجال كالليوث تقيم حماة كماة كالليوث ضراغم إذا برزوا كل تراه زعيم

قال ثم إن القوم ساروا إلى أن بعدوا عن مكة فنزلوا بوادي يقال له وادي المياه و كان مجمع السيل و أنهار الشام فنزل القوم و حطوا رحالهم و أخذوا راحتهم و إذا هم بالسحاب قد أقبل فقال النبي ص إني أخشى على أهل هذا الوادي أن يدهمهم الغيم فيذهب بأموالهم و الرأي عندي أن نستند إلى الجبل مخافة السيل فقال العباس نعم ما أشرت به علينا ففعلوا ذلك إلا رجلا من بني جمح يقال له مصعب بن عدي و كان له مال كثير فأبى أن يتغير عن مكانه و قال يا قوم ما أضعف قلوبكم تتهزمون من شي ء لم تعاينوه قال فما استتم كلامه إلا و قد ترادف السحاب و نزل الغيث و تكاثر المطر و سال السيل و امتلأ الوادي من الجانب إلى الجانب و أصبح ذلك الجمحي و أمواله كأن لم يكن شيئا قال و أقام القوم في ذلك الوادي أربعة أيام و السيل يزداد و لا ينقطع فقال أبو جهل لقد أضر بنا المقام و يفرغ الزاد الذي عندنا و السيل لا ينقطع بل يزداد و الرأي الأنوار ص : 263عندي أن نرجع إلى مكة فلم يلتفت إليه النبي و لا إلى قوله ثم نام فرأى في منامه ملكا يقول يا محمد لا تخف و لا تحزن فإذا كان غداة غد تأمر قومك بالرحيل و تقف على شفير الوادي فإذا رأيت الطير الأبيض قد خط بجناحه خطا فاتبع الخط

و أنت تقول بسم الله و بالله و أمر قومك أن يقولوا هذه الكلمة فمن قالها نجا و من تخلف عنها غرق قال فاستيقظ النبي ص فرحا مسرورا ثم أمر ميسرة أن ينادي بالناس بالرحيل و شد ميسرة رحاله فقال الناس يا ميسرة كيف نسير و هذا الماء لا تقطعه إلا السفن لشدة جريانه فقال ميسرة أما أنا فقد أمرني محمد ص و أنا لا أخالفه فقال القوم و نحن أيضا لا نخالفه قال فبادر جميع القوم طائعين و لأمره ممتثلين فتقدم النبي و وقف هو و القوم على شفير الوادي و إذا بالطير الأبيض قد أقبل من دورة الجبل و خط بجناحه خطا أبيض مثل النور يلمع فاتبع الخط و هو يقول بسم الله و بالله فلم يصل الماء إلى نصف ساقه فنادى و قال

أيها الناس لا يدخل أحد منكم الماء حتى يقول بسم الله و بالله فمن قالها سلم و غنم و من حاد عنها غرق و هجم الأنوار ص : 264قال فاقتحم الناس الماء و هم يقولون بسم الله و بالله و كان قد تخلف منهم رجلان واحد من بني جمح و الآخر من بني عدي فقال العدوي بسم الله و الله و قال الجمحي بسم اللات و العزى و الهبل الأعلى فسلم العدوي هو و أمواله و غرق الجمحي هو و أمواله فقال القوم للعدوي و أين صاحبك أ غرق فقال عوج لسانه و خالف محمدا ص و غرق فاغتم أبو جهل و قومه لذلك غما شديدا و قالوا ما هذا إلا سحر عظيم قد أحكمه هذا اليتيم فقال له بعض أصحابه ما هذا سحر يا ابن هشام و الله ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء بأفضل من محمد المصطفى فلم يرد عليهم جوابا قال و سار القوم فرحين مسرورين فبينما هم سائرين إذ وقف بكران من خيار الإبل فلم يطقا النهوض فخاف ميسرة فجعل يسير حتى لحق بالنبي فناداه يا أبا القاسم أنه قد وقف علي بكران من الإبل قال فرجع النبي حتى وقف عليهما فوضع يده على أخفافهما و صاح عليهما فنهضا يعدوان فتعجب القوم من ذلك فقال أبو جهل لقد تعاظم سحر هذا اليتيم فهل لنا أن نوقعه في شي ء نهلكه فيه و نستريح منه قالوا و ما عزمت عليه قال عزمت على

الأنوار ص : 265 أن أمضي إليه و أخبره بخبر هذا الفحل الذي في هذا الوادي يقال له لجي جمل فإن فيه فحل من الإبل عظيم الخلقة لا يرى شيئا إلا أهلكه فأخبره بمكانه فلعله يداخله فيه الطمع فيمضي إليه وحده فإذا دخل الوادي وحده أهلكه و استرحنا منه قال الراوي و كان ذلك الوادي عند العرب و كانت القوافل إذا بلغت ذلك الوادي جردوا سيوفهم و أخذوا حذرهم و لا يخرجون من ذلك الوادي إلا بعد الإياس فقال أبو جهل أنا ذاهب إلى محمد فأقبل يحادثه و يقول ذهب عنا كل خوف و حزن فما بقي علينا شي ء نخافه إلا شي ء واحد فقال النبي ص و ما ذلك يا ابن هشام قال أبو جهل إن بين أيدينا واد كثير الدغل و الوعر و الوحل يقال له لجي جمل فيه فحل من الإبل لا يمر به جمع إلا قتله فلو أنك تتقدم أمامنا فلعلك تكفينا شره و تكون لك علينا يدا كبيرة فقال النبي و أين يكون ذلك الوادي قال

هو أمامك قال فسر معي حتى تعلمني به فجعل أبو جهل يسير حتى قرب من الوادي فقال النبي هذا الوادي قال نعم فحرك النبي زمام ناقته و سار حتى اقتحم الوادي ففرح أبو جهل و قال لقومه يا بني مخزوم إن محمدا قد اقتحم الوادي الأنوار ص : 266فو حق اللات و العزى و الهبل الأعلى لا يخرج أبدا و لا رأيتموه قال ناقل الحديث فسار النبي ص فلما أحس به الفحل خرج إليه من الشجر و هو يهدر و يزمجر و يزبد و يرعد و يشخر و ينخر و قد احمرت عيناه و رافع ذيله و قد بدت أنيابه كأنها أسنة الرماح فلما رآه النبي قد أقبل انحدر عن ناقته و تركها و وقف إلى جانبه فلما رآه الفحل وقف في موضعه و رفع رأسه إليه و نطق بلسان فصيح و قال السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا شفيع المذنبين السلام عليك يا خيرة الله من الخلق أجمعين من الأولين و الآخرين فقال النبي اسكن أيها الفحل فلا بأس عليك ثم دنا منه و مد يده على رأسه و عنقه و سنامه فجعل يقبل النبي فصار كالكلب

الأليف فركبه النبي و جذب ناقته من ورائه و حثها و انتهى راجعا إلى قومه و هم يسيرون حتى أشرفوا على الوادي فصاح بعضهم ببعض يا قوم خذوا حذركم و جردوا سيوفكم ثم إن ميسرة فقد النبي فلم يره فظن أنه عند عمه العباس فأقبل ميسرة على العباس و قال له أين ابن أخيك فإني لم أره و لا أدري الأنوار ص : 267أين هو و أين مضى فقال العباس إن سفهاء مكة قد اغتالوه فسار في طلبه و قال معاشر الناس أيكم رأى ابن أخي محمدا فقال أبو جهل و هو كالمتشمت إنه قد سبقنا إلى هذا الوادي و إذا بالنبي ص قد أقبل راكبا على الفحل فلما رآه العباس قال يا قوم إن الفحل الذي كنتم تخافونه قد أتى و محمد راكب عليه ففرحت بنو هاشم فرحا شديدا فقال أبو جهل ما الخبر قالوا يا ابن هشام هذا محمد راكب على الفحل بجنب ناقته فقال أبو جهل إن هذا لسحر عظيم فسمعه حمزة فغضب غضبا شديدا و قال يا أبا جهل يا خبيث ما أكثر عداوتك لابن أخي محمد أ تزعم أنه ساحر تقول سحر الماء حتى عبرنا عليه و عبر ناقته فو حق هاشم و عبد المطلب لو لا ما بيننا و بينك من المصاهرة لعلوتك بهذا السيف ثم رفع السيف ليعلو به أبا جهل قال فوثب العباس و أخذ السيف منه و زبر أبا جهل و انتهره فغضبت بنو مخزوم و كادت الفتنة أن تثور بينهم فأقبل النبي ص و نزل عن الفحل و قال أيها الفحل عد إلى مكانك و إلى أهلك فعاد الفحل راجعا و له رغاء شديد حتى غاب عن أعين الناس فتعجبت قريش

الأنوار ص : 268 من ذلك و ساروا حتى نزلوا على بئر كان في الطريق و كانت العرب تنزل عليه في طريق الشام فحطوا رحالهم و سقوا دوابهم و أخذوا راحتهم فقال أبو جهل يا قوم إني أجد في نفسي غبنا عظيما إن رجع محمد من سفره هذا سالما ليعلو أمره و لقد عزمت على قتله و لكن كيف الحيلة فيه و

هو ينظر من ورائه كما ينظر من أمامه و سوف أفعل و ترونه ثم ملأ حجره رملا و حجارة و جاء إلى البئر و رماه فيه فقال له أصحابه لم تفعل يا ابن هشام قال أريد أن أدفن هذا البئر حتى إذا جاء ركب بني هاشم يقدمهم محمد فلم يجدوا ماء فيموتوا عطشا عن آخرهم فتبادر قومه بالرمل و الحصى فلم يتركوا للبئر أثرا فقال أبو جهل الآن اشتفى قلبي و بلغت مرادي ثم التفت إلى عبد له اسمه فلاح و قال خذ معك القربة و الزاد و أخف نفسك في هذا الجبل فإذا أقبل ركب بني هاشم يقدمهم محمد فلم يجدوا للبئر أثرا ثم هلكوا من العطش و ماتوا عن آخرهم فأقبل إلي مسرعا و بشرني فإذا بشرتني بهذه البشارة عتقتك و زوجتك بمن تريد فقال حبا و كرامة ثم سار أبو جهل في أول الركب و تأخر الأنوار ص : 269العبد كما أمره مولاه و إذا بركب بني هاشم قد أقبلوا يقدمهم النبي قال فبادروا إلى البئر فلم يجدوا له أثرا و قد ازورت منهم الحدق و جرى منهم العرق و أيقنوا بالهلاك فشكوا ذلك للنبي ص فقال هل يوجد موضع يعرف بالماء قالوا نعم بئر و قد ردم بالرمل و الحصى قال فمشى النبي ص حتى وقف على شفير البئر و رفع طرفه إلى السماء و نادى يا عظيم الأسماء و يا باسط الأرض على الماء و يا رافع السماء يا رب قد أضر بنا الظمأ فاسقنا الماء برحمتك يا أرحم الراحمين قال فما استتم كلامه إلا و الحجارة قد تصلصلت و عين الماء قد نبعت و تفجرت و جرى الماء من تحت قدميه فسقى القوم دوابهم و ملئوا قربهم و أخذوا راحتهم فسار العبد و لحق مولاه و قال ما وراءك يا فلاح فقال و الله ما أفلح من عادى محمدا و حدثه بما عاين فامتلأ

أبو جهل غيظا و حنقا ثم قال للعبد غب عن وجهي فلا أفلحت أبدا ثم ساروا حتى نزلوا واديا من أودية الشام يقال له رشان و كان كثير الأشجار إذ خرج عليهم منه ثعبان عظيم كأنه النخلة السحوق ففتح فاه و عينيه و زفر حتى خرج من عينيه الشرار فجفلت منه ناقة
الأنوار ص : 270 أبي جهل و لعبت بيديها و رجليها و رمت أبا جهل من عليها و كسرت أضلاعه و غشي عليه فلما أفاق من غشوته قال لعبيده تنحوا عن الطريق فإذا جاء ركب بني هاشم يقدمهم محمد فترى ناقته الثعبان فعسى أن ترميه إلى الأرض فيموت و لا يعيش أبدا ففعلوا ما أمرهم به سيدهم أبو جهل و تنحوا الطريق و إذا بركب بني هاشم قد أقبل يقدمهم محمد ص فنظر النبي إلى أبي جهل و قومه قد تنحوا عن الطريق فقال يا ابن هشام أراكم قد نزلتم في وقت ما هو وقت نزول فقال أبو جهل يا محمد و الله إني استحيت أن أتقدم عليك و أنت سيد أهل الصفا و أعلاهم حسبا و نسبا فتقدم فلعن الله من يتقدم عليك ففرح العباس و أراد أن يتقدم فقال له النبي قف يا عم دعني أتقدم أنا فما قدموك سؤددا و إنما هي مكيدة قال فتقدم النبي أمامه و دخل ذلك الشعب و إذا بالثعبان قد ظهر كأول مرة فجفلت منه ناقة النبي و قال لها ويحك كيف تخافين و قد ركبك سيد المرسلين و خاتم النبيين ثم التفت إلى

الثعبان و قال له ارجع من حيث أتيت و لا تتعرض لأحد من الركبان فإني محمد رسول الله و إلا شكوتك

الأنوار ص : 271 إلى إله السماء فنطق الثعبان بقدرة الله تعالى و قال السلام عليك يا محمد يا سيدي فقال النبي السلام على من اتبع الهدى و خشي عواقب الردى و أطاع الملك الأعلى فقال الثعبان يا محمد ما أنا من هوام الأرض و إنما أنا ملك من ملوك الجن و اسمي الهام بن الهيم آمنت على يد أبيك إبراهيم الخليل و سألته الشفاعة فقال هي لولدي يظهر من نسلي يقال له محمد بن عبد الله و أوعدني أن اجتمع أنا و أنت في هذا المكان و لقد طال بي الانتظار و لقد شاهدت عيسى ابن مريم في الليلة التي عرج به إلى السماء و هو يوصي الحواريين باتباعك و الدخول في ملتك و الآن قد جمع الله شملي بك فلا تنساني من الشفاعة يا مولاي فقال النبي لك ذلك مني فعد من حيث أتيت إلى موضعك و لا تتعرض لأحد من الركب قال فعاد الثعبان من حيث أتى فلما نظر القوم إلى خطاب الثعبان مع محمد ص تعجبوا من ذلك فمنهم من ازداد يقينا و فرح أعمام النبي و منهم من ازداد غيظا و حنقا و افتخرت بنو هاشم ثم إن العباس بعد ذلك يقول

يا قاصدا نحو الحطيم و زمزم بلغ فضائل أحمد المتكرم

الأنوار ص : 272و اشرح لهم ما عاينت عيناك من فضل لأحمد و السحاب المركم قد بانت الآيات في السيل الذي ملأ الفجاج بسيله المتراكم و نجا الذي لم يخطر قول محمد و هوى المخالف وسط قعر جهنم و البئر لما أن أضر بنا الظمأ فدعا الحبيب إلى الإله المنعم فاضت عيون ثم سالت أنهر و غدا الحسود بحسرة و تغمغم و الهام ابن الهيم لما أن رأى خير البرية جاء كالمستسلم ناداه أحمد فاستجاب ملبيا و شكا المحبة كالكئيب المغرم من عهد إبراهيم ضل مكانه يرجو الشفاعة خوف نار جهنم من ذا يقاس بأحمد بالفضل من كل البرية من فصيح و أعجم و به توسل في الخطيئة آدم فليعلم الأخبار من لا يعلم

فلما فرغ العباس من شعره أجابه الزبير ينشد و يقول

يا للرجال ذوي البصائر و النظر قوموا انظروا أمرا مهولا قد خطرهذا بيان صادق في عصرنا من سيد عالي المراتب مفتخرآياته قد أعجزت كل الورى هيهات يحصى عدها أو يحصرمنها الغمام تظله مهما مشى فمتى يسير تظله و إذا حضر

الأنوار ص : 273و كذلك الوادي أتى مترادفا بالسيل يسحب للرمال و للحجرفنجى الذي قد طاع قول محمد و هوى المخالف مستقرا في سقرو البئر فاضت بالمياه و أقبلت تجري على وجه الثرى مثل النهرو الهام فيه عبارة و دلالة لذوي العقول و ذوي الفكر كاد الحسود يذوب لما عاينت عيناه من فضل لأحمد قد

ظهريا للرجال ألا انظروا أنواره تعلو على نور الغزالة و القمرالله فضل أحمد و اختاره و لقد أذل عدوه ثم احتقر

فلما فرغ من شعره أجابه الحمزة بن عبد المطلب

ما نالت الحساد منك مرادهم طلبوا نقوص الحال فيك فزاداكادوا و ما خافوا عواقب كيدهم و الكيد مرجعه على من كاداما كل من طلب السعادة نالها بمكيدة أو أن يروم عناداياحاسدين تمزقوا في غيظكم حسدا يقطع منكم الأكبادافالله فضل أحمد و اختاره و بمكة جمع الورى و بلاداو ليملأن الأرض من إيمانه و ليهدين عن الغوى من حادا

قال صاحب الحديث فشكرهم النبي على كلامهم و ساروا الأنوار ص : 274حتى نزلوا بواد كانت العرب يتعاهدونه للنزول و كان معدن السيل فنزلوا فيه فلم يجدوا للماء فيه أثرا فشكوا ذلك إلى النبي ص فقام و شمر عن ذراعيه و غمس كفيه المباركة في الرمل و رمق بطرفه إلى السماء و هو يحرك شفتيه فنبع الماء من بين يديه و أصابعه و جرى الماء على وجه الأرض أنهارا فقال العباس أمسك يا ابن أخي فقد كاد الماء أن يغرق رحالنا ثم إنهم شربوا و سقوا دوابهم و خيولهم و أخذوا راحتهم فقال النبي لعمه العباس يا عم هل معك شي ء من التمر فقال نعم يا ابن أخي ثم أتاه بقليل من التمر فأكل و كان يأكل التمر و يبل النوى بريقه ثم يغمسه في الأرض فقال له العباس لم تصنع ذلك قال يا عم إني أغرسها نخلا فقال العباس يا ابن أخي فمتى تطعم فقال النبي ص الساعة تأكل منها و تتزود منها إن شاء الله فقال العباس يا ابن أخي إن النخلة إذا غرست و أسرعت ما تثمر إلا بعد خمس سنين فقال النبي الساعة ترون من آيات ربي الكبرى ثم إنهم ساروا حتى تباعدوا عن الوادي التفت النبي ص إلى العباس و قال يا عم ارجع إلى موضع النخلات و اجمع لنا ما نأكل فإنها قد الأنوار ص : 275كبرت و انتشرت و أثمرت فرجع العباس فوجد النخلات قد كبرت و تمايلت أغصانها و أزهرت فأوقر ناقته منها و لحق بالنبي و صار يأكل من الرطب و يطعم القوم فصاروا متعجبين من ذلك فقال أبو جهل يا قوم لا تأكلوا مما صنعه هذا الساحر فعند ذلك أجابه قومه و قالوا يا ابن هشام أقصر عن الكلام فما هذا ساحر فعندها سكت و لم يرد جوابا ثم ساروا حتى وصلوا عقبة وائلة و كان فيها ديرا و هو مملوء رهبانا و كان فيهم راهب يعملون برأيه و يرجعون إلى قوله و اسمه الفيلق بن اليونان بن عبد الصليب و كان يكنى بأبي بحيرة الراهب و كان قد قرأ كتب الأنبياء و عنده سفر فيه صفات النبي ص من عهد عيسى ابن مريم و كان إذا قرأ الإنجيل على الرهبان و وصل إلى

صفات النبي لا زال يبكي و يقول يا أولادي متى تبشروني بقدوم النذير و السراج المنير المبعوث من تهامة المتوج بالكرامة المظلل بالغمامة الشفيع للعصاة في يوم القيامة ثم بكى و دام على ذلك زمانا

طويلا و هو على هذا الحال فقال له أولاده و الرهبان يا أبانا إنك قد قتلت نفسك بالبكاء على الذي تذكره فعسى أن الأنوار ص : 276يكون قرب أوانه فقال إي و الله لقد ظهر بالبيت الحرام و دينه عند الله الإسلام فما يبشروني بقدومه إلا أسفار تأتي من أرض الحجاز تظلله الغمامة و كان الراهب قد ابيضت عيناه من البكاء و النحيب ثم أنشأ يقول

لئن نظرت عيني جمال أحبتي وهبت بشير الوصل ما ملكت يدي و ملكته روحي و مالي و غيرها و هذا قليل في محبة أحمدسألت إلهي أن يمن بقربه و يجمع شملي بالنبي محمد

قال صاحب الحديث و ما زال الراهب كلما ذكر الحبيب أكثر النحيب و كثر منه البكاء إلى أن خلا منه النظر و زاده الفكر فعند ذلك أشرف بعض الرهبان فرأى الركب قد أقبل من الفلا و قد أشرقت الأنوار من جبين النبي المختار و قد تلألأت منه الأقطار فنظر إلى النور قد أشرق و علا يقدمهم نور محمد ص سيد الأمم و قد نشرت على رأسه الغمامة فقالوا يا أبانا هذا ركب من الحجاز قد أقبل فقال يا أولادي و كم ركب قد أتى و أنا أعلل نفسي و مهجتي فلعل و عسى أن أحظى به فقالوا يا أبانا نرى نورا الأنوار ص : 277قد علا فقال لهم رأيتم النور الذي في القافلة قالوا نعم قال الآن ذهب الشقاء و زال العناء ثم رفع رأسه إلى السماء و قال إلهي و سيدي و مولاي بحق هذا المحبوب الذي زاد فيه تفكري إلا ما رددت علي بصري قال فما استتم كلامه و دعاءه حتى أجابه الله و رد عليه بصره فقال الراهب للرهبان كيف رأيتم النور نور المحبوب عند القريب المجيب علام الغيوب ثم إنه أنشأ و جعل يقول

بدا النور من وجه الحبيب فأشرقا و أحيا محبا بالصبابة موثقاو أبرى عيونا قد عمين من البكا و أصبح من رق الضلالة معتقافهل أن ترى عيناي غرة وجهه و أصبح من سوء المكاره مطلقا

قال ثم إنه صاح بأولاده و قال لهم يا أولادي إن كان هذا النبي المنعوت في الكتب و المبعوث في هذا الزمان في هذا الركب فإنه ينزل تحت هذه الشجرة اليابسة فإذا نزل تحتها فإنها تخضر و تثمر الأنوار ص : 278و يجلس تحتها و قد جلس تحتها عدة من الأنبياء و إنها من عهد عيسى ابن مريم يابسة لم تخضر و هذه البئر لها عدة سنين لم يكن فيها ماء فإنه قد يأتي إليه و يشرب منه قال فما كان إلا ساعة و إذا بالركب قد أقبل و نزلوا حول البئر و حطوا الأحمال عن الجمال و كان النبي يحب الخلوة بنفسه فأقبل حتى نزل تحت الشجرة فاخضرت و أثمرت من وقتها و ساعتها فلما استقر بهم الجلوس قام النبي و مشى إلى البئر و نظر إليها و استحسن عمارتها و تفل فيها فتفجرت منها عيون و نبع منها ماء معين قال فلما رأى الراهب ذلك قال يا أولادي هذا هو المطلوب بادروا إلى صنع الولائم من الطعام لتتشرفوا بسيد الأنام محمد و آله الكرام فإنه سيد بني عدنان لنأخذ منه الذمة لسائر الرهبان قال فبادر القوم لأمره طائعين و لكلامه سامعين و صنعوا الولائم الفاخرة التي لا تصلح إلا للملوك و الأكاسرة فعندها قال الراهب لكبير الرهبان انزلوا إلى أمير هذا الركب و المقدم عليهم و قولوا له إن أبانا يقرئك

السلام و يقول لك قد صنع لك وليمة و يسألك أن تحضرها و تجيب دعوته و تأكل من الأنوار ص : 279وليمته قال فنزل بعض الرهبان فما رأى أحسن من أبي جهل تجملا و لم ير النبي لأنه كان تحت الشجرة فأخبر أبا جهل بمقالة الراهب فنادى في العرب أن هذا الراهب قد صنع وليمة لأجلي فأريد أن تجيبوا عزيمته و تأكلوا وليمته فقال القوم و من نترك عند أموالنا و متاعنا فقال أبو جهل و الله ما فينا آمن من محمد فسيروا إليه و اسألوه أن يحفظ

لكم متاعكم فإنه الصادق الأمين و فيه قال الشاعر
و مناقب شهد العدو بفضلها و الفضل ما تشهد به الأعداء
فساروا إلى النبي و سألوه أن يجلس عند متاعهم فرضي بذلك و ساروا و أمامهم أبو جهل بن هشام و قد أعجب بنفسه فلما دخلوا الدير أحضر الراهب لهم الطعام و ناداهم بالرحب و الإكرام فأخذوا في الأكل و الشرب فأخذ الراهب السفر في يده و جعل ينظر فيه و يدور عليهم رجلا بعد رجل فلم يجد فيهم صفات النبي قال فرمى القلنسوة عن رأسه و نادى وا خيبتاه وا طول تعباه ثم إنه بعد ذلك جعل يقول
يا أهل نجد تقضى العمر بالأسف منكم و قلبي لم يبلغ أمانيه
الأنوار ص : 280يا ضيعة العمر لا وصل أفوز به من قربكم و لا من وعد أرجيه

قال الراوي فعندها قال الراهب يا سادات العرب هل بقي أحد منكم لم يحضر وليمتي قال أبو جهل و رب الكعبة ما تخلف منا إلا صبي صغير السن أجير لبعض نساء أهل مكة يرعى الجمال قال الناقل فما أتم كلامه إلا و هم به الحمزة و ضربه على وجهه ضربة ألقاه على وجه الأرض و قال يا وغد الرجال و يا شين الفعال و يا بادي الجهل و يا ضعيف العقل هذا عوض ما قلت من الكلام لم لا قلت تأخر منا البشير النذير و السراج المنير و ما تركناه عند متاعنا إلا لأجل أمانته و صيانته و ما فينا أحد مثله ثم التفت الحمزة إلى الراهب و قال له أرني هذا السفر و أخبرني بما فيه من صفات النبي فقال الراهب يا سيدي إن هذا السفر فيه صفات النبي قال و ما صفاته قال لا بالطويل الشاهق و لا بالقصير اللاصق معتدل القامة بين كتفيه علامة تظلله الغمامة يبعث من تهامة شفيع العصاة يوم القيامة قال العباس إذا رأيته تعرفه قال نعم قال العباس سر إلى تلك الشجرة فإن صاحب هذه الصفات جالس تحتها فخرج الراهب من الدير يهرول في خطوته الأنوار ص : 281حتى وصل إلى النبي ص فلما رآه النبي مقبلا نهض قائما لا متكبرا و لا متجبرا ثم قال له مرحبا بالفيلق بن اليونان فقال له الراهب السلام عليك يا سيد بني عدنان فقال له النبي و عليك السلام يا أبا الفتيان و يا أبا الرهبان و يا ابن اليونان بن عبد الصليب فقال الراهب من أعلمك بأبي الفيلق بن اليونان بن عبد الصليب قال النبي الذي أعلمني أعلمك بأني أبعث في آخر الزمان قال فانكب الراهب على رجليه و يديه و هو يقول يا سيد البشر لعلك تجيب

دعوتي و تأكل من وليمتي لتحصل لنا بك الكرامة و نفوز بمحبتك يوم القيامة فقال النبي ص من الذي أخبرك بأني أبعث في آخر الزمان بالأمر العجيب قال يا سيدي عندي سفر فيه صفاتك و ما يجري عليك من جهال قومك و ذلك من عهد عيسى ابن مريم ع ثم انكب على قدميه يقبلهما و هو يقول يا سيدي تفضل علينا بالمسير فقال النبي اعلم أن

القوم قد أودعوني في أموالهم فقال الراهب يا سيدي فإن غدا لهم عقال بعير فهو علي ببعير من مالي فأجابه النبي و سار معه و سار الراهب بين يديه قال و كان ذلك الدير له بابان باب الأنوار ص : 282طويل و باب قصير و قد وضعوا عند الباب القصير كنيسة فيها تصاوير و تماثيل فإذا دخل الرجل من الباب يحني رأسه و ذلك برسم السجود للتصاوير المصورة في الكنيسة قال فخطر في قلب الراهب أن يدخل النبي ص من الباب القصير ليلتذ من معجزاته و يشاهد غرائب كراماته فلما دخل الراهب أمامه أدخله الفزع من النبي و وقع في قلبه الجزع فلما دخل النبي من الباب القصير أمر الله تعالى أعمدة الباب أن ترفع فرفعت و مدت فامتدت الباب و اتسعت فدخل النبي منتصب القامة قال فلما أشرف على القوم قاموا إجلالا له و أجلسوه في أوساطهم في أعلى مكان و وقف الراهب بين يديه و الرهبان حواليه فمدحوه بأفصح لسان و أثنوا عليه بالخير و الإحسان و قدموا بين يديه من طرائف الشام ثم إن الراهب رمق بطرفه إلى السماء و قال إلهي و سيدي و مولاي أسألك أن تريني خاتم النبوة فأرسل الله عز و جل جبرئيل فكشف الثوب عن كتفي النبي حتى رآه الراهب فلما عاينه و قد سطع منه نور شعشعاني بلغ إلى عنان السماء و ذهب بأبصار الناس فلما رآه بحيرة الراهب خر ساجدا الأنوار ص : 283هيبة من ذلك النور ثم رفع رأسه و قال أنت هو حقا و أنت المنتظر ثم إن حمزة بن عبد المطلب جعل يقول

أنت المظلل بالغمام و قد رأى الرهبان أنك ذاك و انكشف الخبرربيت في بحبوح مكة بعد ما وضع الخليل وفاق فخرك من فخرو رضعت في سعد لثدي حليمة كرما ففاض الثدي نحوك و انحدر

فشكره النبي على ذلك و تفرق القوم إلى رحالهم و قد كمد أبو جهل و امتلأ غيظا و بقي ميسرة و الراهب مع النبي فقال الراهب يا سيد البشر أبشر فإن الله تعالى يذلل لك رقاب العباد و يملكك البلاد و ينزل عليك القرآن و يدين لك الأنام و دينك عند الله الإسلام و تبعث بالدلائل و المعجزات و البركات و الآيات الظاهرات البينات و تكسر الأصنام و تبطل الأوثان و تخمد النيران و تكسر الصلبان و يبقى ذكرك إلى آخر الزمان و أسألك يا سيدي

الأنوار ص : 284 أن تتصدق علينا بالذمام لسائر الرهبان لنأخذ منهم الجزية في ذلك الزمان فيا ليتني كنت معك حين يبعثك الله يا سيد بني عدنان فأعطاه النبي ص الذمام و أكرمه غاية الإكرام ثم إن

الراهب التفت إلى ميسرة و قال له أقرئ مولاتك السلام و قل لها إنها ظفرت بسيد الأولين و الآخرين و إنها سيكون لها شأن عظيم و فضل جسيم و تعلو على الخاص و العام و لا يفوتها القرب من هذا النبي الكريم فإن الله تعالى سيجعل من نسلها سادات كرام و يبقي ذكرها إلى آخر الزمان و يحسدها عليه كل واحد و أعلمها أنه لا يدخل الجنة إلا من يؤمن به و يصدق برسالته و أنه أشرف الخلق و أفضل الأنبياء و أصفاهم سريرة و أحسنهم سيرة و احذر عليه يا ميسرة من أعدائه اليهود في الشام إلى أن يعود إلى البيت الحرام ثم إنه ودع الراهب و خرج النبي و لحق بالقوم ثم ساروا من وقتهم و ساعتهم إلى أن نزلوا بواد من أودية الشام فنزلوا بمدينة يقال لها برا و حطوا رحالهم فتسامع أهل المدينة فتبادروا إليهم و اشتروا بضائعهم و باعت قريش بأحسن بيع و أغلى ثمن ببركة رسول الله و النبي لم الأنوار ص : 285يبع شيئا من بضاعته فقال أبو جهل و حق اللات و العزى ما رأت خديجة بأشأم من هذه السفرة إنه لم يبع من بضائعها شيئا قال فلما أصبح الصباح و إذا بالتجار قد أقبلوا من كل جانب و مكان يريدون البضائع فلم يجدوا إلا بضائع النبي ص التي لخديجة فباعها النبي بأضعاف ما باعت قريش عشر مرات و ربح في بضاعته ربحا لم يخطر ببالهم فاغتم لذلك أبو جهل غما شديدا و لم يبق من بضائع خديجة إلا حمل أديم فجاء رجل من اليهود و اشتراه بما قال النبي ص و يقال لليهودي سعد بن قطمير و كان من أحبار اليهود و كهانهم و كان قد اطلع على صفات النبي ص قال فلما نظر إليه اليهودي عرفه و قال لا شك هذا الذي يفسد أحلامنا و يبطل أديانا و يرمل نسواننا و إني أريد بأن أحتال على قتله ثم دنا من النبي و قال يا سيدي بكم

هذا الحمل الأديم فقال له النبي بخمسمائة درهم لا ينقص منها شي ء قال اليهودي اشتريت لكن بشرط أنك تسير معي إلى منزلي و تأكل من طعامي حتى تحصل لي بك البركة لأنكم سكان بيت الله الحرام فأجابه النبي ص إلى ذلك فأخذ اليهودي ذلك الحمل الأنوار ص : 286الأديم و سار به إلى منزله و النبي معه قال فلما قرب اليهودي من منزله سبق إلى زوجته و قال لها يا هذه أريد منك أن تساعديني على قتل هذا الغلام المكي الذي يعطل أديانا و يقتل رجالنا و يخرب ديارنا قالت و كيف أصنع به قال خذي فردة هذه الرحى و اقعدي في أعلى الدار مما يلي الباب فإذا قبض منا ثمن حمل الأديم فألقي عليه فردة الرحى فعسى أن نقتله و نستريح منه قال فأخذت زوجته فردة الرحى و صعدت إلى أعلى السطح فلما خرج النبي ص همت أن تلقي عليه الرحى فأمسك الله على يديها و كأن لاطما لطمها و أوقع الله في قلبها الرعب و الرجفة و غشي على بصرها من نور محمد ص و كان لها ولدان نائمان بفناء الدار فسقطت الرحى عليهما فقتلتهما و خرج النبي سالما قال فلما نظر اليهودي إلى ما جرى على أولاده لطم على وجهه و نادى بأعلى صوته يا بني قريظة فأجابوه من كل جانب و مكان و قالوا ما دهاك قال اعلموا أنه قد دخل اليوم في بلادكم الذي يعطل أديانكم و يخرب دياركم و قد دخل منزلي و

أكل طعامي و قتل أولادي فلما سمع اليهود كلامه ركبوا خيولهم و اعتقلوا رماحهم و حملوا الأنوار ص : 287على قريش بأجمعهم قال فلما نظر أعمام النبي ص إلى اليهود قد أقبلوا و لبسوا الدروع الداودية و اعتقلوا بالرماح الخطية و تقلدوا بالسيوف الهندية و لبسوا البيض المجلية و ركبوا الخيول العربية و ارتفع الصياح و أشهروا الصفاح هذا و اليهود ثابتين فركب الحمزة على جواد أشقر مضمر حسن المنظر مليح المخبر صافي الجوهر من خيل قيصر رجيح الكفل قليل الوجل ليس فيه فشل له من الضبي انطلاقه و من الماء اندفاقه و من الأسد انطباقه حسن التحجيل حلو

الصهيل ذو غرة كالقنديل كأن حافره طير أبابيل يخطف الأحداق و فيه قال الشاعر
جواد كالظلام إذا تجلى بغرته كبدر في ظلام ترى أحجاله يصعدن فيها صعود البرق في خلل الغمام
يسير من العراق قبيل صبح و يأتيه المساء في وسط شام
قال الراوي ثم إن الحمزة تقلد سيفه و اعتقل برمحه و لبس درعه و حمل على اليهود حملة منكرة فقتل منهم رجالا و جندل أبطالا فهناك حامت عليهم ليوث الأبطال و أخذهم الويل و الوبال و دارت الأنوار ص : 288عليهم الأهوال و طحنت رحى الحرب رءوس الرجال و انهزم اليهود و قد علاهم الويل و حل بهم الوبال و صاروا في الخزي و العذاب قال فأجمعوا رأيهم أن ينفذوا منهم سبعة عشر رجلا من رؤسائهم بلا سلاح فلما رأوهم قريش قالوا لهم ما شأنكم قالوا يا معاشر العرب إن هذا الرجل الذي معكم إنه أول ما يبدأ بخراب دياركم و يقتل رجالكم عندنا أن تسلموه إلينا حتى نقتله و نستريح منه نحن و أنتم قال فلما سمع الحمزة كلامهم قال يا ويلكم هيهات هيهات حيل بينكم و بين ما تشتهون أ تظنون أن أسلم إليكم بدرنا و سراجنا و لو بلغت أرواحنا الحناجر فهي وقاه و أموالنا فداه و إن أردتم قطع الرءوس و إتلاف النفوس هلموا ثم صاح بهم فولوا هاربين فلما سمع اليهود كلامه أيسوا من بلوغ مرادهم و رجعوا على أعقابهم خائبين قال فلما نظر قريش اليهود قد ولوا مدبرين رأوها فرصة و رجعوا و قالوا هذه فرصة و رحل قريش مجدين السير إلى بلادهم بعد ما غنموا أسلابا من قتلى اليهود و سلاحهم و خيلهم و قد فرحوا بالنصر و الظفر قال فلما استقاموا في الطريق قال لهم ميسرة يا قوم ما منكم أحد إلا و قد الأنوار ص : 289سافر مرة أو مرتين أو أكثر فهل رأيتم أبرك من هذه السفرة و أكثر من ربحها و ما ذلك إلا ببركة محمد و أنتم تعلمون أنه نشأ فيكم و تربى بين أظهركم و تعلمون أنه قليل المال فهل تروا أن تجمعوا له شيئا على سبيل الهدية تهدونه إليه حتى يستعين به على حاله فقال القوم و

الله لقد نصحت يا ميسرة و أصبت فيما أشرت و أجملت فيما نطقت قال فاجتمع رأيهم على ذلك ثم إن القوم نزلوا في منزل كثير الأشجار و الأثمار و الأنهار و المراعي فلما نزلوا أخرج كل واحد من ماله شيئا لطيفا و ذلك بحسب الهدية و أتوا به إلى النبي ص و كان يحب الهدية و يكره الصدقة قال فلما

أحضروا ذلك بين يديه قالوا خذها مباركة عليك ثم إنهم دفعوها إلى ميسرة فأخذها للنبي و لم يرد جوابا ثم إن القوم رحلوا يجدون السير و يقطعون الفيافي و الأودية و الأوعار حتى نزلوا بدير الراهب و أتوا إلى وادي النخلة التي تزود منها رسول الله و أكل التمر من قبل و رحلوا يقطعون الفيافي و القفار إلى أن نزلوا بوادي قريبا من مكة و نزلوا بجحفة الوداع فأخذ الناس ينفذون بالكتب ليبشروا أهلهم بقدومهم و ما الأنوار ص : 290نالوا من سفرهم و ما ربحوا من تجارتهم فقال أبو جهل يا قوم ما رأيت ربحا أكثر من ربح محمد لخديجة ثم قال ما كنت أظن إلا أنه يجلب التجار من منازلهم إلى منزله ليشتروا بضاعته بأغلى ثمن ثم أخذ القوم في إنفاذ رسلهم فنفذ أبو جهل لربيعة و عتبة و أخيه شيبة و نفذ النضر بن الحارث و مطعم بن عدي و عثمان بن مالك الفهري و أسد بن غويلب الدارمي كل منهم نفذ إلى أهله يبشرونهم فأقبل ميسرة إلى النبي ص و قال يا قرة عيني هل أرشدك إلى خير يصل إليك فقال رسول الله و ما ذلك يا ميسرة قال تسير معي من وقتك و ساعتك إلى مولاتي خديجة و تبشرها بسلامة أموالها فإنها تعطي من يبشرها مالا جزيلا و لا سيما أنت و ما أشتهي أن يكون ذلك إلا لك فقم الآن و سر إلى مكة و ادخل إلى مولاتي خديجة فقال النبي ص نعم ما أشرت به و ها أنا سائر قال فقام النبي و شمر أذياله و قال يا ميسرة أوصيك بنفسك و مالك خيرا فركب ناقته و سار مستقبل القبلة وحده يريد مكة فغاب عن أعين الناس فأرسل الله له ملكا يطوي له البعيد قريب و يهون عليه الصعب الشديد فلما

الأنوار ص : 291 وصل إلى جبال مكة أرسل الله عليه النوم فنام فأوحى الله إلى جبرئيل و ميكائيل أن اهبطا إلى الجنة و أخرجا منها القبة التي خلقتها لحبيبي محمد قبل أن أخلق آدم بألفي عام و انشراها على رأسه و كانت تلك القبة من الياقوت الأحمر معلقة بعلائق من اللؤلؤ الأبيض يبان باطنها من ظاهرها و ظاهرها من باطنها لها أربعة أركان و أربعة أبواب فالباب الأول من الزبرجد و الثاني من العقيق و الثالث من اللؤلؤ الرطب و الرابع من الياقوت الأحمر فنزل جبرئيل و معه سبعون ألفا من الملائكة و استخرج القبة من الجنة في أسرع من طرفة عين فاستبشرت الحور العين و أشرفن من قصورهن و قلن لك الحمد يا رب سبحانك في هذا الوقت يبعث صاحب هذه القبة و قالت الحور لا إله إلا أنت ما أكرم هذا العبد عندك يا رب قال و هبت ريح الرحمة و صفقت الملائكة و سبحت للعزيز الجبار بما خص به النبي المختار و نشر جبرئيل القبة على رأس النبي ص و أحدقت الملائكة بأركانها ثم أعلنوا بالتسبيح و التقديس و التكبير و الثناء لرب العالمين قال الراوي و نشر جبرئيل بين الأنوار ص : 292يديه ثلاثة أعلام و تطاولت الجبال و نادت الأشجار و غردت الأطيار و الأملاك كل يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله هنيئا لك من عبد ما أكرمك على الله قال و كانت خديجة متكئة على موضع عالي و تحتها أثواب من الديباج و عليها ثوب الحرير و حولها جواريها و عبيدها و عندها جماعة من قومها و هي تطيل النظر إلى شعاب مكة إذ كشف الله عن بصرها دون غيرها فرأت نورا ساطعا و

ضياء لامعا من جهة باب المعلى و قد لحق بعنان السماء ثم إنها حققت النظر فرأت القبة منشورة و الملائكة محدقين بها ناشرين أعلامهم فوق رأس النبي ص و هو نائم و القبة على رأسه فحارت في أمرها و جعلت تنظر إليه فقلن لها النسوة ما لنا نراك باهتة قالت لم أدر أنا نائمة أو يقظانة فقلن لها نعيذك بالله بل أنت يقظانة فما بالك قالت لهن انظرن نحو

الباب المعلى و حققن النظر فيه فنظرن و قد كشف الله عن أبصارهن فقلن نعم رأينا فقالت لهن و ما الذي رأيتنه قلن رأينا نورا ساطعا و ضياء لامعا قد بلغ عنان السماء فقالت لهن و ما الذي ترين غير ذلك قلن لها ما نرى شيئا قالت أ لا
الأنوار ص : 293 ترين القبة و الراكب و الأطيار الخضر المحدقين بها قلن لها يا سيدتنا لم نر مما تقولين شيئا قالت خديجة إني أرى راكبا أضاء من نوره المشارق و المغارب و هو في قبة خضراء لم أر أحسن منها و هو على ناقة واسعة الخطى و قد كسيت الهيبة و الوقار و لا شك أن الناقة ناقتي الصهباء و الراكب محمد المصطفى فقلن لها النسوة يا سيدتنا و من أين لمحمد ما تقولين و ليس يقدر على هذا قيصر الروم و لا كسرى العرب و العجم قالت خديجة إن فضل محمد عظيم أعظم من ذلك و إن الله تعالى قد خص حبيبه بالرحمة ثم إن الناقة دخلت بين شعاب مكة ثم دخلت باب المعلى و عبرت منه ثم إن الملائكة عرجت إلى السماء و عرج جبرئيل بالقبة و الأعلام و انتبه النبي من نومه و دخل مكة و قصد منزل خديجة فسمعها تقول متى يصل إلي محمد أشتفي منه بالنظر و هي تقوم مرة و تقعد أخرى و إذا بالنبي قد قرع الباب فقالت خديجة لجاريتها انظري من بالباب لعل خبر من الأحباب فخرجت الجارية و قالت من بالباب فقال أنا محمد بن عبد الله قد جئت أبشر خديجة بقدوم أموالها

الأنوار ص : 294 و سلامتها فلما سمعت خديجة كلام النبي انحدرت من أعلى الدار و وقفت بالحجاب و فتحت الجارية الباب فقال النبي السلام عليكم يا أهل هذا المنزل قالت خديجة و عليك السلام يا قرة العين و رحمة الله و بركاته فقال النبي ص نهنيكم بسلامة أموالكم قالت خديجة تهني لك الخلافة يا حبيبي فقال النبي و أنت تهنيك سلامة أموالك و عبيدك و إن عبديك ميسرة و ناصح يسلمان عليك قالت خديجة إنما تهنيني بسلامتك يا سيدي و يا قرة عيني و الله أنت حبيبي و أعز عندي من المال و الأهل و الأقارب و أحب إلي من ذلك كله ثم إنها جعلت تنشد و تقول
جاء الحبيب الذي أهواه من سفر و الشمس قد أثرت في وجهه أثراعجبت للشمس من تقبيل وجنته و الشمس لا ينبغي أن تدرك القمرا

ثم قالت يا حبيبي و من أين تركت الركب قال في جحفة الوداع قالت و متى عهدك بهم قال ساعتي هذه فلما سمعت خديجة الأنوار ص : 295كلامه اقشعر جلدها و قالت أسألك بالله أنك فارقتهم من

جحفة الوداع قال نعم و رب البيت لقد طوى الله لي الصعب الشديد قالت خديجة و الله ما كنت أحب أن تجيئنا هكذا و إنما أحب أن تكون في أول الأموال و الركب و أنا أنظر إليك و أنت مقدم على الرجال و أرسل عبيدي و جوا يي يتلقونك من على رءوس الجبال بأيديهم الطارات و المعازف و الدفوف و آمر عبيدي أن يذبحوا الذبائح و العقائر و يكون لك يوم مشهود فقال النبي ص يا خديجة إني أتيت و لم يعلم بي أحد من أهل مكة فإن أمرتيني بالرجوع رجعت من ساعتي هذه قالت يا سيدي أمهل قليلا ثم عمدت إلى خبز و سمن فوضعته في مزودته و كانت العرب تعرفه لنقاوته و طيب رائحته ثم ملأت له قربة من ماء زمزم لأنه معروف دون سائر المياه ثم قالت له ارجع ودعتك الله الذي طوى لك البعيد قريب ثم إن النبي رجع من وقته و ساعته إلى الركب ثم إن خديجة رجعت و صعدت إلى أعلى دارها و جعلت تنظر هل تعود القبة و الأعلام التي رأتها أم لا فبينما هي كذلك و إذا بالقبة و الأعلام الأنوار ص : 296قد عادت و نزل جبرئيل و الملائكة قد أحدقوا بالقبة كأول مرة قال ففرحت خديجة بذلك و جعلت تنشد و تقول

نعم لي منكم ملزم أي ملزم و وصلا مدى الأيام لن يتصرم و لم يخل طرفي ساعة من خيالكم و من حبكم قلبي و من ذكركم فمي و لو لم يكن قلب المتيم فيكم جريحا لما سالت دموعي بالدم و لو جبل حملتموه بعادكم لمال و نادى ذاب لحمي و أعظمي أشد على كبدي يدي فأردها لما فيه من جمر من الشوق مضرم كتمت الهوى و الشوق ينشر طيه و أكتم أشجانا فلم تتكتم

الأنوار ص : 297فيا رب قد طالت بنا مدة النوى و أنت قدير تنظم الشمل فانظم

قال ثم إن النبي ص سار قليلا و إذا هو عند القوم فمنهم أيقاظا و منهم رقودا قال فلما أحس به ميسرة قال من السائر في الليل العاكر قال أنا محمد بن عبد الله قال ميسرة و ما الذي ردك عن خير يصل إليك و من سرور و عز و نعمة تعم عليك و كان عهدي بك يا سيدي أنك سائر إلى مولاتي خديجة قال النبي ص يا ميسرة إني سافرت إلى بيت الله الحرام ثم عدت فضحك ميسرة من كلام النبي و قال يا مولاي ما عهدتك تستهزئ بي قط قال يا ميسرة و الله ما قلت لك إلا حقا و صدقا فإن كان عندك شك من ذلك فهذا خبز من مولاتك خديجة و هذا ماء زمزم قال فلما نظر ميسرة إلى ذلك نهض قائما على قدميه و قال يا معاشر قريش و بني زهرة و يا بني النضر و يا بني مخزوم و هل غاب عنكم محمد ساعة أو ساعتين أو أقل من ذلك قالوا نعم قال لهم ميسرة إنه قد سار إلى مكة و رجع و هذا خبز مولاتي خديجة قد جاء به و هذا ماء زمزم قال فتعجب القوم الأنوار ص : 298من ذلك و دهشوا و حاروا قال فصاح بهم أبو جهل و قال ما الذي حل بكم قالوا إن محمدا سافر إلى مكة و رجع من ساعته فقال انصرفوا إلى رحالكم فإنه لو غير محمد لكان عجبا منه لكن الساحر لا يبعد عليه شي ء في مشارق الأرض و لا في مغاربها قال فتفرق القوم إلى رحالهم و باتوا تلك الليلة حتى أصبح الصباح

فرحل القوم و سبقهم البشير إلى مكة يبشرونهم بقدوم القوم فخرج أهل مكة مبادرين و وصل الخبر إلى خديجة فخرجت و عبيدها و جواريها و ارتجت شعاب مكة و أوديتها و زينت خديجة جواريها و خرجت الجواري بأيديهن المجامر و الدفوف و الطارات و المجامر فيها العود و البخور و هم وقوف على السرادقات و الجبال و كان النبي لا يمر بعبد من عبيد خديجة إلا و يعقر له مطيه فرحا بقدومه ثم تفرق الناس إلى منازلهم و دخل النبي ص إلى بيت خديجة ثم إن خديجة نظرت إلى جمالها و قد أقبلت كأنها عرائس مجلية و كانت معتادة أن يموت بعضها و بعض يصير أجرب و بعض يصير أعرج و بعض

أعمى و بعض ضعيف إلا في هذه السفرة فإنها لم تفقد منها شيئا و قد الأنوار ص : 299كسيت شحما و لحما قال فوقفت قريش و هم متعجبين مما رأوا من محمد و كان كلما مر عليهم جمل بإزائه يقولون لمن هذا فيقال هذا مما أفاده محمد لخديجة من الشام قال فذهلت عقول قريش من ذلك فلما اجتمعت أموال خديجة عندها و فكوا رحالهم و عرضوا الأموال عليهم و هي جالسة على كرسي من العاج مصفح بالذهب الو هاج و هي من وراء الحجاب و كان النبي جالسا في وسط الدار و ميسرة يعرض عليها شيئا بعد شي ء قال فنظرت خديجة ما أدهشها فبعثت خديجة إلى أبيها تعرفه ذلك و ترغبه في محمد فلما سمع خويلد أقبل إلى منزل خديجة و كانت متزينة بثوب من الحرير و النبي جالس قال فلما نظرت خديجة إلى أبيها مقبل و هو متزين بأثوابه متقلد سيفه فلما نظرته قامت إجلالا له و أجلسته إلى جانبها و أبدته بالرحب و جعلت تعرض عليه الأموال و البضائع و تقول يا أبت هذا كله من بركات محمد بن عبد الله و الله يا أبت إنه مبارك الطلعة ميمون الغرة فما ربحت ربحا أكثر من هذه السفرة ثم التفتت إلى ميسرة و قالت له ألا تحدثني كيف كان سفركم و ما الذي رأيتم قال

الأنوار ص : 300 ميسرة و الله يا سيدتي و هل أطيق أن أصف لك بعض ما عاينته من محمد ثم إنه أخبرها بخبر السيل و البئر و الثعبان و الأسد و النخلات و خبر الراهب و سلامه لها و وصيته لها و خبر اليهود بالشام و ما جرى منهم و ما وقع عليهم فقالت خديجة حسبك يا ميسرة فلقد زدتني شوقا إلى محمد اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى و زوجتك و أولادك و أيضا لك عندي مائة دينار و راحلتين ثم خلعت عليه خلعة سنية فأخذها و سار ميسرة إلى زوجته و أولاده و قد امتلأ فرحا و سرورا و أخبرهم بما صنعت خديجة معه فشكروها على ذلك ثم إن خديجة التفتت إلى النبي ص و قالت له ادن مني فلا حجاب بيني و بينك ثم أمرت أن يرفع عنها الحجاب و أمرت أن ينصب له كرسي من العاج و الآبنوس و أجلسته عليه و قالت يا سيدي كيف كان سفركم فجعل يحدثها بالأمر و بما كان و بما باع و بما اشترى فرأت خديجة ربحا كثيرا و شيئا لم يخطر ببالها فقالت يا سيدي فرحت بطلعتك و سعدت برؤيتك فلا لقيت بؤسا و لا رأيت من قومك نحوسا و لا عبوسا ثم إن خديجة جعلت تنشد و تقول الأنوار ص :

301
و لو أنني أمسيت في كل نعمة و دامت لي الدنيا و ملك الأكاسره لما سويت عندي جناح بعوضة إذا لم تكن عيني لعينك ناظره

قال الراوي ثم إن خديجة قالت يا سيدي لك عندي حق بشارتك زيادة على ما بيني و بينك فهل لك فيه الساعة من حاجة فقال لها إني أمضي إلى البيت و أستريح و أعود إليك ثم خرج النبي من منزل خديجة و دخل منزل عمه أبي طالب فلما رآه أبو طالب كاد أن يطير فرحا مما عاين من محمد فجعل يقبل يديه و رجليه و يلثم فاه و دارت أعمامه حواليه فقال أبو طالب يا ولدي أعطتك خديجة فقال أوعدتني خيرا على ما هو كان بيننا فقال أبو طالب هذه نعمة جليلة و لكن إن شاء الله إني قد عزمت على أن أترك لك جملين تسافر عليهما و راحلتين تصلح بهما شأنك و الذهب و الفضة أخطب لك به فتاة من نساء قريش من قومك فلا أبالي من بعدك ذلك من حيث أتى قال يا عماه افعل ما بدا لك قال فلما كان وقت الغداة اغتسل النبي ص من وعك السفر و تطيب و سرح شعر رأسه و لبس أفخر أثوابه و سار إلى منزل خديجة و دخل عليها فلم يجد عندها الأنوار ص : 302سوى ميسرة فلما رأته فرحت بقدومه و استبشرت بوصوله إليها و أعجبها نور وجهه ثم إنها جعلت تقول

رمى فرمى من قوس حاجبه سهما فصادفني حتى قتلت به ظلماو أسفر عن وجه و أسبل شعره فبات يباهي البدر في الليلة الظلماو لم أدر حتى زار من غير موعد على رغم واش ما أحاط به علماو علمني من طيب حسن حديثه مناديه تستنطق الصخرة الصما

و قال الشاعر في هذا المعنى

أهلا و سهلا بالحبيب الزائر و مؤنسي في خلوة و سامري يا مسكن القلب و مالك مهجتي يا بغيتي يا منيتي يا جابري إني بسطت الكف طالبة لكم فعساك تجبر بالعطاء الوافرفأنا المحب لكم و قلبي عندكم و سواكم لم يحل قط بخاطري و سقيتني من كاس حبك شربة قصرت حامل سرها و سرائري فتعطرت ريح الصبا من عطرها و شربت كاسا من شراب العاطرو سمعت نغمات الطيور كأنها طربت على نغماتها بمزامري و لقد جرى دمعي بطيب حديثها و صببت دمعا أصله في ضمائري

الأنوار ص : 303و لقد تمايل كل غصن يابس شوقا فأبكى كل حب ساهرلا تحرموني وصلكم بحياتكم فهواكم في مهجتي و ضمائري و تراب بابكم لعيني إثمد و جلاء قلبي بالجمال الباهرو لقد أتيت بكل نظم غريبة منظومة في لؤلؤ و جواهر

قال الراوي ثم إن خديجة التفتت إلى النبي محمد و قالت يا سيدي نعمت صباحا و دامت لك الأفراح و كفيت أتراحا هل من حاجة فتقضى يا محمد أو مسألة فتعطى قال فاستحى النبي ص من كلامها و

طأطأ برأسه و عرق جبينه فأعادت عليه الكلام ثانية و لاطفته في الحديث فقالت يا سيدي إذا سألتك عن شي ء تخبرني عنه قال نعم قالت خديجة إذا أخذت الذي لك من المال و الجمال فما أنت صانع به فقال النبي ص و لم ذلك قالت أريد أن تعرفني ما أنت صانع به قال النبي إن عمي ذكر أن يترك لي بعيرين أسافر عليهما و راحلتين يصلح بهما شأني و الذهب و الفضة ذكر أنه يخطب لي بهما امرأة من قومي تقنع مني بالقليل و لا تكلفني ما لا أطيق قال فتبسمت خديجة و قالت يا سيدي أ ما ترضى أن أخطب لك الأنوار ص : 304زوجة من خيار قومك تحسن بقلبي فقال نعم يا خديجة قالت خديجة قد وجدت لك امرأة أرضاها لك و هي امرأة أكبر منك سنا و دونك جمالا و أكبر يدا طاهرة مطهرة مصونة عفيفة تساعدك على الأمور و تقنع منك باليسير و لا ترضى بغيرك و لو بذل لها المال الجزيل و إنها كريمة في قومها مطاعة في عشيرتها قريبة منك في الحسب و النسب غير بعيدة عنك يحمدك عليها الملوك و الأكاسرة و قد خطبها الملوك و الجبابرة غير أني أصف لك عيبها كما وصفت لك خيرها قال ص و ما ذلك قالت قد عرفت قبلك برجلين و هي أكبر منك سنا فقال النبي ص سميها لي حتى أعرفها قالت هي مملوكتك خديجة بنت خويلد فأطرق النبي رأسه حياء منها حتى عرق جبينه و أمسك عن الكلام فأعادت عليه القول مرة أخرى و قالت يا سيدي ما لك لا تجيب و الله إنك لي حبيب و إني لا أخالفك في أمري ثم إن خديجة بعد ذلك جلعت تقول الأنوار ص : 305

يا سعد إن جزت بوادي الأراك فارحم عبيدا ضاع مني هناك و استفت غزلان النوى سائلا هل لأسير الحب منكم فكاك و إن ترى ركبا بوادي الحمى سائلهم عني و من لي بذاك نعم سروا و استصحبوا مهجتي فالآن عيني تشتهي أن تراك ما في من عضو و من مفصل إلا و قد ركب فيه هواك أوعدتني بالهجر بعد الوفا يا سيدي ما فاد هذا بذاك إن حجبوا شخصك عن ناظري لي ناظر بالقلب رؤيا يراك الأنوار ص : 306فاحكم بما شئت و ما ترتضي فالقلب ما يرضى إلا رضاك

قال صاحب الحديث ثم إن خديجة لحت عليه بالكلام و قالت له أنت عزيز علي فقال لها يا ابنة العم أنت امرأة ذات مال و أنا فقير لا أجد إلا ما تجودين به علي و ليس مثلك من يرغب في وصلي و الراغب في القليل قليل و أنا أطلب امرأة حالها كحالي و مالها كمالي أقنع منها و تقنع مني و أنت لا يصلح لك إلا من يكون ماله كمالك و حاله كحالك فلما سمعت كلامه قالت و الله يا محمد إن كان مالك قليل فمالي كثير و من يسمح لك بنفسه كيف لا يسمح بماله فأنا و مالي و عبيدي و جواريي و جميع ما أملكه لك بيدك و في حكمك و لا أصنع به شيئا و لا أبعده عنك و لا أزويه عنك و حق الكعبة العليا و حرمة الصفا و أبي قبيس و حرا ما كان ظني فيك أن تبعدني عنك و لا توحشني من قربك و إني أكون لك زوجة و أنت تكون لي بعلا ثم شرقت بعبرتها و جعلت تقول

و الله ما هب نسيم الشمال إلا تذكرت ليالي الوصال و لا أضاء من نحوكم بارق إلا توهمت لطيف

الخيال
الأنوار ص : 307أحبابنا ما خطرت فرقة منكم غداة الوصل مني ببال جور الليالي خصنا بالجفا منكم و من يأمن جور الليال رقوا و جودوا و ارحموا و اعطفوا لا بد لي منكم على كل حال

قال الراوي ثم إن خديجة قالت و رب احتجب عن الأبصار و علم حقيقة الأسرار ما قلت إلا حقا و لا تكلمت إلا صدقا و ليس هو هزل و لا مزاح و إني لم أقل لك باطلا و لا قلت لك قولا أداعبك فيه فقم الآن إلى عمومتك و قل لهم الساعة يسيرون إلى أبي و يخطبوني منه و لا تيأس إن كان أبي طلب منك مالا فأنا و الله أقوم لك بالهدايا و الأموال و مهما طلب أبي من المال فأنا أقوم لك به و هذه أموالي و ذخائري و عبيدي و جواريي كلها لك و بين يديك خذ منها ما شئت و خل ما شئت فأنا لك طالبة و فيك راغبة و لا أريد سواك فسر و أحسن الظن فيمن يحسن الظن فيك و لا تخيب قصد قاصدك فرجع من وقته و ساعته فرحا مسرورا و سار إلى عمه أبي طالب فقال له عمه نهنيك ما أعطتك خديجة و إنها أظن قد غمرتك بالعطايا فقال النبي ص لي إليك الأنوار ص : 308حاجة فقال له و ما هي يا ابن أخي قال تنهض أنت و أعمامي تخطبوا لي خديجة من أبيها خويلد فلم يرد أبو طالب جوابا ثم قال يا حبيبي إليك نسير و بأمرك نستشير و بفضلك نستدل و أنت تعلم أن خديجة امرأة ميمونة كاملة فاضلة تخشى و تحذر الشنار و قد عرفت قبلك برجلين أحدهما عتيق و الآخر عمرو الكندي و قد رزقت منه بنتا و قد خطبها ملوك العرب و صناديد قريش و رءوس بني مخزوم و سادات بني هاشم و ملوك اليمن و أكابر الطائف و بذلوا لها من الأموال فلم ترغب في أحد منهم و رأت أنها أكبر منهم و أنت يا ابن أخي فقير لا مال لك و لا تجارة و خديجة مزاحة عليك فلا تعلل نفسك بمزاحها و لا تسمع قريش هذا الكلام أبدا فقال أبو لهب يا ابن أخي لا تجعلنا في أفواه الناس و مجالس العرب و أنت لا تصلح لخديجة أن تتزوج بها فانتهره العباس و قال و الله إنك لخسيس في الرجال أفحش الكلام و ما عسى أن تقول في ابن أخي و الله إنه أكثر منهم جمالا و أزيد منهم مالا و أعلى منهم حسنا و نسبا و بم تتكبر عليه خديجة بمالها الأنوار ص : 309أو بجمالها فأقسم برب الكعبة إن

طلبت منه مالا لأركبن جوادي و أطوف في الفلوات و لأدخلن على الملوك و أجمع لخديجة ما تطلبه من الجمال و المال فقال لهم النبي ص يا معاشر الأعمام قد أطلتم الكلام فيما لا فائدة فيه فقوموا و اخطبوا لي خديجة من أبيها خويلد فما عندكم من العلم مثل ما عندي قال فنهضت صفية عمة النبي و قالت أعلم أن محمدا صادق اللهجة واضح الحجة و خديجة مزاحة فأنا أبين لكم باطن الحديث ثم إنها لبست أفخر أثوابها و سارت قاصدة إلى منزل خديجة فلقاها بعض جواريها في الطريق فسبقتها إلى البيت و أعلمت خديجة بإقبال صفية و كانت خديجة قد عزمت على النوم و نزلت إلى الدار و لم تترك

أحدا معها من الجواري فلما نهضت تمشي عثرت فقالت لا أفلح من عاداك يا محمد فسمعت صفية كلام خديجة فقالت صفية جاء الدليل ثم قرعت الباب ففتحته لها خديجة و لاقتها بالرحب و السعة و أمرت لها بالطعام فقالت لها صفية يا خديجة ما أتيتك لطعام و لا لشراب و لكن يا ابنة العم قد نقل إلينا من عندك كلام و قد جئنا نسألك الأنوار ص : 310عنه هل هو صحيح أم لا فقالت خديجة بل هو صحيح إن شئت تبديه و إن شئت أنا أبديه و أنا قد خطبت محمدا لنفسي و تحملت مهري و حططت عنه أمري فلا تكذبوه إن كان قد نقل إليكم حديثا فهو حق فإني أعلم أنه مؤيد من رب العالمين فو حق الذي سطح الأرض على الماء لا بد لي منه فتبسمت صفية عمة النبي ص و قالت و الله إنك لمعذورة فيمن أحببت غير ملامة و الله يا خديجة ما شاهدت عيني مثل جبينه تحت عمامته و لا أعذب من كلامه و لا أحلى من لفظه ثم إن صفية تمثلت تقول أفلح من يصلي على الرسول و آله

الله أكبر كل الحسن في العربي كم تحت غرة هذا البدر من عجب قوامه ثم إن مالت ذوائبه من خلفه فهي تغنيه عن الأدب تبت يدا لائمي فيه و حاسده و ليس لي في سواه قط من أرب

. الأنوار ص : 311و مما قيل في هذا المعنى شعرا لبعض العارفين أفلح من يصلي على الرسول

قالوا محمد و قلت الباهي المنظرصلوا على أحمد قالوا و شعره و قلت المسك و العنبرو قالوا محمد قالوا جبينه و قلت الصبح إذا أسفرو قالوا محمد قالوا الحواجب و قلت القوس إذا وترقالوا محمد قالوا عيونه و قلت للسما تنظرقالوا محمد قالوا خدوده و قلت الورد لو أزهرقالوا محمد قالوا لسانه و قلت اللؤلؤ إذ ينشرقالوا محمد قالوا و ثغره و قلت الدر و الجوهرصلوا على أحمد قالوا و ريقه و قلت أحلى من السكرقالوا محمد قالوا و عنقه و قلت أبيض من العرعرقالوا محمد قالوا يمينه و قلت بالكرم يذكرقالوا محمد قالوا و ريحه و قلت أشم من العنبرقالوا محمد قالوا و صدره و قلت بالعلم يفخر

الأنوار ص : 312قالوا محمد قالوا و بطنه و قلت خاتم يشهرقالوا محمد قالوا و فخذه و قلت على البراق يظهرقالوا محمد قالوا أقدامه و قلت في الحجر أثرقالوا محمد قالوا شفيعي و قلت في المحشرقالوا محمد صلوا عليه يا جماعة الحضرصلوا على أحمد

. قال ثم إن صفية عزمت على الخروج من عند خديجة فقالت لها تمهلي قليلا ثم إن خديجة خلعت على صفية خلعة بهية و ضمتها إلى صدرها و قبلت ما بين عينيها و قالت لها بالله عليك إلا ما عاونتيني على ما أطلب من محمد ص من قربه قالت صفية برب الكعبة حبا و كرامة ثم خرجت من عندها طالبة منزلها فقالوا إخوتها ما وراءك يا ابنة الصادقين قالت لهم صفية و الله إن خديجة راغبة في محمد ما يزيد على الوصف و لا له حد فإن كنتم عازمين فقوموا فو الله ما قال محمد إلا حقا ففرحوا بذلك جميعهم إلا أبا لهب اللعين فإنه زاد به الغيظ و الكمد و ذلك لسبب شقاوته الأنوار ص : 313السابقة

حيث إن خديجة تتصل بمحمد ص فزعق بهم العباس و قال ما قعودكم إذا حصل مرادكم فانهضوا و قوموا قال فنهض أولاد عبد المطلب قاصدين منزل خديجة و قد عمد أبو طالب إلى النبي ص و ألبسه أفخر أثوابه و قلده سيفا مذهبا و أركبه جوادا أغر و دار حوله عمومته محدقين به و إلى منزل خديجة قاصدين فلقيهم أبو بكر بن أبي قحافة فقال إلى أين تريدون يا أولاد عبد المطلب و قد كنت قاصدا إليكم في حاجة خطرت ببالي فقال العباس و ما هي يا ابن أبي قحافة فقال رأيت في منامي كأن نجما قد ظهر في منزل أبي طالب و تعلى في أفق السماء و قد أنار و استنار إلى أن صار كالقمر الزاهر ثم نزل بين الجدران فقصدت إليه لأعرف أين نزل و إذا به قد نزل في دار خديجة بنت خويلد و قد دخل تحت ثيابها فهذه رؤياي فقولوا لي ما تأويلها فقال أبو طالب ها نحن إليها سائرون و في خطبتها معولون فما أصدق رؤياك يا ابن أبي قحافة فقال بالله عليكم خذوني معكم فقال أبو طالب سر معنا ثم ساروا حتى دخلوا منزل أبي خديجة فسبقتهم الجواري إليه و أخبروه الأنوار ص : 314بقدومهم و كان خويلد يشرب الخمر و قد لعبت الخمر في رأسه فلما نظر إليهم قام قائما على قدميه و قال مرحبا بكم و أهلا و سهلا يا أبناء آبائنا و أعز الخلق علينا ثم رفع منازلهم و

أعلى مراتبهم و قدم لهم طعاما فقال له أبو طالب يا خويلد ما أتينا لطعام و لا لشراب و لكن أنت تعلم أنكم لنا قرابة و بنو عم و ليس لأحد شرف كشرفنا و نحن و أنتم في الحال سواء و نحب أن لا تخالفنا و نريد أن نقرب ابنتك من سيدنا النبي محمد فهو يزينها و لا يشينها و قد جئناك خاطبين و لابنتك خديجة راغبين فقال خويلد من الخاطب و من المخطوبة قال أبو طالب أما الخاطب فهو ابن أخينا محمد و أما المخطوبة فهي ابنتك خديجة فلما سمع خويلد كلامه اصفر لونه و تغير وجهه و ازورت حدقته و قال و الله إن فيكم الكفاية و أنتم منا و أعز الخلق علينا غير أن خديجة امرأة قد ملكت نفسها و رأيها أعلى من رأيي و أما أنا لا يطيب لي أن يخطبها الملوك و لا يكون زوجها فقير صعلوك قال فقام حمزة إليه و انتهره و قال يا خويلد ما يعادل اليوم بالأمس و لا يشاكل القمر بالشمس يا بادي الجهل و يا سخيف العقل

الأنوار ص : 315 أما أنت فقد غاب رشدك و ذهب عقلك يا ويلك أ تثلب ابن أخينا محمدا أ ما علمت أنه لو احتاج إلى أموالنا و أرواحنا فدينا الكل بين يديه و أحضرنا الجميع لديه و لكن سوف يبان لك عقيب قولك ثم نفض ثيابه و قام و نهض إخوته و ساروا إلى منازلهم و قلوبهم تغلي كغلي المرجل على النار فبلغ الخبر إلى خديجة فزاد بها الوجد و اشتد عليها الغرام و الكمد فالتفتت إلى العبيد و الجواري و قالت يا ويلكم علي بعمي ورقة فلم يكن إلا ساعة و إذا قد دخل عليها عمها ورقة فقامت إليه و رفعت محله و أعلت منزلته و قالت يا عم لا غابت عني طلعتك و لا عدمت رؤيتك ثم أطرقت إلى الأرض و

قطبت حاجبيها فنظر إليها و قال يا خديجة كأنك راغبة في الزواج قالت نعم قال يا خديجة خطبتك الملوك و القبائل و صناديد العرب فلم ترضي لأحد منهم قالت ما أريد من يخرجني من مكة و لا أريد إلا من سكانها قال يا خديجة قد خطبك شيبة بن أبي ربيعة و عقبة بن أبي معيط و أبو جهل بن هشام و الصلت بن أبي يهاب فأبيتي أن تتزوجي بأحد منهم قالت يا عم ما أريد من كان فيه عيب قال الأنوار ص : 316لها ورقة صفي لي عيوبهم قالت صفها لي أنت لأنك بهم عارف قال يا خديجة أما شيبة ففيه سوء الظن و أما عقبة كبير السن و أما أبو جهل فإنه بخيل كريه النفس و أما الصلت فإنه رجل مطلاق قالت لعن الله من ذكرت فهل خطبني غير هؤلاء أحد قال نعم خطبك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف قالت يا عم هل تعرف فيه عيبا قال و كان ورقة عنده علم من الكتب السابقة بما يكون من أمر النبي ص فلما سمع ورقة كلامها طأطأ رأسه ثم قالت صف لي عيبه يا عم قال لها أصله أصيل و فرعه طويل و طرفه كحيل و خلقه جميل و خده أسيل و فضله عميم و جوده عظيم ثم قال و الله يا خديجة ما كذبت فيما قلت قالت يا عم صف لي عيبه فقال ورقة يا خديجة وجهه أقمر و جبينه أزهر و طرفه أحور و لفظه أحلى من السكر و رائحته أزكى من

المسك و العنبر إذا مشى تخاله البدر إذا بدر لا و الله بل هو أنور و أزهر قالت يا عم صف لي عيبه قال يا خديجة مخلوق من الحسن الشامخ و النسب الباذخ و هو أحسن العالم سيرة و أصفاهم سريرة لا بالطويل الشاهق و لا بالقصير اللاصق

الأنوار ص : 317 إذا مشى تخاله ماء يتحدر و شعره كالغيهب الأدجر و خده أزهى من الورد الأحمر و رائحته أحسن من الكافور و العنبر ثم قال يا خديجة إني أحبه قالت أراك يا عم كلما قلت لك صف لي عيبه مدحته قال يا ابنتي و هل أنا وحدي أمدحه ثم إن ورقة ازداد في مدح رسول الله ص و جعل يقول أفلح من يصلي على الرسول

لقد علمت كل القبائل و الملا بأن حبيب الله أطهرهم قلباو أصدق من في الأرض قولا و موعدا و أفضل خلق الله كلهم قربا

. ثم قال يا خديجة إن محمدا حليما كريما رءوفا رحيما رسولا أمينا عظيما وصولا فهيما عطوفا قال فلما سمعت خديجة ذلك الوصف قالت يا عم إنهم يثلبونه قال إنما يثلبه أولاد الزنى و لكن يقولون إنه فقير الحال لا مال له قالت يا عم الشاعر يقول أفلح من يصلي على الرسول الأنوار ص : 318

إذا سلمت رءوس الرجال من الأذى فما المال إلا مثل قلم الأظافر

. ثم قالت خديجة إن كان ماله قليل فمالي كثير و أنا يا عم أحبه و لكن اكتم ذلك علي قال ورقة إذا و الله تسعدين و ترشدين و تفوزين بنبي كريم و رسول عظيم و الله يا خديجة إنه نبي هذه الأمة و كاشف الظلمة قالت يا عم و الله إني أحبه و أنا الذي أمرته أن يخطبني من أبي و أبي قد أبعده قال ورقة ما

الذي تعطيني حتى أزوجك من محمد ص في هذه الساعة قالت يا عم و هل لي شي ء دونك أو يخفى عليك أمري أو يحجب عنك مالي و ذخائري لك و بين يديك و أنا في الغرام كما قال الشاعر
إذا تحققتم ما عند صاحبكم من الغرام فذاك العذر يكفيه أنتم سكنتم بقلبي و هو منزلكم و صاحب البيت أدري بالذي فيه

. قال ورقة يا خديجة ما أريد منك شيئا من حطام الدنيا و إنما الأنوار ص : 319أريد أن تضمني لي الشفاعة من النبي ص يوم القيامة يوم الحسرة و الندامة قالت خديجة يا عم إني لا أعلم شيئا مما تقول قال اعلمي أن بين أيدينا حسابا و عقابا و مناقشة و عذابا و لا ينجو من ذلك الهول العظيم إلا من اتبع محمدا و صدق برسالته فيا ويح من زحزح عن الجنة و أدخل النار فلما سمعت كلامه قالت يا عم لك مني ما طلبت فخرج ورقة و دخل على أخيه خويلد و قد غلب عليه السكر فنهض إجلالا لأخيه و أجلسه إلى جانبه و الغيظ قد ظهر في وجهه فقال له خويلد ما تشرب قال ورقة و من يقتل أخوه كيف يشرب فقال و من يقتلني قال إنك تقتل قال خويلد و كيف ذلك قال ورقة لقد خالفت بني عبد المطلب و قلوبهم تغلي عليك كغلي المرجل على النار و قد عزم حمزة أن يهجم عليك في دارك و يقلع آثارك و قد حلف بذلك قال خويلد و قد طارت الخمرة من رأسه و أي ذنب أذنبته على بني هاشم حتى يقتلوني قال ورقة سمعت أنك تثلب ابن أخيهم محمدا قال إن كنت قد فعلت ذلك وجب عليك القتل فالصدق أوفى و قائله أنجى و أعفى و الله ما وطئ الثرى مثل محمد أ نسيت ما جرى الأنوار ص : 320له في صغره و ما ظهر منه في كبره و الله ما يثلبه إلا لئيم و لا يبعده إلا زنيم و لا يبغضه إلا رجيم قال خويلد و الله يا أخي ما ثلبت الرجل و إن محمدا خير مني إنما طلب أن يتزوج بخديجة قال ورقة و إن طلب فما ينكر عليه قال خويلد و الله ما أنكرت عليه غير أني خشيت من وجهين أما الأول تسبني العرب حيث رددت أكابر أهل مكة و أزوجها بفقير صعلوك لا مال له و الثاني أنها لا ترضاه يكون لها بعلا قال ورقة أما العرب فما منهم أحد إلا و يتمنى أن يكون محمدا و أما خديجة فإنها قد عاينت فضله و رضيت به و أما أنت فقد جلبت لنفسك من عداوة بني هاشم ما لا تطيقه و إنهم لا يتركونك أبدا و إن تركوك ساعة أو بعض ساعة و بعدها كل من لقاك منهم قتلك لا محالة

و لا سيما الأسد الهجوم حمزة القضاء المحتوم فو الله إن قبلت قولي رضيت بشوري تسير معي حتى أدخلك على أولاد عبد المطلب لعلهم يقبلون عذري فيك و يرفعون عنك هذه العداوة فإنهم لا يردون عذر من اعتذر إليهم و تزوج خديجة من محمد و الله ما تصلح إلا له و لا يصلح إلا لها قال خويلد يا أخي الأنوار ص : 321أخاف أن أمشي إليهم فيكون سبب التلف حيث إنهم غضاب علي قال ورقة أنا أضمن لك هذا الأمر فقم أنت و أنا فمضيا حتى دخلا على بني هاشم فلما وقفا على الباب و كان

الأمر المقدر أن أولاد عبد المطلب في ذلك الوقت مجتمعين و بينهم النبي ص فنظر الحمزة إليه و هو مطرق إلى الأرض فقال الحمزة يا قرة العين فما يحزنك و الله إن أمرتني لآتينك برأس خويلد و كان خويلد على الباب يسمع الكلام فقال لورقة اسمع قال ورقة اسمع أنت لعلك تصدق و كان ذلك تصديقا لورقة في كلامه لأخيه خويلد فقال خويلد نرجع يا أخي فقال ورقة الآن تنظر ما يكون بيني و بينهم و ما أصنع معهم فإن القوم صادقو اللهجة واضحو الحجة لا يبعدون من قرب إليهم و لا يهجرون من دخل عليهم ثم إن ورقة قرع الباب فقال النبي ص هذا ورقة و أخوه خويلد فقام الحمزة طالبا الباب فوجد ورقة و أخاه قياما فأخبر النبي بذلك فقال أبو طالب بعد أن وجد ورقة و خويلد الآن انصلحت الأحوال فدخل خويلد و يده بيد أخيه خوفا و الحمزة يفور حنقا و غيظا فنادى خويلد نعمتم

الأنوار ص : 322 صباحا و مساء و كفيتم شماتة الأعداء يا أولاد زمزم و الصفا و أبي قبيس و حرا فناداه أبو طالب و أنت يا خويلد كفيت ما تخشى و لا شمتت بك الأعداء قال فانتهره الحمزة و قال له لا أهلا و لا سهلا و لا قربا لمن طلب منا بعدا و أرانا هجرا و صدا و أراد أن يشمت بنا الأعداء قال خويلد لا كان ذلك أبدا مني و لا باختياري و أنتم تعلمون أن خديجة امرأة وافرة العقل جيدة الذهن مالكة نفسها و قد تكلمت بهذا الكلام لأسمع ما تقول و الآن قد وجدت الامرأة فيكم راغبة و إليكم محبة و قد جئتكم لتقبلوا عذري و تغفروا ذنبي و الآن أنا لكم محب و أنا كما قال الشاعر

و من عجب الأيام أنك هاجري و ما زالت الأيام تبدي العجائباو ما لي ذنب أستحق به الجفا و إن كان لي ذنب أتيتك تائبا

. و الآن يا أولاد عبد المطلب أن خديجة لكم محبة و فيكم راغبة و أنا أيضا موافق لها و لكم لأجل القرابة و لا تشمتوا بنا الأعداء الأنوار ص : 323و أنشأ يقول

عودونا الوصال فالوصل عذب و ارحموا فالفراق و الهجر صعب زعموا حين عاينوا أن جرمي فرط حبي لهم و ما ذاك ذنب لا و حق الخضوع عند التلاقي ما جزاء قلب محب إلا يحب

. فقال حمزة يا خويلد أنت عندنا عزيز كريم و ما ظننا أن تبعدنا عن قربك فو الله يا ابن العم ما هو قولنا لك إلا كما قال الشاعر

عليكم بحصن من رجال فإنني رأيت حصونا من صخور تهدمت

. قال الراوي ثم إن ورقة قال و الله إنا لمحمد محبين و لرأيكم غير مخالفين و إنما نريد أن تكون هذه الخطبة في غداة غد في منزل خديجة على رءوس الأشهاد حتى يحضرها الحاضر و البادي ليشهدوا علينا و عليكم و ليكون منا لكل واحد الحجة على صاحبه و السلطان قال حمزة و نحن لا نخالف لك أمرا قال ورقة إنما هو كلام أعلمكم الأنوار ص : 324أن أخي ليس له لسان يخلصه عند العرب و أريد

أن يوكلني في أمر ابنته خديجة فإذا وكلني كنت أنا المجيب عنها و المتكلم بين أيديكم و أنتم تعلمون أني قد قرأت في سائر الكتب و فهمت سائر الأديان قال الحمزة قد صدق ورقة فيما قال يا خويلد هو وكيلك عن ابنتك قال خويلد نعم قال ورقة اسمعوا كلامه قال خويلد يا بني هاشم أشهدكم على أني وكلت أخي في أمر ابنتي خديجة و قد قبلت منه سائر الأحوال قال ورقة أريد أن يكون هذا عند الكعبة بحضور أكابر مكة فساروا حتى وصلوا إلى الكعبة فوجدوا العرب مجتمعين بين زمزم و الصفا و هم يتحدثون مثل النضر بن الحارث و مطعم بن عدي و الصلت بن أبي يهاب المخزومي و لئيمة بن الحجاج و هشام بن المغيرة و أبي جهل بن هشام و أخيه البختري و عثمان بن مالك و سادات قريش فلما أشرف ورقة و خويلد نادى ورقة نعمتم صباحا و مساء و كفيتم كيد الأعداء يا أولاد زمزم و الصفا و أبي قبيس و حرا و من بهم تضرب الأمثال في جميع الأقطار فزعق العرب على بكرة أبيهم إجلالا و قالوا أهلا و سهلا بك يا أبا البيان قال ورقة يا معاشر الأنوار ص : 325قريش يا بني زهرة و يا بني مخزوم و يا بني الحارث و يا بني عدي و يا بني لؤي و يا بني غالب و يا جميع من حضر إني سائلكم ما تقولون في خديجة فنطقت العرب و قالوا بخ بخ لقد ذكرت و الله الشرف الأوفى و النسب الأعلى و الرأي الأذكى و من لا يوجد لها نظير في النساء قال ورقة أ يجوز أن تكون بلا بعل قالت العرب هذا الأمر ليس بواجب و لقد شاهدنا الخطاب لها كثيرة و قد أبت أن تقبل منهم

أحدا قال ورقة يا سادات العرب أ لا أخبركم أن أخي قد وكلني في أمر ابنته خديجة و هي قد أمرتني أن أزوجها و قد أخبرتني أن لها رغبة في سيد من سادات قريش و سألتها أن تسميه لي فأبت عن ذلك فأريد أن تحضروا في غداة غد في منزل خديجة لتسمعوا الوكالة فما يسعكم غير دارها فإذا حضرتم غدا تنظرون أي سيد يكون طلبتها فتشير إليه و تسميه. قال الراوي فلما سمعوا كلامه لم يبق سيد إلا و قال في نفسه أنا المطلوب فقالوا يا ورقة أنت نعم الوكيل و نعم الكفيل فقال ورقة تكلم يا أخي ما دامت السادات حضور قال خويلد يا سادات الأنوار ص : 326العرب أشهدكم أني نزعت نفسي من أمر ابنتي خديجة و خلعته من يدي و جعلت أخي ورقة وليا على ذلك و هو وكيلي و كفيلي فلا أمر فوق أمره و لا رأي فوق رأيه قال ورقة اسمعوا يا جملة من حضر كلامه و أنه غير مقهور و لا مجبور و لا مغلوب على رأيه و لا مخمور و إني أزوجها بمن شئت و أطرد عنها من شئت فقالت العرب شهدنا بجوار البيت الحرام و خرج خويلد و قد ذهب حكمه من خديجة قال و سار ورقة إلى منزل خديجة و هو فرحا مسرورا فلما نظرته قد أقبل قالت مرحبا و أهلا و سهلا بك يا عم هل قضيت لي حاجة قال إني أبشرك فقد رجع أمرك إلي و قد صرت وكيلك و كفيلك و في غداة هذه الليلة أزوجك بمحمد فلما سمعت كلامه خلعت عليه بدلة قد اشتراها ميسرة من الشام بخمسمائة دينار فقال ورقة لا ترغبيني في حطام الدنيا فما أنا راغب فيه و لا أريد إلا الذي كان بيننا قالت لك ذلك ثم قال لها جهزي أمرك و أخرجي ذخائرك و

علقي ستورك و انشري حللك و أكمدي عدوك و حاسدك فما يدخر المال إلا لمثل هذا اليوم و اعملي وليمة عظيمة و لا تدعيها تعوز

الأنوار ص : 327 شيئا فإن العرب في غداة غد يأتون إلى منزلك و يجتمعون فيه و هو يوم فرح و سرور فلما سمعت منه ذلك نادت عبيدها و جواريها و أمرتهم أن يخرجوا الستور و المساند و الوسائد و البسط المختلفة الألوان و الحلل الكثيرة و العقائد و القلائد و المصاغ الباهرة و الثياب الفاخرة و لقد روت الرواة الذين كانوا مشاهدين تلك الليلة أن الذين كانوا برسم الخدمة من العبيد و الجواري مائتين و ستين عبدا و مائتين و ستين أمة كلهم مماليك لخديجة و كان لها من أواني الذهب مائة طشت و من الفضة مثلها و كان لها ثمانون هاون من الذهب الخالص لدق العطورات و مائة كرسي من العرعر و مائة كرسي من العاج المصفح المرصع بالذهب الوهاج بالدر و الجوهر و كان لها مال لا يحصى فذبحت الذبائح و نحرت النحائر و عقرت العقائر و عقدت الحلاوات من القند و التمر و جمعت من فواكه الطائف و الشام و ما يناسب ذلك و كان ورقة لما خرج من عندها قصد منزل أبي طالب فوجده و إخوته مجتمعين فزعق بهم و قال لهم ما يقعدكم عن إصلاح شأنكم و أموركم انهضوا في أمر خديجة فقد

الأنوار ص : 328 صار أمرها إلي و في غداة غد أزوجها بمحمد إن شاء الله تعالى و ما فعلت ذلك إلا محبة مني لابن أخيكم محمد فعندها قال النبي ص لا أنسى الله فعالك يا ورقة ثم نادى أبو طالب الآن طاب قلبي و علمت أن أخي بلغ المنى ثم تبادر بنو هاشم في إصلاح شأنهم و خرج ورقة منصرفا عنهم فرحا مسرورا فعندها قام أبو طالب لعمل الوليمة و الحمزة و إخوته عنده طربا و عجبا و شهدت الملائكة و سجدت للملك المنان و تجلى الجبار و أوحى إلى رضوان خازن الجنان يتزين و يزين الجنان و يخرج منهما اللؤلؤ و المرجان و الحور و الولدان و يصف أقداح الشراب و يزين الكواعب و الأتراب و أوحى الله تعالى ذكره إلى الأمين جبرئيل أن ينشر لواء الحمد على الكعبة ثم تطاولت الجبال و سبحت بحمد الملك المتعال على ما خص به نبيه و رسوله و حبيبه و فرحت به الأرض و أظهرت السرور و أخرجت الزهر و الألوان مرحا بما خص الله به النبي. قال الراوي و باتت مكة تغلي كغلي المرجل على النار فلما أصبح الصباح أقبلت الطوائف و القبائل و سادات مكة و دخلوا الأنوار ص : 329على خديجة فوجدوها قد أعدت لهم المساند و الوسائد و الفرش و الكراسي ليجلس كل واحد منزلته فدخل أبو جهل يجر أطماره و يسحب أذياله و قد أرخى عذبته وراءه و رد حمائل سيفه في عنقه و قد أحدقت به بنو مخزوم فنظر إلى صدر المجلس و قد نصب فيه أحد عشر كرسيا قد صف بأعلى مكان فلم ير بأحسن منه فتقدم إليه و زعم أنه له و لقومه فصاح به ميسرة و قال له يا سيدي تمهل قليلا و لا تعجل

فقد وضعت منزلتك في بني مخزوم فرجع و هو خجلان و جلس عند قومه فما كان إلا ساعة و إذا بصيحات قد علت و صرخات قد ارتفعت و الناس قد تواثبت و إذا محمد ص و الحمزة إلى جانبه و سيفه مجرد بيده و هو ينادي يا معاشر السادات و أرباب الأقدار و معدن الفخار الزموا الأدب و قللوا الكلام و انهضوا على الأقدام و لا تطلبوا الملام و دعوا الكبر فقد جاءكم الزمان

الداعي إلى دار الهوان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم سيد الأشراف و مقري الأضياف و راقي ذروة الأحقاف المتوج بالأنوار صاحب السكينة و الوقار و قد قدم عليكم فنظر الأنوار ص : 330العرب و إذا بالنبي ص قد دخل و هو متعمم بعمامة سوداء يلوح ضياء جبينه من تحتها و عليه قميص عبد المطلب و بردة العباس و في رجليه نعلان لجده عبد المطلب و في يده قضيب إبراهيم و قوس إسماعيل و متختم بخاتم من العقيق الأحمر و قد شمر طرف بردته و أحدق به الناس ينظرون إليه و قد أحاطت به عشيرته و حمزة بجنبه و قد شخصت إليه الأحداق و تطاولت إليه الأعناق من جميع المخلوقات يسلمون عليه و قد ذهلت له الأمم و قام كل قاعد على قدم و قد خرست منهم الألسن و ما فيهم من يتكلم حتى سبقهم بالسلام و أشار إليهم بالكلام فنهضوا لهيبته قياما على الأقدام و لم يبق منهم جالس إلا أبو جهل و قال في نفسه إن كان الأمر لخديجة لتأخذن محمدا فنزل به الحسد و ظهر به الكمد فتقدم إليه حمزة كالأسد الغضبان و قبض على أطرافه و قال له قم لا سلمت من النوائب و لا نجوت من المصائب فزاد به الغيظ ثم وضع يده على قائم سيفه فسبقه إليه حمزة الهجوم و قبض على يده حتى نبع الدم من تحت أظافره فوكزه الحارث و قال له ويلك يا ابن هشام فما

الأنوار ص : 331 أنت عديل من نهض إليك فإن لم تفعل لأنزعن رأسك عن بدنك فقعد مقهورا و خاف أن تعلم خديجة بما جرى عليه لأنه كان ممن يرجو أن يتزوج بها فلما استقرت الناس بالجلوس و إذا هم بصرخات قد ارتفعت و الناس قد تواثبت و إذا هم بخويلد قد أقبل و هو يزبد و يرعد و يزعق كالبعير الهائج و قد خرج الزبد من أشداقه فدخل و لم يسلم على أحد ثم دخل على خديجة فلما صار معها خلف الحجاب و رفع الستر قال لها يا خديجة أين عقلك و أين سؤددك أنا ما رضيت لك بالملوك و الأكاسرة و الشجعان و الأبطال من قريش و قد بذلوا لك الجزيل من المال فلم ترضي بهم و لم أرضهم لك فكيف رضيت بصبي يتيم صعلوك فقير بالأمس كان لك أجيرا و اليوم لك بعلا يصير لا كان ذلك أبدا و لو قتلت و لئن ذكرتيه لأعلونك بهذا السيف فاليوم لا شك فيه تسفك الدماء و ترمل النساء و تيتم الأطفال ثم نهض على قدميه و أخذ سيفه بيده كأنه مجنون متطير حتى وقف بالأبطح ثم عاد إلى منزل خديجة و هو كأنه الجمل الهائج من شدة السكر و وقف على رءوس الناس و قال يا معاشر العرب من بني الأنوار ص : 332زهرة و مخزوم و بني عبد مناف و بني لؤي و بني عبد الدار و أهل زمزم و الصفا

أشهدكم على أني لم أرض محمدا لابنتي بعلا و لو دفع لي وزن أبي قبيس و حراء و من يلزمني به فما بيني و بينه إلا السيف فما مثلي من يخدع بشرب المدام و لا يلح عليه بالكلام و الذي يتطاول في الزواج لا كان و لا عمرت به الأوطان و لا يكون ذلك أبدا ثم إن خويلدا تمثل أفلح من يصلي على الرسول

و لو أنها قالت نعم لعلوتها بحد حسام للجماجم فاصل فمن رام تزويج ابنتي بمحمد و إن رضيت يا قوم ليس بفاعل و ليس رضا التزويج بالشرب نافع و هذا مقال الحق هل من مقابل

قال فلما سمع الحمزة كلام خويلد التفت إلى أبي طالب و قال له قم فما بقي للجلوس موضع فقوموا بنا فما بقي قعود على إثارة الفتن الأنوار ص : 333فبينما هو كذلك إذ أقبلت جارية خديجة و قالت يا أبا طالب إن مولاتي تريدك فكلمها فوقف أبو طالب خلف الحجاب فقالت له خديجة نعمت صباحا يا سيد الحرم فلا تغتر بشقشقة أبي خويلد فإنه ينصلح بأقل من شي ء ثم أخرجت له كيسا فيه ألف دينار و قالت له يا سيدي خذ هذا الكيس و سر به إلى أبي كأنك تخاطبه و تعاتبه و صب المال في حجره فإنه يرضى فسار أبو طالب حتى لحق به فقال له يا خويلد ادن مني فقال لا أدنو منك فقال يا خويلد إنه كلام تسمعه و إن لم يرضك و إلا فما أحد يغضبك فدنا من أبي طالب ففك أبو طالب الكيس فصب المال في حجره و قال يا خويلد هذا المال هدية من ابن أخينا لك غير مهر ابنتك فلما رأى خويلد المال انطفت ناره و خمد شراره و أقبل حتى وقف في الموضع الأول و نادى يا معاشر العرب من قريش اسمعوا كلامي و افهموا مقالي فو الله ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء بأفضل من محمد و قد رضيته لخديجة بعلا و رضيتها له زوجة و أهلا على رغم أنف الحاسدين و المعاندين و أنتم كونوا على ذلك من الشاهدين قال فماج العرب فيما الأنوار ص : 334بينهم و جعلوا يتعجبون من كلامه و يقولون ساعة يذمه و ساعة يمدحه و الذي شاهد المال و الحال ساكت لم يتكلم فلما سمع العباس ذلك قام قائما على قدميه و نادى يا معاشر العرب لا تتكروا الفضل و المجد لأهله و أنتم تعرفون الشمس المضية و تحيلونها عن مطلعها فهل سقيتم الغيث إلا بمحمد و هل اخضر زرعكم إلا بمحمد و كم له عليكم من أياد كتمتموها و آيات ضيعتموها و بالله أقسم ما فيكم من يعادله في صيانته و عفته و خلقه و أمانته و أنتم تبغضونه فلو رحل عنكم لساءكم رحيله و شق عليكم بعده و اعلموا أن محمدا لم يتزوج خديجة لمالها و لا لكثرة رجالها و اعلموا أن المال زائل و الفخر لا يزول

فلا تظهروا الشر و لا تطيلوا الفكر و كأنما ألجمهم بلجام و أسكتهم عن الكلام قال ثم إن خويلدا أقبل و جلس إلى جانب النبي فأمسك الناس عن الكلام حتى يسمعوا ما يقول خويلد فقال يا أبا طالب ما الذي يؤخركم عما أنتم طالبون افصلوا الأمر فلكم الحكم و أنتم الأحباء و لابن أخيكم الرضا و أنتم الرؤساء و

الخطباء فليخطب خطيبكم و يكون الفوز لنا و لكم فقام أبو طالب و أشار الأنوار ص : 335إلى الناس أن اسكتوا فسكتوا فقال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعلنا من نسل إبراهيم الخليل و أخرجنا من سلالة إسماعيل و شرفنا و فضلنا على جميع الأمم و أنزلنا في حرمه و أسبغ علينا نعمه و صرف عنا شر نقمه و جعلنا في البلد و ساق لنا الرزق من كل فج عميق و واد سحيق الحمد لله على ما أعطانا و به حبانا و أمرنا بالمقاربة و الوصل ليكثر منا النسل و بعد هذا يا معشر من حضر أن ابن أخينا محمدا خاطب لكريمتكم الموصوفة و فتاتكم المعروفة المذكور فضلها الشائع خبرها خطبها من أبيها خويلد على ما يحب من المال فنهض ورقة قائما و كان إلى جانب أخيه خويلد و قال نريد مهرها المعجل دون المؤجل أربعة آلاف دينار و مائة ناقة حمر الوبر سود الحدق لم يعلها فحل و ثلاثين أمة و ليس ذلك بكثير عليكم فهل إلى ما طلبنا فقال أبو طالب رضينا بذلك قال ورقة قد زوجت خديجة بمحمد و هو كفؤ كريم فنهض الحمزة و كان معه دراهم فنثرها على رأس كل من كان حاضرا و كذلك باقي إخوته فقال أبو جهل يا قوم رأينا الرجال يمهرون النساء و ما رأينا النساء يمهرن الرجال قال فنهض إليه

الأنوار ص : 336 أبو طالب و قال يا لكع الرجال و يا شين الفعال مثل محمد يحمل إليه و يعطى و مثلك لا يهدى إليه و لا يقبل منه و لا يعطى و لا يرضى به قال الراوي ثم سمع الناس مناديا ينادي من السماء أن الله قد زوج الطاهر بالطاهرة و الصادق بالصادقة ثم رفع الحجاب و قد خرج منه جوار بأيديهن نثار ينثرنه على الناس فأمر الله عز و جل جبرئيل أن يرسل على الناس الطيب على البر و الفاجر و كان الرجل يقول لصاحبه من أين لك هذا الطيب فيقول هذا من طيب محمد ثم نهضوا في إصلاح شأنهم و الولائم و انصرف الناس إلى منازلهم و مضى النبي ص إلى عمه أبي طالب و أعمامه حوله و اجتمعت نساء بني عبد المطلب و بني هاشم في دار خديجة و الفتيان يضربون الطارات و الدفوف ثم إن خديجة بعثت من يومها إلى النبي ص أربعة آلاف دينار و قالت له يا سيدي أنفذ إلى عمك العباس و الحمزة بهذه الدنانير يعطيها إلى أبي خويلد و أنفذت مع المال خلعة سنية فسار العباس و الحمزة إلى منزل خويلد و ألبساه الخلعة و دفعا إليه المال فنهض خويلد من ساعته و أتى إلى منزل خديجة و قال يا ابنتي هيأت

الأنوار ص : 337 نفسك للدخول فهذا مهرك قد أنفذوه إلي و قد وهبوا لي هذه الخلعة و الله يا ابنتي ما تزوجت النساء مثلك بمثل محمد لا في الحسن و لا في الجمال و قد حمل إليك هذا المال و لم يدر أنه من عندها فسمع أبو جهل ذلك فجعل يبوح به بين الناس فبلغ الخبر إلى أبي طالب فتقلد سيفه و وقف في الأبطح و العرب مجتمعون و قال يا معاشر العرب قد بلغنا قول قائل و عيب عائب فإن تكن النساء

قد أقمن بواجب حقنا فليس ذلك بعيب و يحق لمحمد أن يعطى و يهدى إليه و يكرم فمن ساءه ذلك فعلى رغم أنفه و من تكلم في ذلك عجلنا حتفه فبلغ الخبر لخديجة فصنعت طعاما و دعت نساء المبغضين فلما أكلن قالت لهن يا معاشر النساء بلغني أن بعولتكن عابوا علي فيما فعلت و أنا أسألكن هل في مكة مثله أو في الأبطح شكله أو من يعادله في حسنه و جماله و كرمه و فضله و عقله و أخلاقه المرضية و أحواله الملكوتية و أمانته و صيانته و ما قد خصه الله من المزايا الحسنة و أنا أخذته لأجل ما رأيت منه و سمعت عنه و قد رأيت منه أشياء لم أرها من أحد غيره فلا يتكلم أحد بما لا يعنيه فكف كل حاسد الأنوار ص : 338و لسان عن الكلام و زاد بالحاسدين الحسد ثم إن خديجة قالت لعمها ورقة يا عم خذ هذه الأموال و الهدايا و سر بها إلى محمد و قل له إني و أموالي و حالي و جواري و عبيدي و ما أملك كلها له و بين يديه و روحي فداه و في ملكه يتصرف فيها كيف شاء و أراد و ذلك بعد أن تسلم عليه سلاما كثيرا فوقف ورقة بين زمزم و الصفا و نادى بأعلى صوته يا معاشر العرب أن خديجة بنت خويلد تشهدكم على أنها قد وهبت جمالها و أموالها و عبيدها و حالها و ما ملكت يمينها و المواشي و الصداق المؤجل و المعجل هدية لمحمد إجلالا و إعظاما له و رغبة فيه فكونوا عليها من الشاهدين فتركهم و طلب منزل أبي طالب و كانت خديجة قد أرسلت جاريتها و معها خلعة سنية و قالت لها ادفعيها إلى حبيبي محمد و قولي له إذا دخل عمي ورقة

عليه فليخلعها عليه ليزداد فيه محبة فلما دخل عليه ورقة و قدم المال بين يديه أفرغ النبي ص عليه الخلعة و زاده خلعة أخرى فلما خرج ورقة تعجب الناس من حسن لباسه قال الراوي ثم إن خديجة أخذت في زهابها و أعدت أواني الأنوار ص : 339الذهب و الفضة و فيها الطيب و المسك و العنبر فلما كانت الليلة الثانية دخلن عمات النبي و نساء بني عبد مناف و الفتيات معهن الطارات و المزامير ينشدن الأشعار و يذكرن اتصال خديجة بالنبي و اجتمعت الأكابر و السادات في اليوم الثالث كعادتهم قال فنهض العباس و جعل يقول

أبشري بالمواهب آل فهر و غالب شاع في الناس فضلكم و علا في المراتب افخروا يا لقومنا بالثناء و الرغائب قد فخرتم بأحمد زين كل الأطايب فهو البدر نوره طالع غير غائب قد ظفرت خديجة بجليل المواهب بفتى هاشم الذي ما له من مناسب جمع الله شملكم فهو رب المطالب أحمد سيد الورى خير ماش و راكب فعليه الصلاة ما سار عيس براكب

الأنوار ص : 340قال الراوي ثم إن خديجة قالت إن محمدا له شأن عظيم و فضله عميم و جوده جسيم لا ينكر و شانئه هو الأبتر ثم نثرت عليهن من المال و الطيب ما أدهش الحاضرات منه و شجرة طوبى تنثر من طرائف الجنة على الحور و الولدان فجعلن يلتقطنه في الأسفاط و يتهادينه إلى يوم القيامة قال

ثم إن خديجة بعثت إلى منزل أبي طالب غنما كثيرة و سمنا و دراهم و دنانير و ثيابا و بخورا و طيبا فعمل أبو طالب وليمة عظيمة فوقف النبي ص و شد وسطه و ألزم نفسه الخدمة للناس و أقام أهل مكة ثلاثة أيام بلياليها في الوليمة و أعمام النبي يخدمونه و أنفذت خديجة إلى الطائف و غيره بالصناع و فصلت الثياب و الحلي و صاغت الصياغ من الذهب و الفضة على هيئة الشجر و أجرت عليه الذهب و عملت فيه التماثيل من المسك و العنبر و لم تزل تعمل في زينة العرس ستة أشهر حتى فرغت من جميع ما تحتاج إليه و علقت ستور الديباج المثقل بالوشي و بسطت الدار بالفرش المختلفات الألوان و وضعت الوسائد من الديباج و الخز و عملت لرسول الله مجلسا حسنا بالحرير الخالص و الوشي و نصبت الأنوار ص : 341فيه سريرا من العاج و الآبنوس مصفح بصفائح الذهب الوهاج و ألبست جواريها و خدمها ثياب الحرير و الديباج المختلفات الألوان و نظمت شعورهن باللؤلؤ الرطب و وضعت في أرجلهن خلاخل الذهب و الفضة و وضعت في أعناقهن قلائد الذهب و شدت في أوساط الغلمان مناطق الذهب و أوقفت الخدام بأيديهن المجامر المذهبة فيها العود و البخور و الند و العنبر و بعضهن بأيديهن المراوح المنقوشة بالذهب مضيئة بالفضة و أوقفتهن عند المجلس الذي يجلس فيه رسول الله و دفعت إلى بعضهن الدفوف و المزامير و الشموع و نصبت في الدار شمعا كثيرا كأمثال النخيل فلما فرغت من ذلك دعت نساء أهل مكة جميعهن فأقبلن إليها و رفعت مجلس عمات النبي و أرسلت إلى أبي طالب أن يحضر وقت الزفاف فلما كان تلك الليلة أقبل النبي ص إلى أعمامه و عليه ثياب

من قباطي مصر و الحرير الأخضر و عليه عمامة حمراء و عبيد بني هاشم بأيديهم الشموع و المصابيح و قد اختلفت الناس في شعاب مكة ينظرون النبي و قد وقفوا في السرادقات و النور يخرج من بين ثناياه و من الأنوار ص : 342تحت ثيابه و من بين عينيه فلما وصلوا إلى دار خديجة دخل هو و أعمامه و أغلقوا الباب و جلس النبي ص قال ناقل الحديث فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل أن ينادي في السماوات السبع و أن يجمع الملائكة بالبيت المعمور فجمعهم و وقفوا صفوفا و قالوا يا جبرئيل لما ذا جمعتنا فقال إن الله تبارك و تعالى يريد أن يشرفكم بعقد نكاح نبيه و صفيه و حبيبه محمد ص فتحضروه و تشاهدوه فرفعت الملائكة أصواتها بالتسبيح و التقديس و أوحى الله تعالى إلى رضوان خازن الجنان أن زين الجنة و البيت المعمور بفرش العبقري الحسان و الإستبرق و علق فيه قناديل الدر بسلاسل الذهب و المرجان و صف حول البيت منابر ذهب الرحمة و كراسي الكرامة و انصب منبرا من الياقوت الأحمر و أن زين الجنان و أخرج الحلة التي خلقتها لعرس حبيبي محمد و أن يلبسها جبرئيل لمحمد ص ثم يخرج منطقة آدم فيمنطقه بها جبرئيل فعند ذلك نودي ارق منبر العز و الكرامة فرقي جبرئيل المنبر حتى إذا استوى على المنبر أنشأ الله على رءوس الأشهاد من الملائكة سحابة من نور حشوها

الأنوار ص : 343 نثار المسك و الكافور و أمرها أن تمطر على الملائكة حتى غرقتهم بالمسك و الكافور فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل أن اخطب خطبة النكاح لحبيبي محمد و زوجه خديجة بنت خويلد فقام جبرئيل خطيبا و قال الحمد لله الذي أكرم محمدا بنعمته و انتجبه من بريته و اصطفاه من خليقته الذي وسعت كل شي ء رحمته و علمه و غلب كل شي ء أمره و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمدا عبده و رسوله و اشهدوا يا معاشر الملائكة المقربين الراكعين الساجدين المسبحين المقربين و حملة العرش أجمعين أني زوجت محمد الأمين بخديجة الأمينة الصفية الصديقة المرضية بأمر رب العالمين فقالت الملائكة سمعنا و أطعنا و شهدنا فأوحى الله تعالى إليهم أني قد قبلت شهادتكم و زوجت عبدي بأمتي فقالت الملائكة هنيئا لك يا محمد و ضجوا بالتهليل و التكبير قال فنثرت عليهم شجرة طوبى الدر و الياقوت و أوحى الله تعالى إلى الملائكة أن اهبطوا لتشهدوا ملائكة الأرض كما أشهدتموهم في السماء فهبطت الملائكة بألوية الحمد و الثناء لرب العزة و النور و رايات الكرامة و أحدقوا بالكعبة و ألبس الله الأنوار ص : 344نبيه ثوب البهاء و رداء العز و الوقار و ألبسه الله الحلة التي خلقها لعرسه و منطقه بمنطقة آدم فنثر الغلمان و الجواري ما كان في الصواني من الطيب على رأس النبي محمد ص و على الحاضرين و نصبت الموائد للناس فأكلوا و شربوا و مكثوا في الأكل سبعة أيام بلياليها ثم تفرقوا إلى منازلهم و جلس النبي ص في قبة البهاء و تردى برداء السناء و قد ألبسه الله تعالى حلة الاصطفاء و جلس على سريره و نوره قد علا على من كان في بيت خديجة من الشموع و المصابيح فذهلت النساء مما رأين من حسنه و جماله و نوره حتى إن كل واحدة منهن حسدت خديجة و تمنت أن تكون له زوجة و احتقرن بعولتهن لما رأين النبي محمدا ص و هيئوا لخديجة أشياء للجلاء و قد كان تزويج النبي بخديجة و هي بنت أربعين سنة

فلما دخل عليها ردها الله تعالى له في حال الشباب كما رد زليخا ليوسف و كما رد سارة لإبراهيم شابة و كما رد على زكريا زوجته و غيرهم ممن ردت على الأنبياء و رد الله خديجة شابة في أحسن سن كرامة من الله عز و جل لنبيه محمد قال فخرجت خديجة أول مرة و عليها ثياب مضمخة منظمة الأنوار ص : 345بالدر و الجوهر و على رأسها تاج من الذهب الوهاج منقوش بالفيروزج الأخضر و في رجليها خلخالان من الذهب الوهاج مرصع بالدر و الجوهر و عليها قلائد من الزمرد و الياقوت فلما برزت خديجة ضربن المزامير و الدفوف ثم إن عاتكة عمة النبي جعلت تنشد و تقول أفلح من يصلي على الرسول

صلوا عليه و سلموا تسليما فهو المفضل من بني عدنان أضحى الفخار لنا و عز شامخ و لقد فخرنا بالنبي العدناني نلت العلى فينا و تعلو في الورى و تقاصرت عن مجدك الثقلان أعني محمدا الذي لا مثله ولد النسا في سائر الأزمان فله المكان و المفاخر و العلى عن مدحه قد كل لساني

الأنوار ص : 346صلوا على خير الأنام محمد حتى تنالوا جنة الرضوان إن الصلاة على النبي محمد من أفضل الأعمال و الأديان فتطاولي فيه خديجة و اعلمي أن قد خصصت بصفوة الرحمن بهجت بذكرك مهجتي و لساني و حللت من قلبي بكل مكان فأنا بذكرك في البرية كلها علم و حبك آخذ بعناني سلطان حبك في الهوى غير الهوى و به يعزز بالهوى سلطاني أنت النبي الهاشمي محمد صلى الإله عليك في القرآن

الأنوار ص : 347فلأذكرنك ما بقيت معمرا حتى الممات و لا يمل لساني فصلاة رب ماجد و مهيمن تترى عليك تعاقب الأزمان

قال فلما رآها النبي تبسم ضاحكا فخرج من فيه نور لحق عنان السماء حتى أخذ بأبصار الناس و علا على نور المصابيح و الشموع ثم خرجت خديجة في الجلوة الثانية على رسول الله ص و قد علا نور خديجة و زاد حسنها و جمالها على جميع الحاضرين و عليها يومئذ ثوب من سقلاط أسود مذهب مرصع بالدر و الجوهر و اللؤلؤ الأبيض قال و كانت خديجة امرأة طويلة بيضاء سمينة و ما كان في نساء مكة أحسن منها لأنها كانت شمسية كالشمس المضيئة و خرجت و بين يديها صفية عمة النبي ص و هي تترنم و تقول

جاء السرور مع الفرح و مضى النحوس مع الترح أنوارنا قد أشرقت و الحال فينا قد نجح بمحمد المذكور في كل المفاوز و البطح

الأنوار ص : 348لو أن يوازن أحمد بالخلق كلهم رجح و لقد بدا من فضله لقريش أمر قد وضح تم السرور لأحمد و السعد فينا ما برح بخديجة خص الكريم و بحر نائلها طفح يا حسنها في حليها و الحلم منها متضح هذا الأمين محمد ما في مدائحه كلح

قال الراوي فلما رأى النبي ص خديجة ازداد فرحا و سرورا فلما أوقفوها بين يديه ضربن الدفوف و أخذت صفية التاج من على رأسها و وضعته على رأس النبي ص و قلن يا خديجة لقد خصصت بشي ء ما خص به أحد من نساء قريش هنيئا لك بما وصل إليك ثم خرجت خديجة في الجلوة الثالثة في ثياب خضر قد حارت فيها الصناع و عليها حلي و جوهر قد أضاء الموضع من لمعان ذلك الجوهر و في وسط الإكليل ياقوتة حمراء تضي ء و قد أشرقت الدار من الجوهر و من نور خديجة و حسنها و أقبلت صفية بنت عبد المطلب و هي تنشد و تقول الأنوار ص : 349

هب النسيم و زقت الأشجار و تبرقعت ليلا بفضل إزاربجناب عزك ترحل الزوار و بنور وجهك تكشف الأستارو النوق لو لا وجهك ما هدت و كذا الحداة لو لا سناك لحارو لقد ملكت قلوب أرباب الهوى و بطيب ذكرك تنطق الأحجارلما حدا الحادي بذكر المصطفى مدت إليه كأنها الأطيارفتمايلت أغصانها و

تراقصت تبغي جنابك سيد الأقماريا منزلا فيه طبيب قلوبنا يا روضة فيها لنا الأسرار
الأنوار ص : 350يا حجرة ضمت نبيا مرسلا في عشقه تتهتك الأستارلولاك ما خطب الحبيب بمنبر كلا و لا وردت لنا الأخبارلولاك ما هجر المتيم أهله صبوا دموع عيونهم مدرارباعوا النفوس على هواك و أقبلوا يرجوا رضاك لأنك السمارأنت الشفيع إذا جهنم أقبلت ترمي العصاة مقابس الأشراريا سيد الكونين أنت المصطفى يا من به تتشرف الأمصارصلى عليك الله في السبع العلى و الآل ما عقب الظلام نهار
قال فلما نظر النبي ص إلى حليها و حللها ازداد فرحا و سرورا الأنوار ص : 351ثم خرجت خديجة في الجلوة الرابعة و عليها من الثياب و الجواهر و الذهب ما تحير منه العقول و بين يديها برة بنت عبد المطلب و هي تقول أفلح من يصلي على الرسول و آله
حسبك هذا الشرف العالي و دمت في عز و إقبال حزت فنونا من خيار النسا و نيل قدر مشرف عالي
ثم أقبلت خديجة في الجلوة الخامسة في ثياب من الوشي الممسوح بالقضبان مرصع بفنون من الجوهر و بين يديها آمنة و هي تقول صلوا على خير الورى
يا هذه أبشري ما مثله بشر كالبدر يخطر في أثوابه الخضرشمس الضحى في مقاصير رقيه فيها عروس فما في عودها خورفهي العروس التي سادت بطلعتها كل العباد و فيها العطر و الأثر
الأنوار ص : 352سبحان خالقها من لؤلؤ نظر تفوق في حسنها بالبدو و الحضرفالشكر لله شكرا دائما أبدا تزداد من فضله و الله مقتدر
ثم إن خديجة خرجت في الجلوة السادسة و عليها ثوب مرصع بالذهب منظوم بالياقوت الملون و بين يديها بيضاء بنت عبد المطلب

جنحت إليك مطية الآمال و جررت فيه فواضل الأذيال و بلغت مكرمة تطاول فرعها زادت على الهضبات و الأجبال و لقد حييت بسيد ما مثله فيما مضى من سالف الأمثال
قال ثم أقبلت في الجلوة السابعة في ثياب من الحرير مثل بالدر و الجوهر و بين يديها فاطمة بنت أسد أم الإمام علي بن أبي طالب ع و هي تقول أفلح من يصلي على الرسول و آله الأنوار ص : 353
لقد علوت خديجة في ذوي الشرف حتى ارتقيت من العليا مراقيهابالسيد الطاهر المبعوث في صحف الرهبان لا شك و الأنباء تنبيها
قال ثم أوحى الله تعالى إلى جبرئيل أن انزل إلى جنة الفردوس و اقبض منها قبضة من الطيب و ألقها في شعاب مكة ففعل إلى أن صار كل واحد يجد الطيب من نفسه و كل يقول هذا من طيب محمد و خديجة و فيه الشاعر يقول
دخلت من باب السلام الصباح شاهدت ليلى تنجلي بالوشاح و برقع النور على وجهها و خالها المسك مع الند فاح فقلت يا ليلى قتلني الهوى و لذ لي في ذكرك الانطراح فقلت يا ليلى صلي مغرما متيما في

حبك مستباح هل ترحمي صبا حليف الكرى و عن هواك ما له من براح بالله أنتم عودوني الوصال فوعدكم يكفي و لو بالمزاح أنتم مرادي أنتم بغيتي أنا محب الطيب بحمل السلاح
الأنوار ص : 354متى أحظى بلقيا سادتي و استمع منكم نداء الفلاح متى أرى تلك القباب التي بها النبي الهادي بتلك البطاح أعفر الخدين في بابه و أرتجي منه النجا و الفلاح صلى عليه خالق الأرضين ما أومض البرق اليماني و لاح
و قال بعض العارفين في مدح سيد المرسلين

نبينا آياته ظاهره عن بعضها يعجز من فاخره أعظمها القرآن جل الذي أنزله معجزة باهره و في انشقاق البدر للمصطفى و الشمس فيها آية ظاهره كذاك نبع الماء من كفه يجري كغيث الأسحب الماطره كم أطعم الجيش و أرواهم من نزر شي ء حينما باشره كم بقعة يابسة قد غدت بوطيه مخضرة ناضره و رد عينا ذهبت كلها إلى الحجاج انقلبت ناظره بلمسة رد يدا بعد ما قد قطعت من ضربة باتره للميت أحيا غير ما مرة بقدرة الباعث للآخره أطلعه الله على علم ما يكون في الدنيا و في الآخره
الأنوار ص : 355علوم كل الناس في علمه كقطرة من أبحر زاخره و فضله أعيا الورى عده أفهامه عن حصره قاصره صلى عليه ربنا دائما صلاته الزاكية العاطره ثم على العترة أهل التقى أكرم به من عترة طاهره كذا على الآل له قدوة للناس مثل الأنجم الزاهره فنسأل الله بهم رحمة تعمنا باطنة ظاهره لنقطع الغم بتقوى و أن يختم بالخير لنا آخره
قال ناقل الحديث و أقامت خديجة مع النبي في أطيب عيش و قد ازدادت حسنا و جمالا ثم حملت خديجة فلما أتم أيامها وضعت غلاما فسماه النبي القاسم و به يلقب حتى صار للنبي تسع و عشرون سنة حملت خديجة حتى إذا كان كملت أيامها وضعت غلاما فسماه النبي ص الطاهر ثم حملت بإبراهيم و زينب و رقية و أم كلثوم ثم انقطع حملها فلما خلا من مبعثه خمس سنين حملت خديجة بفاطمة الزهراء ع التي فضلها الله على أخواتها و على جميع النساء و كان النبي ص يوم تزويجه بخديجة و هو ابن أربع و عشرين سنة الأنوار ص : 356و بعد مبعثه بثمان سنين قبضت خديجة رضي الله عنها. و هذا آخر ما انتهى إلينا من خبر مولد النبي ص و رضاعه و صراعه و سفره و تزويجه على الوفاء و التمام و نستغفر الله الكريم المنان من الزيادة و النقصان و السهو و الغلط و النسيان و منه التوفيق و الإحسان و صلى الله على محمد و آله الطاهرين و الحمد لله رب العالمين